الأدب في
صدر الإسلام
وعصر بني أمية

بسم الله الرحمن الرحيم

"وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو

إلا ذكر وقرآن مبين"

" يس ٦٩ "

الأدب
في صدر الإسلام
وعصر بني أمية

الأستاذ الدكتور

غريب محمد على أحمد

وكيل كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادى



الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى

الكتاب: الأدب في صدر الإسلام وعصر بني أمية
المؤلف: الأستاذ الدكتور غريب محمد على أحمد

رقم الطبعة: الأولى
تاريخ الإصدار: ٢٠٠٩ م
حقوق الطبع: محفوظة للناشر

الناشر: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى
العنوان: ٨٢ شارع وادى النيل المهندسين ، القاهرة ، مصر
تلفاكس: ٥٦١ ٣٣٠٣٤ (٠٠٢٠٢) ٠١٢/١٧٣٤٥٩٣
البريد الإليكترونى: J_hindi@hotmail.com

رقم الإيداع: ١٣٠٣٦ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: ١ - ٤٢ – ٦١٤٩ – ٩٧٧

إهـــداء

إليــــك

يا سيدى يا رســول الله

يا نــور الأنـــوار

وإلـــى

صحابتك الكرام الأطهار

وإلـــى

أرواح الشهــداء الأبـــرار

الذين ضمخوا الكـــون بعطر دمائهم

فأضاءت الدنيا وأشرقت الأرض بنور ربها

العبد الضعيف الفقير إلى الله

غريب

مُقَدِّمَة

هذه مجموعة مقالات ودراسات في أدب صدر الإسلام وبني أمية، وقد كانت بذورها – في الأصل – عبارة عن مقالات صدرت في بعض المجلات أو ألقيت في بعض الندوات أو محاضرات ألقيت علي الطلاب منذ أكثر من ربع قرن من الزمان تم لحقها التطور شيئا فشيئا حتى خرجت في هذا الثوب القشيب وإن كنت قد طورت بعضها منذ أكثر من عشر سنوات فالتطور سنة الحياة.

ولكنني رغم ذلك لا أستطيع أن أدعي أنني بلغت بها حد الكمال أو اقتربت فالعلم محيط لا شاطئ له ولا نهاية فالقراءة والاطلاع يفتقان موضوعات وموضوعات ويرشدان إلى بحوث ودراسات ويضيفان معلومات ومعلومات، وما من إنسان يكتب كتابا ثم ينظر فيه – فيما بعد – إلا أراد أن يغير فيه حذفا أو إضافة .

ومن ثم جاءت هذه الطبعة الجديدة وقد أضيف إليها بعض الموضوعات وحذف منها البعض الآخر لاستكمال دراسته فيما بعد إن شاء الله تعالي.

ولقد آثرت أن أوقف هذه المقالات علي الشعر فقط ، أما النثر فلقد فضلت أن يكون له كتاب مستقل.

والحق أن هذه المقالات قد اعتمدت علي مجموعة من المصادر المهمة كالأغاني والعقد الفريد والبيان والتبيين وطبقات فحول الشعراء وسيرة ابن هشام وجمهرة أشعار العرب والموشح والكامل في اللغة والأدب والشعر والشعراء وبعض كتب الحديث النبوي الشريف، بالإضافة إلي بعض الدواوين مثل ديوان أبي بكر الصديق رضي الله عنه وديوان حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وجرير والأخطل والفرزدق وعمر بن أبي ربيعة وعبيد الله بن قيس الرقيات وجميل بثينة وكثير عزة ومجنون ليلي وديوان الخوارج وهاشميات الكميت وغير ذلك .

هذا ، علاوة علي بعض المراجع والدراسات الحديثة في هذا المجال – مثل العصر الإسلامي والتطور والتجديد في الشعر الأموي والغناء في المدينة ومكة للدكتور شوقي ضيف ، ومثل الشعر الإسلامي والأموي للدكتور عبد القادر القط وتاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي للدكتور يوسف خليف وتاريخ الشعر السياسي وتاريخ النقائض في الشعر العربي للأستاذ أحمد الشايب ودراسات في الأدب الإسلامي للدكتور سامي مكي العاني والفرق الإسلامية في الشعر الأموي للدكتور النعمان القاضي والأدب في عصر النبوة والراشدين للدكتور صلاح الدين الهادي وغير ذلك .

لقد كان لأصحاب هذه المراجع فضل ك بير علي هذه المقالات فلقد عبدوا الدرب وأناروا الطريق.

وإنني لأدعو الله عز وجل أن يعينني علي إضافة بعض الموضوعات الأخرى وتطوير ما من شأنه أن يطور في هذه المجموعة في طبعات أخري تالية لتكون أكثر عمقا وشمولا واستفادة وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجه الله الكريم .

وبعد فإنه ليس هناك أحب إلي ممن يهدي إلي عيوبي ، راجيا توفيق الله وعونه سبحانه وتعالي إنه نعم العون ونعم النصير.

د . غريب محمد علي أحمد

كلية الآداب بقنا

قنا في ٢٠٠٨/١٠/١

القسـم الأول

الأدب في صدر الإسلام

عصر صدر الإسلام

والتطورات السياسية والاجتماعية والدينية

انقضى العصر الجاهلي بمجئ الإسلام وظهور النبي الكريم محمدﷺ، والإسلام هو الدين الخاتم والشريعة الربانية السمحة الغراء الأخيرة، وهو يقوم علي ثلاث دعائم مهمة هي: العقيدة والعمل والسلوك .

وأهم أركان العقيدة: الإيمان المطلق بوحدانية اللّه عز وجل، الإله الواحد الفرد الصمد الذي ليس له شريك في ملكه، الواحد الأحد، القادر القاهر الذي ليس كمثله شئ وهو العليم بكل شئ .

وكذلك الإيمان بأن محمدا ﷺ هو الرسول الخاتم، والإيمان بالأنبياء والرسل وبالكتب السماوية جميعها ، وباليوم الآخر وما فيه من حساب وعقاب وثواب وجنه ونار، والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره.

وإلى جانب تلك الدعامة هناك **دعامة العمل:** العمل الديني من عبادات وفرائض والعمل الدنيوي الحلال الذي يتكسب الإنسان به ومنه رزقا حلالا . **وأما الدعامة الثالثة** فهي السلوك ، والحق أن الإسلام قد أوضح للإنسان طريق الخير من الشر، ودعا إلى الفضيلة، ونهى عن الرذيلة، كما نهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ودعا إلي التحلي بالأخلاق الكريمة والتخلي عن الأخلاق الذميمة. والإسلام بذلك عقيدة ، وعمل ، وسلوك . ويمتد عصر صدر الإسلام في تاريخ الأدب العربي من ظهور الإسلام إلي نهاية عصر الخلفاء الراشدين ، ويؤرخ له بعض مؤرخي الأدب من سنة الهجرة النبوية المباركة إلي قيام الدولة الأموية (من السنة الأولي للهجرة إلي سنة أربعين هجرية).

وإن كنا نري – من الوجهة الأدبية – أن أدب تلك الفترة يمتد إلي ما قبل الهجرة بثلاث عشرة سنة ، فمنذ بعث النبي ﷺ ونزل قوله تعالي" اقرأ " بدأ أدب صدر الإسلام .

ولعل أهم سمة لهذا العصر من الناحية السياسية هي : الوحدة " فلقد كان العرب في الجاهلية يعيشون حياة قبلية متفرقة لا يعرفون فيها مفهوم الآمة الواحدة ، وكانت كل قبيلة تتعصب لنفسها تعصبا شديدا.

وقد وجدت بعض الإمارات في الشمال مثل (المناذرة في العراق والغساسنة في الشام) وبعض الدول في الجنوب مثل (سبأ وحمير ومعين في اليمن) أو بعض المدن مثل (مكة ويثرب والطائف) التي تعارفت علي بعض القوانين النابعة من الأعراف والتقاليد .

كما كان هناك نوع من الأحلاف بين بعض القبائل مثل الأحلاف التي تمت بين إمارة كندة وبعض القبائل في شبه الجزيرة العربية .

وأما بقية السكان فقد كانوا يعيشون في نظام قبلي ، وكان لكل قبيلة مجلس يضم شيوخ العشائر ، وكان هذا المجلس ينظر في شئون القبيلة وأمورها وينظم شأنها ويترأس هذا المجلس شيخ القبيلة .

وقد كانت الفردية هي المسيطرة والقوة هي الغالبة ، ولكن حينما جاء الإسلام أذاب ذلك كله في بوتقة واحدة فصهر القبيلة ومحا الفردية وأحل نظاما سياسيا جديدا فلم يعد الفرد يشعر بوجود الجماعة القبلية أو يحس بالتعصب لها .

والحق أن تغيرات كثيرة قد طرأت علي ذلك كله، وأهم هذه التغيرات اتساع الروابط التي تشد الإنسان إلي أخيه الإنسان ؛ فلم تعد الأخوة مقتصرة علي أبناء القبلية بل تجاوزتها إلي كل من يدين بالإسلام وحلت فكرة الأمة محل القبيلة، هذه الأمة التي يعلو فيها القانون السماوي والتشريع الإلهي والدستور الرباني ، ومن ثم فقد صارت الرابطة الدينية هي التي توحد، وصار العرب ينضوون شيئا فشيئا لسلطان المدينة وقيادة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده. لقد صار للأمة العربية دولة واحدة، وقائد واحد، ودستور واحد، وقانون واحد، وعاصمة واحدة ، وراية واحدة ، وجيش واحد ، وقبل ذلك كله دين واحد.

ومن حيث الناحية الاجتماعية : فلقد أحدث الإسلام تغيرات جذرية كثيرة في المجتمع العربي فلا عصبية لقبيلة ولا سلطان لفرد ، وحاول الإسلام جاهدا القضاء علي المفاسد الاجتماعية الشائعة وإحلال القواعد الاجتماعية الجديدة التي تتفق والفطرة البشرية النقية الصافية التي فطر الله الناس عليها . وكان من أهم المفاسد الاجتماعية التي حاول الإسلام محوها : الأخذ بالثأر حيث جعل حق الآخذ بالثأر للدولة لا للقبيلة وجعل العقاب بالمثل فلا عدوان ولا اعتداء ، وجعل في القصاص حياة للمجتمع حيث يقول ربنا سبحانه وتعالي" ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب"[1] وجعل هذا القصاص في يد الحاكم لا في يد أهل القتيل .

ودعا الإسلام إلي التعاون بين الأفراد علي الخير ونبذ الخلافات ونهي عن الشرور وقضي علي الفوارق الطبقية فلا سادة ولا عبيد ، ووضع نظام الزكاة والصدقات فأصبح في مال الغني حق معلوم للسائل والمحروم [2] ، وقد أدي ذلك كله إلي التكافل الاجتماعي وانتشار المحبة والمودة في المجتمع . وفي محيط العدالة الاجتماعية أعطى الإسلام المرأة حقها فلقد كان الجاهليون يحطون من شأن المرأة ويرون أن من واجب الأب وأد ابنته حتى لا يلحقه العار أو خوفا من الفقر [3].

وأما الإسلام فقد رفع من شأن المرأة وجعلها كفؤا للرجل، كما نظم الزواج ودعا إلي معاملة الزوجات معاملة طيبة ،وجعل الطلاق في أضيق الحدود حتى لا تتفكك الأسرة ويتشرد الأبناء.

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٧٩

(٢) قال تعالي: " والذين في أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم " المعارج الآية ٢٤ ، ٢٥. ويقول سبحانه وتعالي : وفي أموالهم حق للسائل والمحروم " الذاريات – آية ١٩ .

(٣) أشار الإسلام إلي ذلك في قول الله سبحانه وتعالي :" وإذ بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتواري من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه علي هون أم يدسه في التراب ألاساء ما يحكمون " النحل ٥٨، ٥٩. وفي قوله تعالي :" وإذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت " التكوير ٨ ، ٩ . ويجب أن نشير هنا إلي أن العرب لم يكونوا جميعا يئدون البنات وإلا انقرص الجنس العربي ، إنما بعض القبائل وبعض الأفراد وذلك مثل قيس بن عاصم التميمي الذي وأد بضعة عشر بنتا. ومنهم من كان يئد من البنات من كانت زرقاء شيماء (بها علامة قبيحة) أو برشاء (بها نقط أبيض) أو كسحاء (قعيدة) أو خوفا من الفقر والعار.

ودعـا الإسـلام إلـي المعاملـة الطيبـة ومراعـاة الضـمير في العلاقـات والتجـارات والميراث ، والحـق أنـه لم يـترك شـيئا إلا سـن لـه قوانينـه ونظـم دساتيره.

وأحدث الإسلام بالإضافة إلي ذلك كله – قيما جديدة : دينيـة وعقليـة وإنسـانية ونفسـية كـثيرة. فلقـد قضـي علـي عبـادة الأصـنام ودعـا إلـي نبـذ الأوثـان وتـرك الكهانـة والخرافـة والشـعوذة مرتفعـا بـذلك بعقليـة الإنسـان ومخلصـا الإنسـانية مـن الحماقـة والطـيش، ودعـا الإنسـان إلـي عبـادة اللّه الواحد الأحد ، كما دعا إلي التأمل في ملكوت السموات والأرض والنظر في الكـون والـنفس والحيـاة ، والـتفكير في مخلوقـات اللّه عـز وجـل [١] ، وقد تضمن كثير من الآيات الدعوة إلي ذلك الـتفكير والتأمـل [٢] ، ونحـي الإسلام باللائمة علي كل من لا يستخدم عقله ، فدعا إلي استغلال العقـل وأشـار إلـي فضـيلته ؛ ولـذا أوجـب علـي الإنسـان أن يسـتخدمه في العلـم والمعرفة النافعة وخاصة معرفة اللّه سبحانه وتعـالي. وكمـا ارتفـع الإسـلام بالعقل البشري [٣] ، فقد ارتفع بالإنسان عامة فدعاه إلي السـمو وحـرره مـن العبوديـة وجعـل النـاس سواسـية كـأسـنان المشـط وكـرم الإنسـان فجعلـه أكـرم المخلوقـات [٤] ، وحـث علـي الحريـة والكرامـة ، واعتـد بحقـوق الإنسان، ودعا إلي السلم والوئام، ونبذ الحروب والخصام.

والحق أن الإسـلام قـد يـدل حيـاة العـرب المفككـة وأخلاقهـم السـيئة بحيـاة شـريفة لا يسـتبد فيهـا ظـالم ولا يسـودها حقـد أو ضـغائن ، وأبـدلهم

---

(١) قال تعالي : " إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب " آل عمـران ١٩٠ .

(٢) قال عز وجل : " وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون . الذاريات ٢٠ ، ٢١. وقال عز من قائل : " قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله علي كل شـئ قدير " العنكبوت ٢٠ .

(٣) ولذلك كانت أول أية في القرآن الكريم داعية إلي العلم والتعليم والمعرفة ، قال تعالي :" اقرأ باسم ربـك الذي خلق – خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الآكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم " العلق ١– ٥ . وكان العلماء من أكثر الناس خشية لله عز وجل كما يشير إلي ذلك القرآن في قوله تعالي " إنمـا يخشي الله من عبادة العلماء " فاطر ٢٨ .

(٤) قال تعالي : ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر " الإسراء – ٧٠ .

بالجفاء والغلظة وخشونة القول والفظاظة والعنهجية أدبا كريما وقولا لينا وخلقا عظيما وطباعا تفيض بالجلال والبهاء ، طباعاً تعتمد علي طهارة النفوس وسلامة الصدور وصفاء القلوب .

ولا يمكن أن يغفل ذلك الأثر الروحي العظيم فلقد تحول العرب من حياة القلق والخوف والحيرة إلي حياة ملؤها الأمن والسكينة والاطمئنان إلي جنب الله .

لقد حولهم الإسلام إلي حياة التقي والورع والتواضع والزهد وكبح جماح النفس والسعي في مناكب الأرض والحياة .

وبمعني أدق استطاع الإسلام أن يحول حياة الإنسان العربي إلي حياة كلها رضا وطهر ونقاء وعفة وسكينة وصفاء.

مكانة الشعر فى صدر الإسلام

الشعر فن جميل يطلب فيه الرواء والإمتاع، ويستحسن فيه الحجة والإقناع، كما يستحسن فيه الاعتماد علي الدعوة الهادفة والكلمة الصادقة. وما أعتقد أن أمة علي الإطلاق قد اهتمت بالشعر اهتمام الأمة العربية به فلقد كان العرب يحتفون بالشعر والشعراء، وكانت الفرحة تغمرهم إذا ولد في القبيلة شاعر، وكانت مكانة الشاعر تسمو في بعض الأحيان علي منزلة كثير من أبناء قبيلته فكان يختار ضمن مجلس العشيرة .

لقد كان الشاعر هو الذي يسجل محامد القبيلة، ويذكر مآثرها ، ويدفع قومه إلي المكرمات وتحقيق الأمجاد، ويحثهم علي طلب الثأر ويهجو خصومه ، ويرفع منزلة قبيلته ويمدحها ، ولربما كان بيت واحد من الشعر يرفع أقواما ويضع آخرين . " وكان العرب يرون أن الشعر خير كلامهم وأفضل فخارهم ؛ لأنه ديوانهم الذي يسجلون فيه حروبهم "[1] وأمجادهم وتاريخهم ، وهو مجال فصاحتهم الذي يتبارون فيه ، ويتسابقون إليه . ولقد جاء القرآن متحديا هاتيك البلاغة وتلك الفصاحة فما استطاع القوم – رغم أنهم أساطين البلاغة وأرباب الفصاحة – أن يأتوا بآية من مثله[2] فلقد بهروا أمامه وبهتوا واعترفوا بعلو القرآن وسمو نظمه . لقد كانت مكانة الشعر في العصر الجاهلي سامية سامقة ، وحينما جاء الإسلام كان له موقفه الواضح الجلي من الشعر والشعراء فهو يرفض من الشعر ما يتنافى وتعاليم الدين ، ويرضي منه بكل ما يتساوق وقيمه الجلية . ولكن البعض حاول أن يشوه تلك الصورة فادعي أن الشعر قد ضعف وقلَّ واضمحل في ظل الإسلام ، وذهب إلي أن الإسلام قد حمل علي الشعر وشن حربا شعواء علي الشعر والشعراء .

---

(١) الشعر الإسلامي في صدر الإسلام، د. عبد الله الحامد، ص٢٢، ط١، مطابع الإشعاع التجارية بالرياض سنة ١٩٨٠ .

(٢) قال تعالي:" وإن كنتم في ريب مما نزلنا علي عبدنا فأتوا بسورة من مثله، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين " – البقرة ٢٣ ، ٢٤ .

ولكن ! هل حقا قل الشعر واضمحل في ظل الإسلام ولم تكن له تلك المكانة السامية التي احتلها في العصر السابق ، نقصد العصر الجاهلي .

وللرد علي ذلك يمكن أن نتوقف عند عدة نقاط نستدل بها علي أن الشعر لم يقل ولم يضمحل ونرد بها علي هؤلاء ونبرهن علي أن مكانته لم تهتز في ظل الإسلام بل عدَّل الإسلام مساره وهذب أشجاره وأينع ثماره.

١- ينبغي أن نعلم أن القرآن الكريم حينما نفي صفة الشاعرية عن الرسول ﷺ في قوله تعالي : وما علمناه الشعر وما ينبغي له [1] **إنما نفاها لأسباب أهمها.**

أ- أن النبي ﷺ وهو حامل لواء الدين ومرتل آى القرآن الكريم والمرسل نذيرا وبشيرا ما كان يمكن أن يقول كلاما من عنده ، وإنما هو يتلو كلاما منزلا من قبل الله عز وجل.

ب- أن نفي صفة الشاعرية عن الرسول ﷺ امتداد طبيعي لنفي صفة الشعر عن القرآن الكريم .

ج- ما كان للدعوة الإسلامية أن تقبل " لو كان الرسول ﷺ شاعرا فلقد عرف العرب أن الشاعر تابع الشيطان منه يقتبس وعنه يتلقي الإلهام ".

د- أن مهمة الرسول ﷺ لم تكن الامتاع الفني بل هي مهمة أسمي وهي الإقناع العقلي والتبشير بدين سماوي عظيم ينظم للناس حياتهم .

هـ - ما عرف عن الشعر من الميل إلي المبالغة والادعاء وما اشتهر به الشعراء من الجنوح إلي الخيال والتهويل والتهويم .

٢- أن الرسول ﷺ ما كان يقيم إنشاد الأبيات علي الإطلاق كما دلت علي ذلك الأخبار الصحيحة والأحاديث الصريحة الدلالة.

والبيت الذي صح وزنه وجري علي لسان رسول الله ﷺ وهو من الرجز، المنهوك والمشطور قوله .

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

---

(١) سورة يس- ٦٩. / ٢ - الشعر الإسلامي / عبدالله الحامد / صـ ٢٤

٣- كان الرسول ﷺ – وهو العربي الخالص – يتذوق فن الكلام ويعرف ما للشعر من قيمة وتأثير فهو أفصح العرب علي الإطلاق ، وعليه نزلت أفصح الكلمات .

٤- قول الرسول ﷺ عن امرئ القيس بأنه قائد لواء الشعراء إلي جهنم[١] يعود إلي ما في شعر امرئ القيس من تهتك وفجور وعهر ومجون وما فيه من مخالفة لدين الله ، فامرؤ القيس هو أول من فتح أمثال هذه الأبواب المجونية فنهج الشعراء الفاسدون نهجه وسلكوا سبيله واتخذوا طريقه ، ولعل الرسول بهذا الحديث يحذر الشعراء من السير علي طريقة امرئ القيس وكأنما يريد إن يقول لهم إن من سار علي نهج امرئ القيس فلسوف يلقي جزاءه في جهنم .

٥- لكي نرد علي المدعين الذين ذهبوا إلي أن الإسلام هاجم الشعراء في قوله تعالي " والشعراء يتبعهم الغاوون ...." لابد أن نشير إلي ضرورة إكمال الآيات التي وردت في سورة الشعراء ولا نصنع صنيع المتوقفين عند قوله تعالي : ولا تقربوا الصلاة ...." أو صنيع المغرضين الذين يزعمون أن الله توعد المصلين بالويل في قوله تعالي "ويل للمصلين ...."فلقد قال عز من قائل " : ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى [٢] " وقال ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهمون " [٣]

ولهذا يجب أن نكمل الآيات في سورة الشعراء " والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعدما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون " [٤] ففي نهاية الآيات

---

(١) ابن عساكر ، التاريخ الكبير،جـ ٣ صـ١٠٥ ، وابن رشيق /العمده ، جـ ١ص٧٦ ، والعقد الفريد ، جـ٥ ، ص ٢٧٠ وقد قال عنه ﷺ" ذلك رجل مذكور في الدنيا منسي في الآخرة شريف في الدنيا خامل في الآخرة ويجئ يوم القيامة في يده لواء الشعراء "

(٢) سورة النساء / ٤٣ .

(٣) سورة الماعون / ٤، ٥ .

(٤) سورة الشعراء / ٢٢٤- ٢٢٧.

استثناء يخرج الشعراء المؤمنين من دائرة الشعراء الغاوين الهائمين في كل واد. ولهذا يجب أن يلاحظ أن المقصود بالشعراء الغاوين هم المشركون الذين آذوا النبي بالهجاء وهذا ما فهمه ابن رشيق من الآية ، ومما يدلنا علي ذلك الفهم أنه لما نزلت هذه الآية جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك إلي رسول اللّه وهم يبكون فقالوا قد علم اللّه حين أنزل هذه الآية أنا شعراء [1] فتلا النبي ﷺ"إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

٦- لكي نفهم قوله ﷺ " لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا" يجب أن نعرف أولا أن الشاعر كالنحلة تأخذ من كل زهرة رشفة ومن كل بحر قطرة وأن أفكاره بعيدة عن الثبات والاستقرار وهو واسع الخيال فإنه يقول أحيانا ما لا يفعل فيفتخر ويدعي الغلبة وهو المغلوب ويزعم أنه انتصر وهو المهزوم المقهور .

ويجب أن نربط هذا الحديث بمناسبته فهي تلقي ضوءا من البيان عليه فعن أبي سعيد رضي اللّه عنه قال : بينما نحن نسير مع رسول اللّه ﷺ بالعَرْج " واد بالحجاز " إذ عرض شاعر ينشد فقال الرسول ﷺ خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان ." لأن يمتلئ جوف رجل قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا [2] ومن سياق المناسبة يبدو أن الشاعر فاجأ القوم يتغني بما يكرهون وما كانوا يكرهون إلا حديثا يمت إلي صنم أو يتصل بوثن أو يهدم فضيلة أو يدعو إلي فساد[3] ورذيلة وهم في موقف ليسوا في حاجة فيه إلي الشعر فلقد كانوا مشغولين بما هو أهم ؛ ولذا فقد فسر الحديث بأن يمتلئ قلبه حتى يشغله عن القرآن وذكر اللّه ووضع في البخاري تحت باب " ما يكره أن يكون الغالب علي الإنسان الشعر حتى يصده عن اللّه

---

(١) انظر تفسير الطبري، ج ١٩، ص٧٩، وانظر الآدب في عهد النبوة والراشدين/ د صلاح الدين الهادي، ص٢١٦– ٢١٨/ ط الخانجي ١٩٨٧م، وانظر العصر الاسلامي/ د شوقي ضيف/ ص٤١ ، دار المعارف .

(٢) صحيح مسلم / جـ٤، ص ١٧٦٩ ، ط دار الحديث القاهرة ، سنة ١٩٩٠ م وقال بعضهم وفي روايات أخري في صحيح مسلم فيها. قول الرسول صلي الله عليه وسلم، لأن يمتلئ جوف الرجل قيحا يريه خير من أن يمتلئ شعرا وقوله صلي الله عليه وسلم"لأن يمتلئ جوف أحدكم قيمحا يريه خير من أن يمتلئ شعرا .

(٣) الشعر الإسلامي / د. عبداله الحامد / صـ ٢٩ – ٣٠ .

والعلم والقرآن. وفسر أيضا بأن المراد بالشعر شعر هجي به النبي ﷺ ويقصد بذلك الرجل الذي غلب الشعر على قلبه وملك عليه نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فرائض الله ، وأما ما يتخذ من الشعر أدبا وفكاهة طيبة وإقامة مروءة فلا جناح عليه .

هذا بالإضافة إلي أن الحديث يروي براوية أخري هي :.............خير له من أن يمتلئ شعرا هجيت به "

٧- ما جاء في القرآن الكريم من آيات أو ما جاء علي لسان الرسول ﷺ من كلمات علي وزن شعري ليست من الشعر رغم أنها موزونة وذلك مثل قول الله عز وجل " إن بعض الظن إثم "[١] فهو من مجزوء الرمل ولكنه ليس شعرا .

وكذلك ما جاء علي لسان الرسول ﷺ مثل قوله :" اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة "[٢] وقوله " أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب " فهي عبارات موزونه لكنها تفقد القافية الموحدة كما أنها لم تأت مقصودة لذاتها إنما جاءت هكذا عفوا بدون تعمد هذا من قبيل المنثور الذي يوافق المنظوم لأنه لا يراد به الشعر وإن كان موزونا.

٨- علينا أن نعلن أن مكانة الشعر لم تهتز في ظل الإسلام ولم تقل بل كان للشعر مكانة بارزة سامية سامقة ، وللدلالة على ذلك يمكن أن نسوق بعض مواقف النبي صلى الله عليه وسلم وبعض مواقف الصحابة من الشعر لنبرهن على صدق ما نذهب إليه .

أ- موقف النبي ﷺ من الشعر :

تدلنا الدلائل علي الرسول ﷺ كان يحب الشعر ويتذوقه وينقده ويستحسن بعضه ويستهجن بعضه ويتأثر به ويتمثل به في بعض المواقف ويرفع من مكانة الشعراء ويعلي من منزلتهم ويحبهم ويقربهم إليه ويدنيهم.

---

(١) سورة الحجرات / آية١٢

(٢) صحيح البخاري ، جـ ٤ ، ص ٤٢ .

ويمكن أن نسوق للدلالة علي ذلك ما يأتي :

١- قوله ﷺ :" إنما الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح وقوله عليه السلام:" إن من البيان سحرا ، وإن من الشعر حكما " حينما أعجب بكلام عمرو بن الأهتم .

وقوله ﷺ : " إن من الشعر لحكمة "[1]

والحديث الأول قاله الرسول ﷺ تعليقا على أبيات العلاء ابن الحضرمي التي يقول فيها "

حي ذوى الأضغان تسب قلوبهم   تحيتك القربى فقد ترقع النعلْ

فإن دحسوا بالكره فاعف تكرما   وإن خنسوا عنك الحديث فلا تسل

فإن الذي يؤذيك منه استماعه   وإن الذي قالوا وراءك لم يُقل

وروي الحديث بصورة أخري هي " إن من الشعر لحكمة فإذا ألبس عليكم شئ من القرآن فالتمسوه في الشعر فإنه عربي "انظر لسان العرب مادة شعر.

وللحديث الأخير مناسبة وهي أن أحد أصحاب رسول اللّه ﷺ كان قد خرج في إحدى الغزوات وكان الدم يسيل من جرحه بشكل متواصل ولم يجد فيه ضماد حتى جاء حسان فقال ائتوني بالكافور فوضع الكافور علي الجرح فجف الدم فسأل النبي حسانا من أين اقتبست هذا يا حسان فقال من قول الشاعر .

فكرت ليلة وصلها في هجرها   فجرت مدامع مقلتي كالعندم

فطفت أمسح مقلتي بخدها   إذ عادة الكافور إمساك الدم[2]

فقال النبي ﷺ" إن من الشعر لحكمة" .

---

(١) صحيح مسلم / جـ٤،ص ١٩٣٢ ، وانظر العقد الفريد /جـ٦ ، صـ١٢٣ "

(٢) العمدة / ابن رشيق/ جـ ١، ص ١٤.

٢- كان ﷺ يضع لحسان بن ثابت رضي الله عنه منبرا في المسجد ينشد فيه الأشعار وينافح عن الدين العظيم كما يدافع عن النبى الكريم ﷺ [١]

٣- كان عليه السلام يدعو لحسان فيقول :" اللهم أيده بروح القدس " وكان يقول له :" اهجهم وروح القدس معك " وفي رواية " اهجهم وجبريل معك "[٢].

٤- جاء حسان يستأذن النبي ﷺ في هجاء المشركين فقال له وكيف بنسبي؟ فقال " والله لأسلنك كما تسل الشعرة من العجين "[٣].

٥- كان يقول عن شعر حسان " لهذا أشد عليهم من وقع النبل "[٤]

٦- قال ﷺ لكعب بن مالك:"ما نسي ربك شعرا قلته قال وما هو يا رسول الله؟ فقال أنشده يا أبا بكر فأنشده أبو بكر قوله :

زعت سخينة أن ستغلب ربها   وليغلبن مغالب الغلاب [٥]

٧- كان عليه السلام يجند الشعر علي المشركين ويدل علي ذلك قوله لحسان شن القطاريف علي بني عبد مناف ، والله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام . [٦]

٨- كان عليه السلام يستنشد شعر أميه بن أبي الصلت " وأمية هذا شاعر آمن لسانه وكفر قلبه" والدليل علي ذلك ما روي من حديث أبي شيبة عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : " ردفت رسول الله ﷺ يوما فقال : هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شئ ؟ قلت : نعم فأنشدته بيتا ، فقال: هيه حتى أنشدته مائه قافية ، يقول بعد كل قافية : هيه"[٧].

---

(١) انظر كتاب " المساجد في الإسلام " إذ يقول مؤلفة طه الولي :" يحدثنا المؤرخون عن منبر آخر كان ينصب في المسجد النبوي الشريف بأمر النبي صلي الله عليه وسلم ليقف عليه شاعره حسان بن ثابت عند إنشاد قصائده في مدح النبي صلي الله عليه وسلم وهجاء كفار قريش علي أن هذا المنبر كان يوضع بصورة مؤقتة ثم يرفع بعد انتهاء حسان من إنشاد قصائده .....ولا يعلم هل له درجة أم كان عبارة عن منصة عادية " صـ ١٩٦ .

(٢) صحيح مسلم ، جـ ٤ ، صـ١٩٣٣، وكان يقول الشعراء المدينة " اهجوا بالشعر ،إن المؤمن يجاهد بنفسه بنفسه وماله والذي نفس محمد بيده كأنما تنضحونهم بالنبل " مسند الإمام أحمد / جـ ٣ ، صـ ٤٦٠
فيستجيب عبد الله بن رواحة فيعيرهم بالكفر ويهجوهم كعب فيذكر الحرب وأهوالها ثم ينبري حسان فيصيب منهم مقاتلهم ويخرس شعراءهم " ابن سلام / جـ ١ ، صـ ١٨٠

(٣) صحيح مسلم ،جـ٤، صـ١٩٣٤.

(٤) صحيح مسلم ،جـ٤، صـ١٩٣٥.

(٥) العقد الفريد ، جـ ٦ ، صـ ١٢٧ .

(٦) العقد الفريد ،جـ٦ ، ١٢٧ .

(٧) صحيح مسلم ، جـ ٤ ، صـ١٧٦٧.

٩- قال النبي ﷺ لعبد اللّه بن رواحة : أخبرني ما الشعر يا عبد اللّه ؟ قال : شئ يختلج في صدري فينطق به لساني ، قال : فأنشدني ، فأنشده شعره الذي يقول فيه :

فثبت الله ما آتاك من حسن قفوت عيسي بإذن الله والقدر

فقال النبي ﷺ: وإياك ثبت اللّه ، وإياك ثبت اللّه [(١)]

١٠- روي عن النبي ﷺ أنه طلب من عكرمة بن عباس أن ينشده شعرا لأمية بن أبي الصلت فأنشده قوله :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربي ومسانا

رب الحنيفة لم تنفد خزائنها مملوءة طبق الآفاق سلطانا

ألا نبي لنا منا فيخبرنا ما بعد غايتنا من رأس محيانا

وقد عبر الرسول ﷺ عن إعجابه بهذا الشعر بقوله : إن كاد أمية ليسلم" [(٢)]

١١- كان الرسول ﷺ يقبل على كل شعر يتضمن حكمة صادقة أو خلقا كريما أو رأيا صائبا في الحياة أو الناس " [(٣)]

والدليل علي ذلك ما روي عن أبي ليلى النابغة الجعدي من أنه قدم علي النبي ﷺ فأنشده شعره الذي يقول فيه:

بلغنا السماء مجدنا وثناؤنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له النبي ﷺ : إلي أين يا أبا ليلي ؟ فقال : إلي الجنة بك يا رسول اللّه فقال النبي ﷺ: إلي الجنة إن شاء اللّه ، فلما انتهي النابغة إلي قوله :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له موارد تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال له النبي ﷺ : أجدت ، لا يفضض اللّه فاك" فعاش النابغة مائة وثلاثين سنة لم تسقط له ثنية [(٤)]

---

(١) العقد الفريد ، جـ٦ ، صـ١٢٨.

(٢) الأغاني / جـ ٣ ، صـ١٨٣ .

(٣) الأدب في عصر النبوة الراشدين /د. صلاح الدين الهادي / صـ ٢٢١ .

(٤) العقد الفريد/ جـ٦، صـ١٢٦. وفي رواية: بلغنا السماء مجدنا وجدودنا، وانظر: جمهرة أشعار العرب/ أبو زيد القرشي/ صـ ٤٩ / ط١ – بيروت سنة ١٩٨٦

١٢- سمع النبي ﷺ السيدة عائشة تنشد شعر زهير بن جناب الذي يقول فيه :

ارفع ضعيفك لا يحلْ بك ضعفه يوما فتدركه عواقب ماجـــني

يجزيك أو يثني عليك فإن من أثني عليك بما فعلت كمن جزي

فقال ﷺ: صدق يا عائشة لا يشكر اللّٰه من لا يشكر الناس[1].

١٣- ذكر للنبي ﷺ قول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فقال هذا من كلام النبوة [2].

١٤- روي يزيد بن عمرو الخزاعي عن أبيه عن جده قال : دخلت علي النبي ﷺ ومنشد ينشده قول سويد بن عامر المصطلقي :

لا تأمنن وإن أمسيت فــي حــرم إن المنايا بجنبي كـــل إنســان

فاسلك طريقك تمشي غير مختشع حتى تلاقي الذي مني لك المانسي

فقال ﷺ:" لو أدرك هذا الإسلام لأسلم [3].

١٥- جاء ضرار بن الأزور إلي النبي ﷺ يقول : أأنشدك يا رسول اللّٰه، قال نعم فأنشده :

تركــت القيان وعــزف القيـــان وأدمــنت تصليــة وابتـــهالا

وكـــر المشقــر فــي حومـــة وشني علي المشــركيــن القتالا

فيــا ربـــي لا أغبنـــن صفقتـــي فقد بعت مالـــي وأهلي بـــدالا

فقال النبي ﷺ: ربح البيع، ربح البيع [4] وقيل" ما غنبت صفقتك يا ضرار ".

---

(١) العقد الفريد /جـ٦ ، صـ١٢٥.

(٢) العقد الفريد / جـ٦، صـ١٢٠ .

(٣) العقد الفريد / جـ٦ ، صـ١٢٥.

(٤) العقد الفريد/ جـ٦ ، صـ١٢٥ ، وانظر أسد الغابة ،ابن الأثير ، جـ٣ ، صـ٥٢ وفي رواية ابن الأثير.

خلعت القداح وعزف القيان والخمر أشربها والثمـــالا

وكرى المحبر فى غمــرة وجهدى على المسلمين القتالا

فيارب لا أغلبن صفقــتى فقد بعت أهلى ومالى بـــدالا

فقال النبي (ربح البيع، ما غبت صفقتك ياضرار) .

١٦- حدث زياد بن طارق الجشمي قال : حدثني أبو جرول الجشمي وكان رئيس قومه قال : أسرنا النبي ﷺ يوم حنين فبينما هو يميز الرجال من النساء إذ وثبت بين يديه وأنشدته .

امننْ علينا رسول الله في حرم ... فإنك المرء نرجوه وننتظر
امنن علي نسوة قد كنت ترضعها ... يا أرجح الناس حلما حين يختبر
انا لنشكر للنعي إذا كفرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فذكرته حين نشأ في هوازن وأرضعوه ؛ فقال ﷺ: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لله ولكم ، فقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لله ولرسوله فردت الأنصار ما كان في أيديها من الذراري والأموال [(١)]

١٧- روي أن الشعراء كانوا ينشدون الشعر بين يديه ﷺ في كثير من اللحظات، ومن ذلك أنه حينما دخل عليه السلام مكة معتمرا عمرة القضاء في السنة السابعة للهجرة قدم عبد الله بن رواحة فأخذ بخطام ناقته مرتجزا بأبيات منها .

خلوا بني الكفار عن سبيله ... خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب إني مؤمن بقيله ... أعرف حق الله في قبوله [(٢)]

١٨- يروي لنا التاريخ أن الذي هاج فتح مكة هو أن عمرو بن سالم الخزاعي خرج من مكة حتى قدم علي رسول الله ﷺ في المدينة، وكانت خزاعة في حلف النبي ﷺ .

وقد نقضت قريش العهد الذي بينها وبين الرسول ﷺ باعتدائها علي خزاعة وأصابت منهم مقتلا كثيرا فقال عمرو بن سالم يستصرخ الرسول ﷺ ويذكره بحلفه مع خزاعة :

---

(١) العقد الفريد / جـ٦ - صـ١٢٩ .

(٢) ديوان عبد الله بن رواحة/ تحقيق د. وليد قصاب/ صـ ١٤٤/ ط دار الضياء/ عمان/ ط ثانية سنة ١٩٨٨وانظر / سيرة ابن هشام / ق ٢ - جـ ٣ / صـ ٣٧١ - وقد قال سيدنا عمر : يا بن رواحة ، في حرم الله وبين يدي رسول الله صلي الله عليه وسلم تقول الشعر فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم "خل عنه يا عمر ، فلهو أسرع فيهم من نضح النبل " انظر :الترمذي باب الأدب " وانظر القرطبي جـ ١٣، صـ ١٥١.

يــا رب إنــي ناشـــد محمـــدا   حــلف أبينا وأبيه الأتــلــدا
إن قــريشـــا أخلفوك الموعـــدا   ونقضوا ميثاقك المــؤكـــدا
فانصر هــداك الله نصــرا أعتــدا   وادع عباد الله يأتــوا مــددا
هــم بيتـــونا بالوتيـــر هجـــدا   وقتلــونا ركعا وسجـــدا (1)

فلما سمع النبي ﷺ هذا الشعر دمعت عيناه وقال : نصرت يا عمرو .

١٩- قال ﷺ : إن أصدق بيت قالته العرب هو قول لبيد :

ألا كــل شـــئ ماخلا الله باطــل   وكل نعيم لا محالة زائل(2)

٢٠- كــان ﷺ يتـدخل في تعـديل بعـض الكلمـات في الشـعر ليسـاير الشعر روح الإسلام ، ومن ذلك ما روي من أن كعب بن زهير حينما قال البيت المشهور .

إن الرســول لنــور يستضـــاء به   مهند من سيوف الهند مسلول

قال له الرسول " من سيوف الله "فعدل كعب هذا البيت وقال :

-------------   مهند من سيوف الله مســلول(3)

٢١- روي عنه ﷺ أن اسيد بن أبي أناس جاءه يقول وأنت الفتي تهدي معدا لدينها.... فقال له النبي ﷺ : بل اللّه يهديها " فقال أسيد :

وأنـــت الفتي تهــدي معدا لدينا   بل الله يهديـــها وقـــال لك أرشد

٢٢- كان ﷺ يتأثر بالشعر أيما تأثر، والدليل علي ذلك أنه لما نزل الأثيل وهو موضع قرب المدينة أمر عليا فضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف صبرا ، فقالت له قتيلة بنت النضر ابن الحارث وهو يطوف بالكعبة .

يـــا راكبــا إن الأثيــل مظنـــــة   من صبح خامسة وأنت موفــق
أبلـــغ بـــها ميتــا بأن قصيــــدة   ما إن تزال بها النجائب تخفــق

---

(١) العقد الفريد / جـ ٦ ، صـ١٣٠ وانظر سيرة ابن هشام ، ق ٢ ، جـ ٣ ، صـ ٣٩٤ .
(٢) صحيح مسلم / جـ٤ ، صـ ١٧٦٨ (وفي رواية أشعر كلمة تكلمت بها العرب وفي رواية أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد" .
(٣) انظر شرح ديوان كعب بن زهير، ص٢٣، ط٣، دار الكتب المصرية٢٠٠٢، صنعة أبي سعيد السكر.

منى إليك وعبرة مسفوحة جادت لماتحها وأخرى تخنق

هل يسمعني النضر إن ناديته أم كيف يسمع ميت لا ينطق

أمحمد ها أنت نجل نجيبة في قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتي وهو المغيظ المحنق

فالنضر أقرب من قتلت قرابة وأحقهم إن كان عتق يعتق

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه لله أرحام هناك تمزق

فتأثر الرسول ﷺ بهذا الشعر أيما تأثر ، وقال لو بلغني هذا قبل قتله ما قتلته [1]

٢٣- ومما يدلنا علي تأثره بالشعر واهتزازه له ، وانفعاله به ما روي من أنه كان قد أهدر دم كعب بن زهير ، فلما جاء كعب تائبا نادما منشدا قصيدته المشهورة "بانت سعاد " والتي مدح فيها النبي ﷺ، عفا عنه النبي وألقي عليه بردته الشريفة ثوابا له .

٢٤- روي عن الرسول ﷺ أنه جلس في مجلس ليس فيه إلا خزرجي فاستنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم (وهو شاعر من الأوس) يعني القصيدة التي مطلعها :

أتعرف رسما كاطراد المذاهب لعمرة وحشا غير موقف راكب

فأنشده بعضهم إياها حتى بلغ إلي قوله :

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

فالتفت إليهم رسول الله ﷺ فقال : هل كان كما ذكر ؟ فشهد له ثابت بن قيس بن شماس وقال له : والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه فجالدنا كما ذكر.

فهذا مجلس أدبي شارك فيه الرسول ﷺ بالسماع والتذوق ، فلو كانت مكانة الشعر قد قلت ما وجدت أمثال تلك المجالس التي كان الرسول عليه السلام يشارك فيها .

---

(١) العقد الفريد، ج٦، ص١٢٩،١٣٨. والبيان والتبين ج٤، ص٤٤، تحقيق عبد السلام هارون، الذخائر٢٠٠٣

٢٥- لا أدل علي علو مكانة الشعر من احتفاء الرسول بالشعراء وحبه إياهم فلقد روي أن المقوقس قد أهدي للرسول ﷺ بعض الهدايا منها: مارية القبطية وجارية أخري هي أخت مارية "سيرين" فتزوج الرسول ﷺ مارية وأهدي الجارية الثانية لشاعره المشهور حسان بن ثابت دلالة علي اعتزازه بالشعر واحتفائه بالشعراء وحبه لهم ودلالة علي ارتفاع مكانة الشعراء في عهده .

٢٦- كان الرسول ﷺ يستمع إلي الخنساء ويسألها أن تزيده من شعرها، ويقول لها : إيه يا خناس .[1]

٢٧- كانت القبائل تفد عليه ﷺ لتعلن إسلامها وفي هذه الوفود شعراء يتحدثون باسم قبائلهم وكان الرسول يستمع إليهم وذلك مثلما حدث مع وفد تميم الذي جاء ومعه شاعرهم الزبرقان بن بدر الذي وقف يقول :

نحن الكرام فلا حى يعادلنا   منا الملوك وفينا تقسم الربع

إن أبينا ولم يأب لنا أحد   وإنا كذلك عند الفخر نرتفع

فبعث رسول الله ﷺ إلي حسان ولم يكن بالمجلس، فلما سمع قول هذا الشاعر قال له النبي عليه السلام قم يا حسان فأجب الرجل فقال مرتجلا قصيدته التي منها هذه الأبيات :

إن الذوائب من فهر وإخواتهم   قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضي بها كل من كانت سريرته   تقوي الإله وبالأمر الذي شرعوا

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم   أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

إن كان في الناس سباقون بعدهم   فكل سبق لأدني سبقهم تبع

ولما انتهي من القصيدة قال الأقرع بن حابس رئيس الوفد " لشاعره - يعني حسان شاعر الرسول – أشعر من شاعرنا .

٢٨- قول النبي ﷺ لكعب بن مالك " إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسى بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل "

---

(١) طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي ،جـ١ صـ ٢٢٨.

٢٩- عندما أنشد سيدنا حسان قصيدته التي رد بها علي أبي سفيان بن الحارث والتي مطلعها :

عفت ذات الأصابع فالجواء　　　إلي عذراء منزلها خلاء(١)

دعا له الرسول ﷺ بالجنة مرتين، وعندما وصل حسان إلي قوله :

هجوت محمدا فأجبت عنه　　　وعند الله في ذاك الجزاء

قال ﷺ " جزاؤك عند الله الجنة يا حسان " ولما وصل حسان إلي قوله .

فإن أبي ووالده وعرضى　　　لعرض محمد منكم وقاء

قال ﷺ " وقاك الله حر النار "(٢)

٣٠- كان ﷺ يعجب بقول عنترة :

ولقد أبيت علي الطوي وأظله　　　حتى أنال به كريم المأكل

وقد جسد ﷺ إعجابه بعنترة فقال " ماوصف لي أعرابي قط فأجببت أن أراه إلا عنتره "(٣)

٣١- قوله ﷺ " لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين(٤)

٣٢- استماع الرسولﷺ إلى كعب بن زهير وهو ينشد قصيدته "بانت سعاد"

٣٣- جاء رجل إلى الرسولﷺ ينشده قول سحيم عبد بني الحسحاس :

الحمد لله حمدا لا انقطاع له　　　فليس إحسانه عنا بمقطوع

فقال عليه السلام :" أحسن وصدق وإن الله ليشكر مثل هذا "(٥)

٣٤ - التفت مرة ﷺ إلى حسان قائلا هات ما قلت في وفي أبي بكر فقال حسان :

إذ تذكرت شجوا من أخي ثقة　　　فاذكر أخاك أبابكر بما فعلا

---

(١) ديوان حسان ، صـــ ٧١ .
(٢) العمدة ، جـــ١ ، صـــ ٣٩ .
(٣) الأغاني ، جـــ ٧ ، صـــ ١٤٤، .
(٤) العمدة /جـــ١ ، صـــ ٣٠ .
(٥) الإصابة ، جـــ ٢ ، صـــ ١٠٩.

فقال ﷺ : صدقت يا حسان . دعوا لي صاحبي[1] وفي رواية : صدقت يا حسان هو كما قلت .

٣٥ - عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يخصف نعله وكنت أغزل فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا فبهت فنظر إلي فقال : مالك بهت ؟ فقلت يا رسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا فلو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره قال وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذلي فقالت يقول:

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

قالت فوضع رسول الله ﷺ ما كان في يده وقام إلي فقبل ما بين عيني وقال : جزاك الله يا عائشة خيرا ما سررت مني كسروري منك.[2]

٣٦- قال رسول الله ﷺ : أمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى .

٣٧- كان يرتجز بأبيات عامر بن الأكوع أثناء خروجه إلى خيبر في السنة السابعة للهجرة وهي الأبيات التي يقول فيها :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا[3]

٣٨- كان كثيرا ما يطلب ﷺ سماع الشعر أثناء رحلاته ليهون به السفر ومن ذلك أنه سأل عن حسان في إحدى ليالي سفره فقال حسان لبيك يا رسول الله وسعديك فقال له النبي " احدُ" فجعل ينشد والنبي يصغي إليه فمازال يستمع إليه وهو سائق راحلته حتى فرغ من نشيده[4] .

٣٩- يجب ألا ننسى أن النبي ﷺ قد استقبله بنو النجار يوم وصل المدينة مهاجرا إليها بقولهم.

---

(١) ديوان حسان ، صـ٢١١، صـ٣٩٥ ، وانظر مجمع الزوائد / كتاب الثاقب جـ ٩ ، صـ٤٣.

(٢) تهذيب حلية الأولياء/ أبو نعيم الأصفهاني تهذيب د. أحمد طه وهبه دار الأندلس الجديدة/ مصر/ ط١ سنة ٢٠٠٤.

(٣) سيرة ابن هشام ، جـ ٢، صـ ٣٢٨.

(٤) الأغاني ، جـ٤،صـ١٤٣.

طلـــع البــــدر علينـــــا   من ثنيـــات الـــوداع
وجـــب الشكـــر علينـــــا   مـــا دعـــــا لله داع

٤٠- حينما جاءه ابن حبيب ينشده قول سحيم عبد بني الحسحاس :

الحمد لله حمدا لا انقطاع له   فليس إحسانه عنا بمقطوع

قال ﷺ : " أحسن وصدق وإن اللّه ليشكر مثل هذا ، وإن سدد وقارب إنه لمن أهل الجنة " [(١)] .

٤١ – سمع النبي ﷺ كعب بن مالك يقول :

ألا هل أتي غسان عنا ودونهم   من الأرض خرق غوله متنعنع
مجـــالدنا عن جذمنا كل فخمة   مذربـــة فيها القوانـــس تلمـــع

فقال لا تقل: عن جذمنا وقل عن ديننا ، فسر كعب وعدل البيت وافتخر بذلك قائلا :ما أعان رسول اللّه ﷺ أحدا في شعره غيري [(٢)] ويلاحظ أنه ﷺ قد أعان كعب بن زهير أيضا في قصيدته " باتت سعاد ".

٤٢- امتدح الرسول ﷺ ابن رواحة لعفة لسانه فقال " إن أخاكم لا يقول الرفث "

٤٣- روى حريم بن أوس الطائي قال : قدمت علي رسول اللّه منصرفا من تبوك فسمعت العباس عمه يقول : يا رسول اللّه إني أريد أن امتدحك فقال ﷺ قل : لا يفضفض اللّه فاك فأنشأ يقول .

من قبلها طبت في الظلال وفي   مستودع حيث يحصف الورق[(٣)]
الورق[(٣)]

وبعـــد: فلقد كان الرسول ﷺ يتذوق الكلمة ويعرف للشعر قيمته وتأثيره وكثيرا ما كان يستنشد الرواة الشعر ويستمع إلي ما يروون ويسهم في نقد بعض معانيه ويقيم ما يشبه المجالس الأدبية التي يشارك فيها ويقبل علي الشعر راغبا في سماعه، ويسأل أصحابه عنه، ويدعو لشعرائه بالتوفيق ويبدي إعجابه ويرشد إلي مواطن الخير فيه، ويرشد إلي مواطن الخلل فيه فيقومه .

---

(١) انظر الإصابة / ابن حجر / جـ ٢ ، صـ ١٠٩ .
(٢) ابن هشام / جـ ٢ ، صـ ١٣٢- ١٣٦ .
(٣) الاستيعاب / جـ ٢ ، صـ ٣٥٤ .

وكان يتخذه وسيله إعلامية ، وحربا نفسيه في بعض الأحيان وكان يتأثر بالشعر المعبر عن مشاعر إنسانية مهذبة وعواطف راقية سامية ويتخذه وسيله للجهاد وينفعل ببعضه أشد الانفعال ويقدره أعظم التقدير ويعتز به ويحتفي أيما احتفاء ويقرب الشعراء إليه ويرفع من منزلتهم ويرتضي ما ارتضاه القرآن الكريم ويقوم الشعراء . ويوجههم ، وله لمحات نقدية رائعة ويستمع إلي الرجال والنساء علي حد سواء ، وفي ذلك كله دلالة صادقة علي علو منزلة الشعر في عهده ﷺ .

ب- موقف الصحابة من الشعر :

لم يكن موقف الصحابة من الشعر إلا كموقف الرسول ﷺ منه ، ولم يكن شأن الشعر في عهد الخلفاء أقل منه في عهد النبي عليه السلام ، فلقد كانوا يشجعون الشعراء ويحثونهم علي قول الشعر ويستمعون إليهم ويتذوقون الشعر ويتأثرون به أيما تأثر ويشاركون في نظمه .

وللدلالة علي علو مكانة الشعر في عصر الخلفاء الراشدين يمكن أن نسوق **الأدلة الآتية:**

١- حكي جابر بن سمرة قال : جالست الرسول ﷺ أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الأشعار في المسجد .

٢- كتب عمر بن الخطاب إلي أبي موسى الأشعري يقول :" مر من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل علي معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب"

٣- روي أنس بن مالك قال : قدم علينا رسول الله ﷺ وما في الأنصار بيت إلا وهو يقول الشعر [١]

٤- قال عمر بن الخطاب للوفد الذي قدم عليه من غطفان : من الذي يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب؟

---

(١) العقد الفريد ، جـ ٦ ، صـ ١٣٤.

قالوا : نابغة بني ذبيان ، قال : فمن ذا الذي يقول هذا الشعر ؟

فألفيت الأمانة لم أخنها كذلك كان نوح لا يخون

قالوا : هو النابغة، قال: هذا أشعر شعرائكم[١] أى أشعر شعراء بني غطفان غطفان

٥- قال عمر بن الخطاب لابن عباس أنشدني لأشعر الناس الذي لا يعاظل بين القوافي (أى لا يعقد ولا يوالي بعضه فوق بعض ولا يتتبع حوشي الكلام، قال من ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال زهير بن أبي سلمي[٢] فلم يزل يزل ينشده من شعره الكثير وهو القائل :

وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا [٣]

٦- عقد عمر بن الخطاب ذات ليلة مجلسا لابن عباس طالبا منه أن ينشده لشاعر الشعراء فقال ابن عباس : ومن هو ؟ قال الذي يقول :

ولو أن حمدا يخلد الناس أخلدوا ولكن حمد الناس ليس بمخلد

قلت: ذاك زهير، قال فذاك شاعر الشعراء ، قلت وبم كان شاعر الشعراء ؟ قال لأنه كان لا يعاظل في الكلام وكان يتجنب وحشى الشعر ولم يمدح أحدا إلا بما فيه [٤]

٧- قال عمر بن الخطاب : الشعر جزل من كلام العرب يسكن به الغيظ وتطفأ به الثائرة ويتبلغ به القوم في ناديهم ويعطي به السائل [٥]

٨- لما هاجر النبي ﷺ إلي المدينة وهاجر أصحابه مسهم وباء المدينة فمرض أبو بكر وكان إذا أخذته الحمي يقول :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدني من شراك نعله[١]

نعله[١]

---

(١) العقد الفريد ، جـ٦ ، صـ ١١٩ وانظر الشعر والشعراء ، جـ ١ ، صـ ١٥٨ – ١٥٩ ، وانظر ديوان النابغة صـ ١٢٦ تحقيق وشرح كرم البستاني / دار بيروت للطباعة سنة ١٩٨٠.

(٢) العقد الفريد ، جـ ٦ ، صـ ١١٩ .

(٣) العقد الفريد ، جـ ٦ ، صـ ١٢٠ .

(٤) الأغاني ، جـ ٩ ، صـ ١٤٠ .

(٥) العقد الفريد ،جـ ٦ ، صـ ١٣٠ .

٩- روي ابن سلام عن ابن جعدية قوله : ما أبرم عمر بن الخطاب أمرا إلا تمثل فيه ببيت من الشعر" [٢]

١٠- سئل مالك بن أنس عن أبيه من أين شاطر عمر بن الخطاب عماله ؟ فقال أموال كثيرة ظهرت عليهم وإن شاعرا كتب إليه يقول :

نحج إذا حجوا ونغرو إذا غزوا فأني لهم وفر ولسنا بذي وفر

إذا التاجر الهدي جاء بفارة من المسك راحت في مفارقهم تجري

فدونك مال الله حيث وجدته سيرضون إن شاطرتهم منك بالشطر

فشاطرهم عمر أموالهم[٣]

١١- كان سيدنا عمر قد حبس الحطيئة بسبب كثرة هجائه ، ولكنه لما سمع قوله :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ زغب الحواصل لاماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

تأثر تأثرا شديدا وأفرج عنه بعد أن أخذ العهد عليه بالكف عن الهجاء وأعطاه ثلاثة آلاف درهم مشتريا بذلك منه أعراض المسلمين[٤]

١٢– روي عن سيدنا عمر قوله من خير صناعات العرب : الأبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته ، يستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم [٥].

١٣- لم تقف مكانة الشعر لدى الصحابة والخلفاء الراشدين عند حد التمثل بالشعر والتأثر به بل كان منهم من هو شاعر ينظم البيت والبيتين، والمقطوعة والمقطوعتين والقصيدة والقصيدتين بل الديوان برمته مثل : حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ، ومن الخلفاء الذين ذكر لهم شعر سيدنا أبو بكر الصديق ومن شعره قوله :

---

(١) العقد الفريد ، جـ ٦ ، صـ١٣٠، وانظر ديوان أبي بكر ، صـ ٥٢ .
(٢) بهجة المجالس ، جـ١، صـ ٣٧.
(٣) العقد الفريد ، جـ ٦ ، صـ ١٣١
(٤) الأغاني ، جـ ٢ ، صـ ٥٤ .
(٥) البيان والتبين ، جـ ٢ ، صـ ١٠٢ .

أيا عين جودي ولا تسأمي وحق البكاء علي السيـــد
فصلي المليك إله العبـــاد ورب البلاد علي أحمـــد
فكيف الإقامة بعد الحـــبيــ ـــب بين المحافل والمشهد
فليت الممات لنا كلنـــا وكنا جميعا مع المهتـــدي[1].
المهتـــدي[1].

ومن شعر عمر قوله يوم فتح مكة :

ألم تــر أن الله أظهـــر دينـــه علـــي كـــل ديـــن قبـــل ذلك حائد
وأمكنـــه مـــن أهل مكة بعدمـــا تداعوا إلي أمـــر مـــن الغي فاســـد
فأمسى رسول الله قد عز نصره وأمسى عـــداه مـــن قتيل وشـــارد

ومن شعر علي قوله :

أفاطم قد أبليت في نصر أحمد ومرضاة رب بالعباد رحيم
أريد ثواب الله لا شئ غيـــره ورضوانه في جنة ونعيم[2]

ومن شعره أيضاً قوله :

نصرنا رسول الله لما تدابروا وثـــاب إليه المسلمون ذوو الحجى
ضربنا غواة الناس عنه تكرما ولما يروا قصد السبيل ولا الهدي[3]

١٤- لم يكـن الرجـال مـن الصـحابة فقـط هـم الشـعراء بـل شـاركت المـرأة المسـلمة في ميـدان الشـعر ، ومـن النســاء الشـواعر الخنســاء ومـنهن صفية بنت عبد المطلب، ومن شعرها في رثاء النبي قولها :

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا بـــرا ولـــم تك جافيـــا
وكنت رحيما هاديا ومعلمـــا ليبـــك عليك اليوم من كان باكيا[4]

ومنهن عاتكة بنت عبد المطلب ومن شعرها يوم بدر قولها :

فهـــلا صبـــرتم للنبـــي محمد ببدر من يغش الوغى حق صابـــر
ولم ترجعوا عن مرهفات كأنها حريـــق بأيـــدي المؤمنين بواتـــر
ولم تصبروا للبيض حتى أخذتم قليـــلا بأيـــدي المـــؤمنين مساعر

---

(١) ديوان أبي بكر ، صـــ ٣٢ .
(٢) ديوان الإمام علي / جمع وترتيب : عبد العزيز الكرم صـــ١١٥ / ط دار العلم / بيروت .
(٣) ديوان الأمام علي /صـــ١٠.
(٤) شعر صفية بنت عبد المطلب / د. محمد أبو المجد علي / صـــ١٥١ / ط الآداب سنة٢٠٠٢.

١٥- الخنساء كانت شاعرة ولها ديوان من الشعر.

١٦- صفية بنت عبد المطلب لها من الشعر ما ألف ديوانا بأكمله.

١٧- للسيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ شعر ومن ذلك قولها في رثاء النبيﷺ:

قل للمغيب تحت أطباق الثرى إن كنت تسمع صرختي وندائيا

صُبت علي مصائب لو انها صبت علي الأيام عدن لياليا[(١)]

ويلاحظ أن عدد الشواعر فى صدر الإسلام قد بلغ خمسة و ستين شاعرة[(٢)].

وبعد : فإن الشعر في صدر الإسلام لم يكن قليلا ولا ضعيفا ولم تتراجع مكانته ولم تهتز بل ارتفعت وسمت واتجه به الإسلام الاتجاه الصحيح ووجهه الوجهه السليمة وكل الأدلة التي سقناها تبرهن على علو تلك المكانة ، ولبيان وفرة الشعر في تلك الفترة يمكن أن نشير إلى شيئين مهمين في نهاية الموضوع هما.

أولاً : أن هذه الفترة قصيرة إذا قيست بالفترة السابقة نعني العصر الجاهلي – فهي فترة لا تتجاوز الخمسين سنة بينما يمتد العصر الجاهلي إلى نحو قرنين من الزمان، ومعنى ذلك أن فترة صدر الإسلام لا تزيد – من الناحية الزمانية- على ربع العصر الجاهلي ومعنى ذلك أننا بعملية حسابية نجد أن كل أربعة شعراء جاهليين يقابلهم شاعر إسلامي واحد ورغم ذلك فإننا نجد النسبة تزيد عن ذلك بكثير .

ثانياً : رغم قصر هذه الفترة وانشغال المسلمين بالحروب والفتوحات والدعوة ورغم ما هو معروف عن شعر الفتوحات من كثرة الضياع فلقد وصل إلينا من هذه الفترة أكثر من عشرين ديوانا ما بين مطبوع ومخطوط ومن هذه الدواوين عن سبيل المثال: ديوان أبي بكر، وديوان علي بن أبي طالب، وديوان حسان، وديوان كعب بن مالك، وديوان عبد الله بن رواحة، وديوان النابغة الجعدي ، وديوان خفاف بن ندبة، وديوان العباس

---

(١) انظر شاعرات عصر الإسلام الأول / نبيل خالد أبو علي / ط دار الحرم الشريف ،سنة٢٠٠١.

(٢) المرجع السابق .

بن مرداس، وديوان ضرار بن الخطاب، وديوان كعب بن زهير، وشعر صفية بنت عبد المطلب، وديوان الشماخ بن ضرار، والمزرد بن ضرار، والحطية، وأبي محجن الثقفي[1]، ديوان حميد بن ثور، ديوان لبيد، ديوان تميم بن مقبل، ديوان سحيم بن وثيل، ديوان عمرو بن معدي كرب هذا عدا المقطوعات المتناثرة في كتب الأدب والتاريخ والتي تبلغ أكثر من ست عشرة وأربعمائة مقطوعة. ومن ثم فإننا في نهاية الحديث عن هذا الأمر يجب أن نعلن أن المقولة التي ادعاها المدعون بأن الشعر قد قلت مكانته وضعفت منزلته في صدر الإسلام مقولة باطلة مردها إلي فهم سيئ لموقف الإسلام من الشعر وإلي عدم تبصر قائليها بموقف الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم من ذلك الفن الجميل، كما أنهم لم ينتبهوا إلي أن الشعر الإسلامي في معظمه أليف اللفظ قريب المعنى سهل العبارة رشيق الأسلوب ليس فيه من فخامة التركيب والديباجة البدوية وغرابة اللغة مما حدا بأصحاب اللغة ومتتبعي الشواهد إلي نبذه وعدم الاهتمام به لأنهم كانوا يبحثون عن الشعر العويص المعني الغريب اللفظ المملوء بداوة وجزالة وفخامة فلما وجد أصحاب هذه المقولة عدم اهتمام أصحاب اللغة بذلك الشعر زعموا ذلك الزعم. والحق أن في كل ما أوردناه رد مفحم علي مقولتهم وتفنيد واضح لمزاعمهم وعودة صحيحة إلي فهم الشعر في صدر الإسلام ومعرفة مكانته العالية خاصة عند النبي ﷺ وصحبه الكرام .

المديح النبوي زمن رسول الله ﷺ

من المعلوم لدي دارس الأدب العربي أن الشعر ديوان العرب، وأن فن المديح من أكبر فنون هذا الديوان ، إن لم يكن أكبرها علي الإطلاق. والمديح هو فن الثناء والإطراء وإبراز مواهب الممدوح والتغني بصفاته ،

---

(١) انظر موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي: عبد عون الروضان التي أحصي فيها ما يقل عن (١٤٠٩) تسعة وأربعمائة وألف شاعر في هذين العصرين والموسوعة ط١، دار أسامة، عمان سنة ٢٠٠١

ونعته بنعوت قد لا تكون من جملة شمائله؛ ولذا كان هذا الفن بابا للتكسب لدي الشعراء ومدخلا للنفاق والرياء .[1]

ولكن الأمر في فن المديح النبوي يختلف كثيرا فقائله يلمس فيه الصدق والإخلاص ، ينظم بلا هوي وينشد بلا غرض، هدفه الانتصار للدين الحنيف ومبادئه الكريمة ، والتقرب إلي الله ورسوله.

والحق أننا لم نجد شخصية قد احتفل بها الشعراء كشخصية نبينا الكريم محمد ﷺ، فلقد رافقه الشعر منذ ميلاده حتى وفاته راصدا صفاته، راسما شخصيته، مبرزا أخلاقه وأعماله ومعجزاته ، مبينا فضله علي العالمين. وإذا حاولنا أن نرصد أبرز العلامات الواضحة في مديحه ﷺ في حياته فإننا سنجد أن أول ما تطالعنا به المصادر في هذا الصدد أبيات أوردها صاحب السيرة النبوية " تنسب إلي عبد المطلب جد الرسول ﷺ قالها إثر مولد النبي عليه السلام مباشرة مطلعها :

الحمـــد لله الذي أعطـــاني	**هذا الغلام الطيـب الأردان**
قد ساد في المهد علي الغلمان	**أعيذه بالبيـت ذي الأركان** [2]

(٢)

ولما فصلت العير بمحمد الرضيع إلي ديار بني سعد قالت السيدة آمنه أم النبي ﷺ أبياتا تعيذه فيها من الشرور، وتدعو الله أن تراه فتي يافعا ورجلا حامل الحلال داعيا إليه ، تقول فيها .

أعـيـذه بالله ذي الجـلال	**من شر مامرَّ علـي الجبال**
حتى أراه حامـل الحـلال	**ويفعل العرف إلي المـوالي**[3]

(١) انظر هذا الموضوع في مجلة الأزهر، جـ٣،السنة الستون/ عدد ربيع أول سنة ١٤٠٨هـ- نوفمبر سنة ١٩٨٧ بعنوان " المديح النبوي زمن رسول الله عليه وسلم /د. غريب محمد علي.

(٢) السيرة النبوية / ابن اسحاق / ج١ صـ ١١٤ ، وفي رواية أخري تروى كلمة " السعد بدلا من الحمد " وكلمة "بالله" في البيت الثاني بدلا من كلمة بالبيت "، وانظر – سيرة ابن هشام القسم الأول صـ١٦٠، وانظر – الطبقات الكبري – ابن سعد – مجلد ١ ص ١٠٣ / ط بيروت سنة ١٩٥٧.

(٣) الطبقات الكبري / جـ١،صـ١١١.

ولما بلغ ﷺ من العمر خمس سنين قدمت به السيدة حليمة إلي أمه لترده إليها فأضلها في الناس فالتمسته فلم تجده، فأتت عبد المطلب فالتمسه فلم يجده ، فقام عند الكعبة قائلاً :

لاهم أد راكبــي محمـــــدا أده إلــي واصنــع عنــدي يــدا

أنت الذي جعلته لي عــضدا لا يــبعد الــدهر بــه فــيسعــدا

أنـــت الــذي ســميــته مــحمــدا(١)

ولا تسعفنا المصادر التي بين أيدينا بشئ من الشعر قيل في الرسول ﷺ منذ عودته من ديار بني سعد إلي بعثته إلا بأبيات لأبي طالب يذكر فيها ما وصاه به بحيرا الراهب وإشارته إلي أنه النبي المنتظر وما أعلمه من محاولة اليهود قتل النبي ﷺ، يقول أبو طالب :

إن ابن أمنة النبــي محمـــــدا عنـــدي بمثـــل منـــازل الأولاد

راعيت فيه قرابة موصــولــة وحفظــت فيــه وصيــــة الأجــداد

حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا لا قـــوا علي شــرك من المرصــاد

قــوما يهودا قد رأوا ما قد رأي ظــل الغمـــام وعـــز ذي الأكبــاد

ساروا لقتل محمــد فنهاهـــم عنـــه وأجهــد ، أحسن الإجـــهاد(٢)

وقبيل البعثة بقليل تروي أبيات لورقة بن نوفل نشعر معها بما كانت تحدثه به السيدة خديجة رضي الله عنها من أمر الرسول ﷺ يقول فيها :

لجحت وكنت في الذكري لجوجا لهــم طالمــا بعـــث النشيــجـــا

ووصف من خديجة بعد وصف فقــــد طـــال انتظـــاري يا خديجا

بمـــا خبرتنا مـــن قـــول قـــس من الرهبـــان أكـــره أن يعوجـــا

بأن محمــــدا سيســود فينـــا ويخصــم مـــن يكـــون له حجيجـــا

ويظهر في البلاد ضيـــاء نـــور يقيــم بــــه البــرية أن تموجـــا(٣)

---

(١) الطبقات الكبري /جـ١، صـ١١٣.

(٢) السيرة النبوية/ ابن اسحاق / جـ١ ، صـ ١٤٨ .

(٣) سيرة ابن هشام/ قسم١ص١٩١وهناك أبيات أخري يرويها ابن اسحق في سيرته ج١،ص ١٩٣.

وبعد بعثته ﷺ انقسم الناس إلي مؤيدين ومعارضين وحمل كل فريق سلاحا ينافح به في وجه الآخر . وكان الشعر أحد هذه الأسلحة بل أمضاها أثرا في النفوس، ولذلك نجد شعرا كثيرا لأبي طالب عم النبي ﷺ يدافع به عن النبي وينافح ، ومن ذلك ما قاله مفتخرا بقومه عبد مناف الذين شدوا أزر الرسول في الحصار الذي ضربته قريش حولهم :

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر　　فعبد مناف سرها وصميمها

وإن فخرت يوما فإن محمدا　　هو المصطفي من سرها وكريمها

تداعت قريش غثها وسمينها　　علينا فلم تظفر وطاشت حلومها[1]

حلومها[1]

ومن الملاحظ أن هذه الأبيات يغلب عليها طابع الفخر أكثر من المديح النبوي ، وهناك قصيدة طويلة تروي أيضا لأبي طالب يظهر فيها مدحه للرسول ﷺ، وهي التي يقول فيها.

أشم من الشم البهاليل ينتمي　　إلي حسب في حومة المجد فاضل

فلازال في الدنيا جمالا لأهلها　　وزينا لمن والاه رب المشاكل

فمن مثله في الناس أى مؤمل　　إذا قاسة الحكام عند التفاضل

حليم رشيد عادل غير طائش　　يوالي إلها ليس عنه بغافل

لقد علموا أن ابننا لا مكذب　　لدينا ولا يعني بقول الأباطل[2]

وثمة أبيات لسيدنا حمزة بن عبد المطلب يحمد الله فيها علي إسلامه وينوه فيها بالرسول ﷺ إذ يقول:

حمدت الله حين هدي فؤادي　　إلي الإسلام والدين الحنيف

وأحمد مصطفي فينا مطاع　　فلا تغشوه بالقول العنيف

---

(١) ديوان شعر أبي طالب/ورقة ٨/محطوط بدار الكتب المصرية برقم٣٨،انظر سيرة ابن اسحق/ ج١ ص٢٢٠ ص٢٢٠

(٢) ديوان شعر أبي طالب / ورقة ٣ ، وانظر سيرة ابن هشام / قسم ١ صـ٢٨٠. وهي قصيدة تبلغ أكثر من من تسعين بيتا ، ويقول عنها ابن سلام أبرع ما قال قصيدته التي مدح فيها النبي صلي الله عليه وسلم .

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه　　ربيع اليتامي عصمة للأرامل

انظر طبقات فحول الشعراء / ابن سلام الجمحي / جـ١ ، صـ٢٤٤ / تحقيق محمود محمد شاكر / ط المدني بجدة سنة ١٩٨٠ .

إذا تــليــت رســائــله علينــا تحــدر دمــع ذي اللب الحصــيف[1]
الحصــيف[1]

وفي هذه المرحلة نجد قصيدة الأعشي التي يقول فيها :

ألم تغتمض عيناك ليــلة أرمــدا وعــادك ما عــاد الــسليــم المسهدا

أجــدك لم تسمــع وصاة محمــد نبــي الإله حــين أوصي وأشهــــدا

نبــي يري مالا تــرون وذكــره أغار لعمــري في البــلاد وأنجــــدا

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقــي ولا قيــت بعد الموت من قــد تزودا

ندمت علي أن لا تــكون كمثــله وإن لم تــرصد لما كان أرصــدا [2]

وهي قصيدة يشك فيها بعض الباحثين ويري أنها منحولة عليه، ولسنا هنا بصدد مناقشة قضية الانتحال فسواء كانت هذه القصيدة للأعشى أم لغيره فإننا لا نستطيع أن نخرجها من دائرة المديح النبوي .

وفي هـذه المرحلـة – مرحلـة الـدعوة في مكـة – نجـد بعـض القصـائد والمقطعات لبعض الصحابة المهاجرين إلي الحبشة مثل عبد اللّه بن الحارث الذي يقول عندما وصل إلي الحبشة وأمن علي نفسه:

كل امرئ من عباد الله مضطهــد ببطــن مكــة مقهــور ومفتــــون

إنا وجــدنا بــلاد الله واسعــــة تنجي من الــذل والمخزاة والهــون

إنا تبعــا رسول الله واطرحــوا قــول النبي وعالوا في الموازين [3]

وفي هذه المرحلة نجد أيضاً قصيدة النابغة الجعدي التي تعد من أقدم ما وصل إلينا من قصائد المديح النبوي والتي يقول فيها.

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدي ويتلو كتابا كالمجــرة نيــرا

أقيم علي التقوي وأرضي بفعلها وكنت من النارالمخوفة أحذرا[4]

وفي تلك المرحلة لا نكاد نسمع عن أحد من الصحابة في مكة قال شعرا مدح فيه النبي ﷺ إلا نادرا، ولعل ذلك راجع إلي سرية الدعوة من

---

(١) سيرة ابن اسحاق / جـ ١ / صـــ٢٤١.
(٢) ديوان الأعشي / شرح وتعليق د. محمد حسين/ صـــــ١٣٧ / ط النموذجية سنة ١٩٥٠.
(٣) سيرة ابن اسحق / جـ١، صـــ٢٩٣.
(٤) الأغاني / جــ٥/ صــ٩ .

جانب والحفاظ علي الدين والنفس من جانب آخر، وإلي تحرج الصحابة رضوان الله عليهم من قول الشعر من جانب ثالث، ومن الأشعار القليلة التي وصلت إلينا من هؤلاء الصحابة قول عثمان بن مظعون :

رسول عظيم الشأن يتلو كتابه ... له كل من يبغي التلاوة وامق
فيارب إني مؤمن لمحمد ... وجبريل إذ جبريل بالوحي طارق [1]

أما إذا انتقلت إلي يثرب – دار الهجرة – فإننا نجد الموقف يتغير تماما فالشعر قد كثر واختلفت طبيعته، واشتهر أكثر من شاعر في مديح الرسول ﷺ وفي الدفاع عن الدين، فلقد قويت شوكة المسلمين، وما عاد هناك شئ يخيفهم . وكان لابد أن يواجه الشعراء المسلمون شعراء الشرك كما واجهت الجنود كفار قريش في المعارك والحروب، ولم تعد هناك سرية للدعوة، كما أن موقف الإسلام من الشعر قد ظهر ظهورا جليا.

وكان علي رأس هؤلاء الشعراء حسان بن ثابت الذي عرف بشاعر الرسول . ومن أشهر مدائحه النبوية قصيدته التي يقول فيها :

عفت ذات الأصابع فالجواء ... إلي عذراء منزلها خلاء
ديار من بني الحسحاس قفر ... تعفيها الروامس والسماء
وقال الله قد أرسلت عبدا ... يقول الحق إن نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه ... فقلتم لا نقوم ولا نشاء
فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء
لساني صارم لاعيب فيه ... وبحري لا تكدره الدلاء [2]

ومن قصائد المعروفة الذائعة الصيت في هذا المجال قصيدته التي يقول فيها

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضي بها كل من كانت سريرته ... تقوي الإله وبالأمر الذي شرعوا
أكرم بقوم رسول الله قائدهم ... إذا تفرقت الأهواء والشيع [3]

---

(١) سيرة ابن إسحاق ، جـ١ ، صـ٢٤٩.
(٢) ديوان حسان / صـ٧١ – ٧٦ .
(٣) ديوان حسان ،صـ٢٣٨، ٢٣٩.

ومن الطبعي أن يتحدث الشعراء المسلمون عن شخصية الرسول ﷺ فهو أساس الدين وحامل رسالة السماء إلي الأرض والصابر علي البلوي ومبدد يجور الشرك، يقول كعب بن مالك الذي يعلن وجوب طاعة النبيﷺ :

فينا الرسول شهــاب ثــم نتبعه نور مضئ له فضــل علي الشهب
الحق منطقه والعــدل سيرتـــــه فمن يجبــه إليه ينــج مـــــن تبب[1]
تبب[1]

وقد ركز الشعراء في هذه المرحلة علي شجاعة النبي ﷺ وقوة شكيمته ونضاله في سبيل الحق ، يقول كعب بن مالك في غزوة الطائف :

رئيسهــم النبــي وكان صلــبــا نقـــي القلب مصطبــرا عزوفــا
رشيــد الأمــر، ذ وحكم وعلــم وحلــم لـــم يكن نــزفا خفيفـــا[2]

ومن أهم ما وصف به الشعراء النبي ﷺ الرحمة والعطف والشفقة والعدل والزهد والورع والتقوى ومعظمها صفات دينية ، بالإضافة إلي ما استمدوه من بيئتهم كالشجاعة والشهامة والنخوة والكرم وقد مزجوا ذلك كله في قصائدهم التي مدحوا بها النبي ﷺ . ومما يلفت النظر في هذه المرحلة أبيات منسوبة إلي العباس بن عبد المطلب ، وقصيدة " بانت سعاد " . أما أبيات العباس فإنها تضيف عنصرا جديدا إلي فن المديح النبوي وهو عنصر " النور المحمدي أو ما يسمي بالحقيقة المحمدية ، يقول العباس مخاطبا النبي ﷺ :

من قبلها طبت في الظلال وفــي مستــودع حيــث يخــصف الــورق
ثــــم هبطــت البلاد لابشــــر أنــــت ولا مضغـــة ولا عــلــق
تنقل من صالــب إلــي رحـــم إذا مضــــي عالـــم بــــدا طبــق
وردت نـــار الخليــل مكتتمـــا في صلبـــه أنـــت كيــف يحتــرق[3]

---

(١) ديوان كعب بن مالك / صـــ ٢٥ . وانظر سيرة ابن هشام / ق ٢ ، صـــــ١٦١ .
(٢) ديوان كعب بن مالك / صـــــ٦٨ .
(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب / ابن عبد البر ، جـ ١ ، صــــــ١٦٥ / ١٦٦ ، طـ حيــدر أبــاد – الدكن – الهند سنة ١٣١٨ هـــ .

فالعباس يريد أن يقول للرسول ﷺ لقد كنت من قبل هيئتك الجسدية نورا لطيفا تنقل من الأصلاب الطاهرة إلي الأرحام الزكية فلقد كنت مع آدم في الجنة ومع نوح في سفينته ومع إبراهيم في ناره ، وقد أخذ هذا النور يتنقل حتى ظهر في صورة جسدية هي صورة النبي ﷺ.

وأما قصيدة كعب بن زهير التي يقول فيها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم إثرها لم يفد مكبول

وقال كل خليل كنت آمله   لا ألهينك إني عنك مشغول

أنبئت أن رسول الله أوعدني   والعفو عند رسول الله مأمول

إن الرسول لنور يستضاء به   مهند من سيوف الله مسلول[1]

فهي قصيدة جليلة الخطر، عظيمة الشأن في تاريخ المدائح النبوية وذلك لما اكتنفها من القصة التي حكيت حولها وهي أن كعبا أنشدها بين يدي الرسول ﷺ معتذرا عما بدر منه طالبا العفو من رسول الله ﷺ فعفا عنه النبي وألقي عليه بردته [2]

ويتمثل خطرها في أن بعض الشعراء قد ادعوا أنهم أنشدوا قصائدهم – مناما – بين يدي رسول الله ﷺ ، وأن بعضهم كان يستعصي عليه بيت فيتمه له الرسول أو يغير كما غير لكعب قوله " مهند من سيوف الهند " إلي " مهند من سيوف الله " .

ويتمثل خطرها أيضا في فن المعارضات والتشطير، وأنها أصبحت بمثابة قاعدة يحتذي بها كثير من الشعراء عند مديحهم النبي حيث يبدأ المادح النبوي بالنسيب وينتقل إلي الحديث عن الديار الحجازية ثم وصف الرسول وإبداء الأسف علي التقصير في حقه ﷺ ثم يتوسل به إلي رب العزة سبحانه وتعالي، ويرجو أن يكون شافعا له يوم القيامة ، ثم إنها ترجمت إلي عدة لغات .

وفي نهاية الحديث عن فن المديح النبوي زمن رسول الله ﷺ يمكن القول بأن هناك مديحا تقليديا سار علي الطريقة الجاهلية مع تطعيمه

---

(١) شرح ديوان كعب بن زهير، ص٦، ٢٣، صنعه أبي سعيد السكري، ط٣، دار الكتب المصرية سنة٢٠٠٢م سنة٢٠٠٢م

(٢) انظر سيرة ابن هشام / قسم ٢ صـــــ٥٠٣ .

بالمبادئ الإسلامية، وآخر مباشرا يمدح فيه صاحبه النبي بلا سابق مقدمات، وثالثا تسيطر عليه نغمة الفخر والحماسة ورابعا يختلط بهجاء الأعداء، وخامسا ظهرت فيه فكرة الحقيقة المحمدية .

شعر المعارك الإسلامية زمن رسول الله ﷺ[١]

كانت المعارك الإسلامية من أهم العوامل التي مكنت للدعوة ونشر الدين وأدت إلي ازدهار الشعر في عصر النبوة ، وقد ظهر إبان هذه المعارك الطابع الديني في الشعر الإسلامي .

وقد استطاع الشعر في تلك الفترة أن يواكب تلك المعارك ويرد علي مزاعم المشركين ويفندها ويمضي مع هذه الوقائع فيسجل كل ما دار فيها. لقد كان سلاحا من أسلحتها ونغمة عالية من نغماتها لا غناء عنه، ولا عجب في ذلك فالشعر ديوان العرب وسجلهم الحافل بكل ما يدور في حياتهم، ومن الأجدر أن يكون سجلا دقيقا لتلك الغزوات الإسلامية العظيمة التي غيرت وجه التاريخ .

والحق أن الشعر في صدر الإسلام لم يترك معركة ولا غزوة إلا تحدث عنها ، وكان سهاما نافذة في صدور الأعداء ونارا مصبوبة علي هاماتهم وسيوفا مصلتة علي رقابهم .

لقد استطاع الشعر أن يخلد الانتصارات ويعبئ النفوس ويثير الحماس في سبيل الدعوة وحماية الدين الحنيف والدفاع عن الحق.

ولعل أهم المعارك التي شارك فيها الشعر زمن رسول الله ﷺ ما يأتي :

أولاً : معركة بدر الكبري (سنة ٢ هـ) :

كانت معركة بدر الكبري النصر الأول للمسلمين، وبهذا النصر أعز الله الإسلام واشتد ساعد المسلمين، وفي هذه المعركة ذاق كفار قريش طعم الذل وتجرعوا مرارة الهزيمة ، ورجعت قريش تاركة فرسانها مصروعين في الربي والشعاب ، وقد نشط الشعر فوصف المعركة وصفا دقيقاً ، وتغني بالنصر وهجا الأعداء وعيرهم بالهزيمة وطبع بطابع ديني .

وإذا التمسنا شيئا من هذا الأثر الديني في الشعر الذي قيل في هذه المعركة يمكن أن نرى قصيدة حسان التي يذكر فيها أصحاب القليب، ويذكر عاقبة المشركين إذ يقول :

---

(١) انظر هذا الموضوع " شعر المعارك الإسلامية زمن رسول الله ﷺ " / د . غريب محمد علــى / مجلـة الأزهر عدد مايو ١٩٨٨ م

وخبر بالذي لا عيــب فيه — بصدق غير إخبــار الكـــذوب
بما صنـــع المليك غداة بدر — لنا في المشــركين مــن النصيب
يناديهم رســـــول الله لمــا — قذفناهــم كباكب فـــي القليــــب
ألم تجــدوا حديثي كان حقا — وأمـــــر الله يأخــذ بالقلـــوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا — صدقــت وكنـــت ذا رأي مصيب (١)

ويظهر هذا الأثر الإسلامي في شعر كعب بن مالك حيث يقول في الرد علي ضرار ابن الخطاب :

عجت لأمــر الله والله قـــــادر — علـــي ما أراد ليــس لله قاهــر
قضي يوم بــدر أن نلاقي معشرا — بغــوا وسبيل البغــي بالناس جائر
فلمــا لقيناهم وكل مجـــاهـــد — لأصحابه مستبسل الـــنفس صابر
شهدنا بـــأن الله لا رب غيـــره — وأن رســـول الله بالحــق ظاهــر(٢)

فالجهاد والتوحيد والإيمان بقضاء اللّه وقدره، كلها معان إسلامية خالصة. والحق أن كعبا لم يقف عند ذلك بل أخذ يتحدث عما أصاب المشركين من ذل وهزيمة وأوضح أنهم قتلوا بسبب كفرهم باللّه وإشراكهم به ، وأنهم سيكونون وقود النار في يوم القيامة حيث يقول :

فكب أبــو جهل صريــعا لوجهه — وعتبه قد غادرنـــه وهـــو عاثـــــر
فأمسوا وقود النار في مستقــرها — وكل كفـــــور في جهنــم صائـــــر
لأمـــر أراد الله أن يهلكــوا بـــه — وليــس لأمـــــر حمه الله زاجــر (٣)

وقد تحدث الشعر في هذه المعركة عن فضل اللّه علي المؤمنين وتسديد خطاهم ، ونصرهم علي المشركين رغم قلة عدد المسلمين وكثرة المشركين. وقد استطاع حسان أن يصوغ هذه المعاني في أبيات له متأثرا بقول اللّه تعالي" كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن اللّه واللّه مع الصابرين " (٤) إذ يقول :

فما نخشي بحــول الله قومــــا — وإن كثـــروا وأجمعت الـــزحـــوف

---

(١) ديوان حسان بن ثابت / تحقيق د. سيد حنفي حسنين / صـ١٣٤-١٣٦ / ط دار المعارف سنة ١٩٨٣ – وانظر سيرة ابن هشام / تحقيق : مصطفي السقا وآخرين / القسم الأول صـ ٦٤٠ / ط البابي الحلبي سنة ١٩٥٥ مع ملاحظة وجود اختلاف في رواية بعض الكلمات .
(٢) ديوان كعب بن مالك / تحقيق مجيد طراد/ صـ٤٦-٤٧ / ط دار ص (بيروت / ط أولي سنة ١٩٩٧.
(٣) ديوان كعب بن مالك / صـ٤٧.
(٤) سورة /البقرة / آية ٢٤٩ .

إذا مـا ألبـوا جمعـا علينـا   كـفـانـا حـدهـم رب رءوف
سمونـا يـوم بـدر بالعوالـي   سراعا مـا تضعضعنـا الحتـوف
لقينـاهـم بها لمـا سمـونـا   ونحـن عصابـة وهم ألـوف[1]

ومهما يكن من أمر فإن الشعر الذي قيل في يوم بدر كان موفقا في تصوير المعركة ولكن لم يبلغ به التوفيق أن يدل الدلالة الكاملة لسورة الآنفال فالمعاني التي تناولها الشعر كانت عامة ، ولم يصل ذلك الشعر إلي قمة المعاني التي جاءت في هذه السورة الكريمة .

ثانياً : معركة أحد " سنة ٣هـ :

بعد موقعة بدر جاءت قريش لتثأر لنفسها بقضها وقضيضها ، بخيلها ورجلها ، تجلب علي المسلمين جلبا ، ودارت رحي المعركة عند جبل أحد ، وكان ما كان من أمر هذا اليوم فهو يوم للمشركين علي المسلمين، إنه يوم محنه وبلاء فقد استشهد فيه عدد غير قليل من المسلمين منهم أسد الله حمزة ابن عبد المطلب عم النبي ﷺ ، فذكر الشعر ذلك وبكي القتلي ورثى الشهداء ورد علي شعر المشركين فحينما افتخر هبيرة بن أبي وهب بقصيدة يقول فيها :

سقنا كنانـة من أطراف ذي يمن   عرض البـلاد علي ما كان يزجيـها
قالت كنانة : أنى تذهبـون بنـا   قلنا النخيل فأمـوها ومـن فـيها [2]
(٢)

رد عليه حسان قائلا :

سقتم كنانـة جهلا من عداوتكـم   إلي الرسول فجنـد الله مخـزيـها
أورد تموها حياض الموت ضاحية   فالنار موعدها والقتـل لاقيـها
هـلا اعتبرتم بخيل الله إذ لقيـت   أهل القليب ومن أردينه فـيـها [3]
(٣)

(١) ديوان حسان / صـ٣٩١.
(٢) سيرة ابن هشام / القسم الثاني / صـ١٣٠ .
(٣) ديوان حسان، ص٢٠٥ وفي سيرة ابن هشام، تاني كلمة سفاهتكم " في البيت الأول بدلاً من عداوتكم " كما كما تأتي كلمة " قتلت " في البيت الثالث بدلاً من " لقيت، وكلمة ألقينه " بدلا من أردنيه"، انظر سـيرة ابـن

والحق أن النقائض التي دارت حول حرب أحد كثيرة، ولعل ذلك راجع إلي أن نصر قريش قد أثلج صدور شعرائها، فلقد عدوا هذه الغزوة انتقاما شافيا لهزيمتهم في بدر، فراحوا يرسلون القوافي في التغني بهذا النصر والشماتة بالمسلمين .

ولكن شعراء المدينة كانوا لهم بالمرصاد، يجيبون عليهم وينقضون شعرهم، مؤكدين أن الهزيمة لن تنال من قوتهم أو تفت في عضدهم وإصرارهم علي دحر الشرك .

ومن تلك المناقضات أبيات لأبي سفيان بن حرب يتشفي فيها بالمسلمين ويتباهي بقتل من قتل وعلي رأسهم حمزة بن عبد المطلب، يقول أبو سفيان:

وسلي الذي قد كان في النفس أنني ... قتلت من النجار كل نجيب
ومن هاشم قرما كريما ومصعبا ... وكان لدى الهيجاء غير هيوب
ولو أنني لم أشف نفسي منهم ... لكانت شجا في القلب ذات ندوب (1)

فأجابه حسان قائلا :

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم ... ولست لزور قلته بمصيب
أتعجب أن أقصدت حمزة منهم ... نجيبا وقد سميته بنجيب
ألم يقتلوا عمرا وعتبة وابنه ... وشيبة والحجاج وابن حبيب (2)

وتظهر المعاني الدينية عند كعب بن مالك في قصيدة يستغرق أكثرها ذكر الحرب وحسن البلاء والصبر يرد فيها علي هبيرة بن أبي وهب قائلا:

وفينا رسول الله نتبع أمره ... إذا قال فينا القول لا نتطلع
وقال رسول الله لما بدوا لنا ... ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا
وكونوا كمن يشري الحياة تقربا ... إلي ملك يحيا لديه ويرجع

هشام، القسم الثاني، ص١٣١وكذلك في السيرة النبوية لابن اسحق، الجزء٢، ص١٦/ ط١، ١٩٩٩أخبار اليوم .

(١) سيرة ابن هشام / ج٢ / صـ٧٠ .

(٢) ديوان حسان / صـ٣٧٢

ضربناهم حتى تركنـــا سراتهـــم　　　كأنهـــم بالقـــاع خشـــب مصـــرع

شـــددنا بحـــول الله والنصر شدة　　　عليكـــم وأطـــراف الآسنـــة شرع[1]

ويأخذ كعب في مجادلة الكافرين في قصيدة أخري مجادلة من كان علي بينة، وذلك حق ، فقد كان ذا عقيدة ثابتة، ودين راسخ، وقد ذهب يوضح للكافرين أن الحرب سجال والأيام دول ، وأن الغلبة للدين الإسلامي لا شك في ذلك حيث يقول في الرد علي عمرو بن العاص وضرار بن الخطاب :

إن تقتلونـــا فدين الحق فطرتنـــا　　　والقتل فـــي الحق عند الله تفضيل

وإن تروا أمرنا في رأيكم سفهـــا　　　فـــرأي مـــن خالف الإسلام تضليل

تلقاكم عصب حـــول النبي لهـــم　　　مما يعـــدون للهيجـــا ســـرابيـــل

كنا نؤمـــل أخـــراكم فأعجلكـــم　　　منا فوارس لا عزل ولا ميـــل [2]

ولم ينس الشعراء رثاء الأبطال الذين استشهدوا في سبيل الحق وضحوا بأنفسهم من أجل إعلاء كلمة التوحيد وعلي رأس هؤلاء الأبطال حمزة بن عبد المطلب . والذي يرثيه حسان قائلا :

فإن تذكـــروا قتلي وحمزة منهـــم　　　قتيـــل ثـــــوي لله وهـــــو مطيـــع

فـــإن جنـــان الخلد منزله بهــــا　　　وأمر الذي يقضي الأمـــور سريـــع

وقتلاكم في النار أفضل رزقهـــم　　　حميم معـــا في جوفهـــا وضريع [3]

ويرثيه عبد الله بن رواحه قائلا :

بكت عيني وحق لهـــا بكـــاهـــا　　　وما يغني البكاء ولا العويـــل

علـــي أســـد الإله غـــداة قالـــوا　　　أحمزة ذاكـــم الرجـــل القتيـــل

أصيب المسلمـــون به جميـــــعا　　　هناك وقد أصيـــب به الرسول

---

(١) ديوان كعب بن مالك ، صـــــ٦٠ – ٦١ .

(٢) ديوان كعب بن مالك ، صـــ٨٤ /٨٦.

انظر سيرة ابن اسحاق /ج٢ ، صـــ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) ديوان حسان ، صـــ٩٩ / ١٠٠.

عليك سلام ربـك فـي جنـان مخالطها نعيـم لا يزول[١]
يزول[١]

وبهـذه الطريقـة صـور الشـعراء أحـداث أحـد ، وقـد ظهـرت المعـاني الإسلامية في صورة ترديد لآيات وتراكيب قرآنية ، وتمثل الشعر أغراضا عديدة كالفخر والهجاء والمناقضات والرثاء إلي جانب ذلك .

ثالثاً : بدر الثانية (شعبان سنة ٤هـ) :

كانت هـذه الغـزوة في السـنة الرابعـة للـهجرة ، وكـان الموعـد بـدرا ، ولكـن الكفـار لم يفـوا بمـا وعـدوا ، فكفـي الله المؤمنين القـتال ، وفي ذلك يقول عبد الله بن رواحة مقرعا المشركين وعلي رأسهم أبو سفيان الذي أخلف الموعد ولم يأت إلي بدر :

وعدنـا أبا سفيان بـدرا فلم نجد لميعـاده صدقـا ومـا كـان وافيـا
فأقسـم لو وافيتـنـا فلقيتنـا لأبـت ذميمـا وافتقـدت المـواليـا
تـركنا بـه أوصال عتبة وابنه وعمـرا أبـا جهـل تركنـاه ثاويـا
فإنـي وإن عنفتمـوني لقائـل فـدي لرسـول الله أهلـي وماليـا [٢]
(٢)

رابعاً : الخندق وقريظة " سنة ٥هـ " :

كـان حصـار الخنـدق سـببا في إجـلاء بـني قريظـة مـن المدينـة والقضـاء علي ذلك الشر المجـاور ومعـروف أن نفـرا مـن اليهـود مـن بـني النضير وبـني وائـل كـانوا قـد ألبـوا الأحـزاب وحرضـوا قريشـا وغطفـان علـي حـرب الرسولﷺ .

---

(١) ديون عبد الله بن رواحة /صــ١٣٢ / تحقيق د. وليد قصاب / ط ثانية سنة ١٩٨٨ / دار الضياء – عمان – الأردن – وتنسب هذه القصدية إلي كعب بن مالك ، انظر ديوان كعب ،صــ٨١.
(٢) ديوان عبد الله بن رواحه / صــ١٣٨، وانظر سيرة ابن هشام القسم الثاني / صــ٢١٠ / ٢١١.

وكانت قريظة قد أبرمت عهدا مع النبي ﷺ لكنها نقضته وخرجت عليه .

ولما كان نصيب الأحزاب الفشل كان نصيب بني قريظة القتل والذل، وقد قيل في الخندق شعر كثير من كلا الجانبين ، يقول ضرار بن الخطاب :

فلولا خندق كانوا لديه لدمرنا عليهم أجمعينا
ولكن حال دونهم وكانوا به من خوفنا متعوذينا [١]

فيجيبه كعب بن مالك قائلا :

نقاتل معشرا ظلموا وعقوا وكانوا بالعداوة مرصدينا
نعاجلهم إذا نهضوا إلينا بضرب يعجل المتسرعينا
ويعلم أهل مكة حين ساروا وأحزاب أتوا متحزبينا
بأن الله ليس له شريك وأن الله مولى المؤمنينا[٢]

ولحسان بن ثابت قصائد ومقطعات في بني قريظة يقرعهم ويعيرهم بما أصابهم، ويبين لهم أنهم ضلوا وبغوا حينما فعلوا فعلتهم فكان هذا جزاءهم، يقول في إحدي مقطوعاته :

تعاهد معشر ولوا بكفر وليس لهم ببلدتهم نصير
هم أوتوا الكتاب فضيعوه فهمْ عمي من التوراة بور[٣]
بور[٣]

ويقول في مقطوعة أخري :

لقد لقيت قريظة ما ساءها وما وجدت لذل من نصير

---

(١) ديوان ضرار بن الخطاب / صـ٩١ / تحقيق . فاروق إسليم / ط أولي سنة ١٩٩٦ ،صادر بيروت .

(٢) ديوان كعب بن مالك ، صـ١٠٦ . انظر شيئا من هذه المناقضات في سيرة ابن هشام القسم الثاني صـ٢٥٤ وما بعدها

(٣) ديوان حسان ، صـ٢٥٣. و فى رواية ابن هشام القسم الثاني صـ ٢٧٢ .

تفاقد معشر نصروا قريشا و ليس لهم ببلدتهم نصير

أصـــــابهــمْ بــلاء كان فيـــهم سوي ما قــد أصاب بنـــي النضيـــر
غـــداة أتـــاهمْ يـــهوي إليهـــــم رســــــول الله كالقمـــــر المنيــــر
تركنـــاهم ومـــا ظفـــروا بشـــئ دمــــاؤهــــم علـــــيهم كالعبيـــــر[١]
كالعبيـــــر[١]

وهكذا استطاع الشعر أن يساير المعركة ويجابه الخصوم ويذكر بسالة المؤمنين وإخلاصهم لرسول الله ﷺ، لكنه لم يتناول كل ما تناولته الآيات الكريمة في أمر الآحزاب من سورة الآحزاب.

خامساً : غزوة مؤته (سنة ٨ هـ) :

كانت هذه الغزوة في جمادي الأولي من السنة الثامنة من الهجرة ، وكان الرسول ﷺ قد جهز سرية إلي مؤتة قوامها ثلاثة آلاف رجل لسبر قوة الدفاع الرومي البيزنطي في الشام وكان يدرك عليه السلام أهمية هذه الغزوة والخطر الذي يمكن أن تتعرض له هذه الحملة فجعل لها ثلاثة أمراء هم : زيد بن حارثة فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب فإن أصيب فعبد الله بن رواحة ، واتفق أن هرقل إمبراطور الروم كان في البلقاء شرق الأردن راجعا من قتال الفرس في مائة ألف وانضم إليه مائة ألف من عرب الشام من بني طيئ وجذام وبهراء وبلي وكان المسلمون قد أصبحوا في "معان " ولم يبق لهم مفر من القتال فانحازوا إلي قرية "مؤتة"، ولكن القوتين لم تكونا متكافئتين فاستشهد عدد كبير من المسلمين كما استشهد القواد الثلاثة فأجمع المسلمون علي خالد بن الوليد الذي انسحب بمن بقي معه من الجيش، وفي أثناء غزوة مؤتة قال عبد الله بن رواحة :

جلبنـــا الخيـــل من أجأ وفـــــرع تغـــر مـــن الحشـــيش لها العكـــوم
أقامت ليلتين علـــــي معـــــــان فأعقب بعـــد فتــــرتـــها جمـــوم[٢]
جمـــوم[٢]

---

(١) ديوان حسان /صـــ٢٤٥ .
(٢) ديوان عبد الله بن رواحه ، صـــ١٤٩.

وقال عندما استشهد زيد بن حارثه وجعفر بن أبي طالب :

أقسمــت يــا نفــس لتنــزلنـــه

طائـعـــة أولا لتـكــرهنــــه

مالــي أراك تكــرهيــن الجنـــة

قــد طالمــا قــد كنــت مطمئنــة

جعفــر ما أطيب ريـــح الجنــة (١)

وقال عندما قطعت أصبعه :

هل أنت إلا إصبـــع دميت

وفي سبيــل الله ما لقيت

يانفــس إلا تقتلي تموتي

إن تسلمي اليوم فلن تفوتي(٢)

وقـام كعـب بـن مالـك يرثـي شـهداء مؤتـة رثـاء حـارا مفعمـا بـالحزن والشجن واللوعة والحسرة إذ يقول :

نـــام العيون ودمع عينك يهمــل سحـــا كما وكــف الطباب المخضل

في ليلة وردت علي همومهـــا طــورا أحــــن وتـــارة أتملمــل

وجــدا علي النفر الذين تتابعــوا يــوما بمــؤتة أسنــدوا لم ينقلــوا

صلــي الإلــه عليهم مــن فتيــة وسقى عظامهــم الغمــام المسبــل(٣)

سادسا : فتح مكة (سنة٨ هـ) :

نقضت قريش العهد الذي كان بينها وبين الرسول ﷺ بما استحلت من خزاعة التي كانت في عقده ﷺ ، ولذا خرج عليه السلام إلي مكة بعد أن استنجد به عمرو بن سالم الخزاعي الذي قال في شعر له :

يــا رب إنـــي نـــاشد محمــدا حلــف أبينــا وأبيــه الأتلــدا

هــم بيتــونــا بالوتيــر هجــدا وقتــلونــا ركعــا وســجــدا

فانصــر هداك الله نصرا أعتــدا وادع عباد الله يأتــوا مــددا(١)

---

(١) ديوان عبد الله بن رواحه / صـــ١٥٣.

(٢) ديوان عبد الله بن رواحه / صـــ١٥٤ .

(٣) ديوان كعب بن مالك / ص٨٧ – ٨٨ ، وانظر سيرة ابن هشام / القسم الثاني ،صـــ٣٨٥.

وكان الفتح العظيم والنصر المبين فكانت قصيدة حسان التي تعد أهم وأجود شعر قيل في تلك المناسبة والتي يتسهلها بقوله :

عفت ذات الأصابع فالجواء   إلي عذراء منزلها خــلاء[2]

وقد وفق حسان كل التوفيق في تصوير قوة المسلمين وعزتهم ونصر الله لهم ، وذكر قومه وإبراز المحامد الإسلامية فيهم فهم جند الله الذين لهم في كل يوم جهاد بالسيف أو جهاد باللسان ، يقول:

فإمــا تعرضــوا عنا اعتمرنا   وكــان الفتــح وانكشف الغطــاء

وإلا فاصبــروا لجلاد يـــوم   يعيــن الله فيـــه مـــن يشــاء

وقال الله قــد يســرت جنــدا   هــــم الأنصار عرضتــها اللقــاء

لنــا في كل يــوم مــن معــد   قتــــال أو سبــــاب أو هجــاء

فنحكم بالقوافــي مــن هجانا   ونضــرب حين تختلط الدمــــاء[3]

ومن الملاحظ أن الشعر الذي قيل في الفتح قليل إذا قيس بما قيل في المعارك السابقة ولعل السبب في ذلك أن التحدي الذي كان يجده الشعراء المسلمون من شعراء قريش قد انتفي في هذه المناسبة .

سابعاً : يوم حنين (بعد فتح مكة في السنة الثامنة) :

في العام الثامن من الهجرة سار بنو هوازن لقتال المسلمين، وانهزم المسلمون في بداية الأمر، ولكنهم حزبوا أمرهم وكروا علي هوازن فهزموهم هزيمة نكراء وقد روي البراء بن عازب قال : لما كان يوم حنين رأيت النبي ﷺ والعباس وأبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهما آخذان بلجام بغلته وهو يقول :

أنــــا النبــــي لا كـــــذب   أنــــا ابــن عبــد المطــلب

---

(١) العقد الفريد / جـ ٦ ، صـ ١٣٠.

(٢) ديوان حسان / صـ٧١.

(٣) ديوان حسان / صـ٧٤.

وقد عبر الشعر عن هذه المعركة تعبيرا صادقا ، ومن ذلك قول العباس عم النبي ﷺ :

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة — وقد فر من قد فر عنه وأقشعوا
وعاشرنا لاقي الحمام بنفسه — بما مسه في الله لا يتوجع [1]

(١)

ومن ذلك أيضاً قول العباس بن مرداس يصف ما كان من شأن المسلمين :

ويوم حنين حين سارت هوازن — إلينا وضاقت بالنفوس الأضالع
أمام رسول الله يخفق فوقنا — لواء كخذروف السحابة لامع
ولكن دين الله دين محمد — رضينا به فيه الهدي والشرائع
أقام به بعد الضلاله أمرنا — وليس لأمر حمه الله دافع [2]

(٢)

ومن ذلك أيضا قول بجير بن زهير بن أبي سلمي :

لولا الإله وعبده وليتم — حين استخف الرعب كل جبان
والله أكرمنا وأظهر ديننا — وأعزنا بعبادة الرحمن
والله أهلكهم وفرق جمعهم — وأذلهم بعبادة الشيطان[3]

الشيطان[3]

سيدنا أبو بكر رضي الله عنه شاعراً[4]

لم يعرف دارسو أدب صدر الإسلام لسيدنا أبي بكر إلا أشعارا قليلة متناثرة في بطون المصادر حتى ظهر ديوانه منذ فترة قريبة ، وبظهور هذا الديوان ينهض أبو بكر شاعرا بين شعراء صدر الإسلام . والحق أن وجود

---

(١) تفسير القرطبي/ جـ٥/ صـ ٢٩٣٧– وقد ثنيت في هذا الموقف أم سليم وكانت ممسكة بعيرا لأبي طلحة طلحة وفي يدها صخر، ولم ينهزم رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا أحد ممن أحاطو به وهم عشرة رجال .

(٢) ديوان العباس بن مرادس، ص١٠٨/ تحقيق د. يحيي الجبوري/ ط١ سنة ١٩٩١– ط الرسالة بيروت .

(٣) سيرة ابن هشام/ القسم الثاني / صـ٤٥٩.

(٤) انظر هذا الموضوع بالتفصيل / شعر سيدنا أبي بكر " دراسة نصية " / د. غريب محمد علي / مجلة آداب المنيا / العدد ٤٩ سنة ٢٠٠٣ .

ديوان لأبي بكر – في حد ذاته – يعد إضافة لشعر صدر الإسلام ودليلا قاطعا علي أن الإسلام لم يحارب الشعر ولم يعاد الشعراء بل عدل مسار الشعر وجعله متساوقا مع جوهر الدين ، ويعد دليلا مؤكدا علي أن الرسول ﷺ لم يحارب الشعر ، وهذا موقف يضاف إلي مواقفه ﷺ .

وثمة قيمة ثالثة لهذا الديوان إذ يعد وثيقة تاريخية مهمة من وثائق العصر الإسلامي، ودليلنا علي ذلك استشهاد بعض المؤرخين بشئ من شعره رضي الله عنه ويمكن أن نضيف إلي ذلك قيمة رابعة وهي قيمة لغوية فلقد استشهد بعض اللغويين مثل الزبيدي وابن منظور بشئ من شعر أبي بكر أيضاً .

ولنا أن نسجل أيضا أننا لا نجد شاعرا قرشيا وقف إلي جانب شعراء صدر الإسلام من أهل المدينة يناهض الأعداء ويصف المعارك ويجند شعره للدعوة الإسلامية ويمدح الرسول ﷺ غير أبي بكر، ويلاحظ علي شعر أبي بكر من الناحية التاريخية أنه يبدأ بحادثة الإسراء وينتهي بوفاة النبيﷺ ، وكأنما حادثة الإسراء قد فجرت ينبوع الشعر عند أبي بكر ولعله كان متحرجا قبل ذلك من قول الشعر ، وأما أنه لم ينظم بعد وفاة النبي ﷺ فلعله رأى أن لا قيمة لشعر يقال بعد وفاتهﷺ أو لعله شغل بالخلافة والحروب فيما بعد. وتأتي جملة الديوان أربعمائة وخمسة وعشرين بيتا وهذا كم من الشعر لا يستهان به في صدر الإسلام خاصة إذا عرفنا أن كعب بن مالك وهو واحد من الشعراء الثلاثة الذين أوقفوا شعرهم علي الإسلام ونبيه الكريم ﷺ لا يتجاوز خمسمائة وأربعة وثمانين بيتا وأن عبد الله بن رواحة وهو واحد من فرسان حلبة الشعر آنذاك لا يزيد شعره عن مائتين وأربعة عشر بيتا مع ملاحظة أن بعض أشعارهما قد اختلط ببعض كما اختلط ببعض من أشعار سيدنا حسان بن ثابت. وإذا كان بعض أشعار سيدنا أبي بكر قد اختلط بشعر غيره فإن نسبة الاختلاط ضئيلة لا تتجاوز ٠,٦٪ ويلاحظ أن شعر سيدنا أبي بكر رضي الله عنه كله إسلامي فالديوان الذي بين أيدينا ليس فيه شعر يمثل الفترة

التي عاشها أبو بكر قبل الإسلام وإن طبع بعضه أحيانا ببعض الطوابع الفنية التي عرف بها الشعر الجاهلي .

أغراض شعره :

يذهب شعره رضي الله عنه في الأغراض التي نظم فيها شعراء الإسلام عامة آنذاك ، وهي أغراض يمكن تقسيمها إلي أغراض قديمة وأغراض جديدة وذلك علي النحو التالي :

أ- الأغراض القديمة :

ونقصد بها الآغراض التي نظم فيها الشاعر العربي منذ العصر الجاهلي ولكن أبا بكر طعمها بمبادئ الدين بل صبغها بصبغة إسلامية واضحة وأبرز هذه الآغراض ما يأتي :

١- المدح:

يمثل المدح في شعر أبي بكر نسبة غير قليلة فلقد أوقف قصائد ومقطعات برمتها علي هذا الفن ، وهي في جملتها – تمثل حوالي ربع الديوان. وقد جاءت مدائحه كلها متسمة بالصدق والإخلاص وحرارة العاطفة بريئة من النفاق، لا يشوبها الرياء، بعيدة عن التكسب والعطاء ، فهو لم يمدح لغرض مادي أو لهوى نفسي أو لتحقيق نفع شخصي إنما صدر في مديحه عن روح صادقة وإيمان يقيني . وكان النبي ﷺ أبرز شخصية مدحها أبو بكر وأوقف عليها جل مدائحه وهذا أمر بدهي فالنبي ﷺ هو صاحب الرسالة وحامل لواء الدين وهو الصديق الحميم الذي أحبه أبو بكر حبا جما وهو النبي الكريم الصادق الأمين الذي جاء لصلاح الدنيا وخير البشرية وإنقاذها من الموبقات والغي والفساد وهو السراج المنير والرحمة المهداة من رب العباد كما يقول:

دعا الناس النبي إلى رشاد   فلم ير فيه منا من خلاف
إلى توحيد خلاق البرايا   وكفر بالحجارة واللخاف (١)

وكما يقول :

---

(١) ديوان أبو بكر الصديق / تحقيق الاستاذ راجي الأسمر / صـ ٧٣

هدانا به الرحمن من فتن الـردى وأنقـذنا من هـول تلك الهنابث
فكـان سـراجا للإله ورحـمـة يخلد فـي تلك الجنان المواكث [١]

وكان طبيعيا أن يذود أبو بكر عن النبي ﷺ في مدائحه وأن يدافع عن الدعوة الإسلامية وهذا ما يظهر في قوله :

وجاهـدت في الله أعـداء الـ لـذين بهـم ربنـا يمحـل [٢]

وهو في خلال هذا المديح لا ينسى أن يذكر مبادئ الدين وأن يشير إلي شئ من أمور العبادة وذلك كما نقرأ في قوله :

فسن الصلاة لنا والـزكـاة وبـرًّا بـذي رحـم يوصـل
وسـن الصيام لنـا والقيام مـولى إلـي الله لا تجهلوا
وحجـا إلي الله فـي بيتـه لمـن كان ذاك لـه يسـهل [٣]

وقد ركز أبو بكر في مديحه الرسول ﷺ علي أمور أهمها إظهار الدور الذي اضطلع به النبي في سبيل هداية الناس كما ركز علي الصفات التي اتنسم بها النبي ﷺ وهي في جملتها فضائل دينية وشمائل خلقية كريمة يقول علي سبيل المثال :

تقبلت ذلك مـن علمـه ومـازال فـي حكمـه يعـدل [٤]

ويقول :

إذا عدت الأنساب أو قسن بالحصا فمغرسه من هاشم خير معرس [٥]

وإلي جانب مديح النبي ﷺ ذهب يمدح الأنصار ويثني عليهم ويذكر فضلهم ويشكر عملهم الذي قاموا به من أجل الدعوة مشيرا إلي سرعة استجابتهم للدين ودفاعهم عنه مقارنا بين موقفهم وموقف الكفار المعاندين يقول :

فيـسر قـومـا للهـدي فتقدمـوا وأهلك بالعصيان قوما ودمرا
وأثنـي عليهم صالحا فـي كتابـه فكان الذي أثني أجل وأكثرا [١]

---

(١) الديوان / صـ٤٧ – ٤٨ .
(٢) ديوان / صـ٦٦ .
(٣) الديوان / ص٦٥ .
(٤) الديوان /صـ٦٦.
(٥) الديوان صـ٥٨.

ويقول :

وآووا رسـول الله إذ حـل دارهـم بلا ضجـر خلقا سجيحا ميسرا

أبـاة يفـوز مـن تقـدم منهـم وسوف ينال البر من قد تأخرا[2]

ومن الشخصيات التي حظيت بشئ من مديح أبي بكر : بلال بن رباح مؤذن النبي وخازنه وقد جاء هذا المديح في مقطوعة لا تتجاوز أربعة أبيات يوضح فيها ما قام به بلال من قتل أمية بن خلف الذي سام بلالا سوء العذاب في مكة ، كما يدعو له أن يزيده الرحمن خيرا بهذا العمل الجليل الذي قام به ويشير إلي أن بلالا لم يكن أبدا نكسا أو جبانا فلقد كرَّ علي عدوه بمشرفي مرهف صقيل غير هياب ولا وجل يقول معبرا عن ذلك :

هنيئـا زادك الرحمـن خيـرا فقـد أدركـت ثأرك يابـلال

فلا نكسـا وجـدت ولا جبـانـا غـداة تنـوشك الأسل الطوال

إذا هـاب الرجـال ثبـت حتى تخالـط أنت ما هاب الرجـال

علـي مضض الكلوم بمشـرفـي جلا أطـراف متنيه الصقـال [3]

٢- الرثاء:

الرثاء هو فن تأبين الموتى وعنوان الإخلاص والوفاء ، وقد احتل هذا الفن المرتبة الثانية في شعر أبي بكر إذا تبلغ أبياته أربعة وستين بيتا كلها في رثاء النبي ﷺ .

لقد بكي أبو بكر النبي بكاء مرا وعصر الحزن قلبه عصرا ، وهو يرى أن في البكاء شفاء وفي العبرات دواء ، ولذا يطلب من العين سفح الدموع غزيرة حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا إذ يقول :

عين جـودي فـإن ذاك شفـائي لا تملـي مـن زفـرة وبـكاء

اندبي خيـر مـن برا الله في الدن يـا ومـن خصه بوحي السماء

---

(١) الديوان صـ٦٩ .
(٢) الديوان /صـ٧٠ .
(٣) الديوان / ص ٨٨ .

بدمـــوع غــزيـــرة منـــك حتى يقضـــي الله فيك حتـــم القضاء [١]

لقـد مـلأ الأسـى والحـزن جـوانح أبـي بكـر وضـاقت عليـه الأرض بمـا رحبـت ووهـي القلـب وانكسـر العظـام وجفـا النـوم جفونـه ولازمتـه الهمـوم والآلام لفقد النبي عليه السلام وهذا ما يظهر في قوله :

أمست هموم ثقال قد تأوبني مثل الصخور عظام هدت الجسدا

كم لي ببعدك من هم ينصبني إذا تذكرت أنـــي لا أراك آبـــدا [٢]

ويظل هـكذا حزينا باكيا متمنيا أن لو أدركه الموت قبل وفاة النبيﷺ إذا يقول :

يا ليتني من قبل مهلك صاحبي غيبت في جدث عليَّ صخور [٣]

ولـيس هـذا فحسـب بـل إن الـدين والـدنيا جميعـا قـد بكـوا محمـدا ﷺ وبكـى معهما البلد الحرام وبكـاه كل ذي عين حتى لقد بكـاه الحمام في قرامصه كما يقول:

بكـــاه الديـــن والدنيـــا جميعـــا وبكـــي فقـــده البلد الحـــرام

بكـــاه كل ذي عيـــــن إلـــي أن بكـــاه فـــي قرامصه الحمام [٤]

وهـكذا يستمر في حالة من الحزن الشديد حتى يعلن في النهاية أن هـذا هو حال الدنيا فهي لا تدوم علي حال وأن الإنسان مهما طال عمره فلابد أن يلاقي حتفه ولابد من التسليم المطلق بقضاء اللّه وقدره كما يقول :

وحـــم لـــه عـــن الدنيا انصراف وكل ســـوف يصـــرفه الحمام

وما مـــن مهمل فـــي الأرض إلا سيفجـــأ مهـــلـــه حتف زؤاوم[٥]

ثم يعاهد اللّه في نهاية الأمر أن يظل وفيا لنبيه مستمسكا بهديه مـادام حيا حيث يقول :

---

(١) الديوان / صـــ٣٥ .
(٢) الديوان صـــ ٣٤ .
(٣) الديوان صـــ٣٣.
(٤) الديون /صـــ٨١.
(٥) الديون /صـــ٨٢ .

سأتبــع هديــه ما دمــت حيـــا   طوال الدهــر ماسجع الحمام [(١)]

٣- التهديد والوعيد :

عرف هذا اللون منذ العصر الجاهلي واستمر الشعراء ينظمون فيه في صدر الإسلام وكان من الطبيعي أن يتطرق إليه أبو بكر رضي الله عنه فهو واحد من شعراء ذلك العصر وهو الشاعر المسلم الذي لا يرضيه أن يري الأعداء يهاجمون الدين والنبي ﷺ ويتوعدون المسلمين فيقف مكتوف اليدين ومن ثم أطلق تهديداته و إنذاراته فكانت أشبه بسهام نافذة مسمومة موجهة إلي صدور الأعداء، ومن هذه التهديدات رسالته التي وجهها إلي ثقيف ينذرهم فيها بجند كثيف تصبحهم في عقر دارهم فتؤدب غواتهم وتخضع عصاتهم وفيها يشبه جنود المسلمين الأشاوس بالأسود الضارية التي تدوخ كل من حاد عن سنن الهدى وسبل الرشاد يقول في هذه الرسالة :

فلئــن ثقيــف لــم تعجــل توبة   وتصدر عن سنن الطرق الجانف

لتصبحــن غواتــهم فــي دارهم   منا بأر عن ذي زهــاء زاحــف

فيــه الكمــاة علي الجياد كأنهم   أسد غدون غداة دجــن واكــف

حتى تــدوخ كــل أبلــج منهــم   متجنب سبل الهدى متجــانف [(٢)]

متجــانف [(٢)]

ومن تلك التهديدات الرسالة التي وجهها إلي قريش في غزوة عبيدة ابن الحارث وهو يطلب فيها عودتهم عن الكفر والضلال وإلا فإن ثمة عذابا شديدا ينتظرهم من الله بالإضافة إلي أن المسلمين سيشنون عليهم غارة شنعاء تجعلهم يذهلون عن كل شئ ، يقول معبرا عن ذلك .

وإن يركبــوا طغيانهم وضــلالهــم   فليس عــذاب الله عنهم بلا بث

---

(١) الديون / صــ٣٠.

(٢) الديوان / ص١٩ ، ٢٠ .

لئن لم يفيقوا عاجلا عن ضلالهم ... ولست إذا آليت قولا بحانث

لتبتدرنهم غارة ذات مصدق ... تحرم أطهار النساء الطوامث[1]

ثانياً : الأغراض الشعرية الجديدة :

ونعنى بها الأغراض التي لم ينظم فيها الشاعر العربي من قبل وهي أغراض لم تظهر إلا في ظل الإسلام ومن أبرز هذه الأغراض في شعر أبي بكر ما يلي :

١- شعر المعارك والأحداث الاسلامية :

لعل أبرز معركتين تناولهما أبو بكر في شعره هما بدر وحنين ولعل السر في ذلك أن بدرا كانت أول معركة إسلامية كبري وكانت نصرا عظيما أعز الله به الإسلام والمسلمين ، وأما حنين فكانت آخر معركة كبري خاضها النبي ﷺ وكانت امتحانا من الله لرسوله وللمؤمنين .

وقد تناول في الحديث عن غزوة بدر أمرين مهمين هما الإشارة إلي قتلى قريش الذين ألقي بهم في القليب وتبشير النبي ﷺ المسلمين بحياة طيبة ، يقول :

ماذا بالقليب قليب بدر ... من الشيزى تزين بالسنام

يحدثنا الرسول بأن سنحيا ... وكيف حياة أصداء وهام[2]

وأما حديثه عن يوم حنين فلم يزد عن خمسة أبيات ولكنه استطاع أن يصور الموقف تصويرا بارعا من البداية إلي النهاية ، يقول معبرا عن المعركة وعن شجاعة النبي ﷺ :

حين ولي الناس وانخذلوا ... هربا واحمرت الحدق

شد كالليث الهزبر وقد ... عظم الأشجان والقلق

لم يخب إذ شد جمعهم ... والقنا إذ ذاك تأتلق

وسيوف في أكفهم ... كحمام الموت تصطلق

---

(١) الديوان / صـ٢٢-٢٤ .

(٢) الديوان / ص٨٩ .

فتـــولـــوا بعــــــدمـــــا طمعـــوا … وبغير الله مـــا انطـــلقـــوا [١]

وله إلي جانب الحديث عن هاتين المعركتين حديث عن بعض الغزوات البسيطة مثل غزوة عبيدة بن الحارث وهي أول قتال حدث في الإسلام وقد أشرنا إليها من قبل ، ومثل غزوة عبد الله بن جحش . وله إلي جانب ذلك أشعار تحدث فيها عن بعض الأحداث الإسلامية الكبرى مثل الإسراء والمعراج والهجرة النبوية وحديث الإفك ، يقول في الإسراء والمعراج :

عجبـــت لما سرى الإله بعبده … من البيت ليلا نحو بيت مقدس

فآمنـــت إيمانا بربي وبينـــت … لنا كتب مـــن عنده لم تلـــبس [٢]

تلـــبس [٢]

وأما عن حادثة الهجرة فيقول علي سبيل المثال :

قال النبي – ولم أجزع – يوقرني … ونحن في سدفة الليل من ظلمة الغار

لا تخـــش شيئـــا فـــإن الله ثالثنا … وقـــد تـــوكلنـــا منـــه بإظهـــــار [٣]

بإظهـــــار [٣]

٢- شعر الدعوة :

هو فن جديد من الشعر لم يعرفه العرب من قبل ولم يألفوه وأثر من آثار الإسلام في الآدب بلا شك وقد اتخذه شعراء الإسلام وسيلة من وسائل نشر الدين وعرض مبادئه الحنيفة ، وفي هذا المجال ينهض أبو بكر رضي الله عنه شاعرا من أكبر شعراء الدعوة الإسلامية فلقد نذر نفسه للإسلام والدفاع عن الدين بكل ما أوتي من سبيل، وفي شعره مقطوعات وقصائد برمتها موقوفة علي هذا الأمر ، وهذا الغرض يمثل في شعر أبي بكر المكانة الأولي وقد تفوق فيه علي كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة رغم شهرتهما في الشعر ومكانتهما الأدبية .

وقد تطرق أبو بكر في هذا الفن إلي أفكار كثيرة ففيه يدعو الناس إلي الدخول في الدين والإيمان بالله عز وجل وينصح و يمحض النصح لهم

---

(١) الديوان / صـ٤٣/٤٤.

(٢) الديوان / صـ٥٧ .

(٣) الديوان ص ٥٣ .

ولا يقصر في الدعوة ولا يتواني وهو في خلال ذلك يحمد الله الذي هداه إلي الإيمان وهذا ما يتضح في قوله:

هلمـوا إلي ديـن النبي محمـد ولو كان في أقصى جبال عمان

فأحمـد مـولاي الجليـل فإنـه بنعمته مـا انتشـاني وهداني (1)

وفيه يوضح للناس أن الإسلام نعمة كبري ومنة فضلى من الله عز وجل ويذكر الناس بأركان الإسلام وعلي رأسها الإيمان بوحدانية الله عز وجل الذي لا شريك ولا معقب لحكمه إذ يقول :

والله ربـي واحـد قديـر

تجري كما يشاؤه الأمـور

ليس له فـي فعله مشير (2)

وهذه الوحدانية تستوجب تسبيح الله وذكره والتوكل عليه وإقامة الصلاة والصيام وإيتاء الزكاة والحج يقول علي سبيل المثال :

دعـا النـاس النبـي إلـي رشـاد فلم يـر فيـه منا من خلاف

إلي توحيـد خـلاق البـرايـا وكفـر بالحجـارة واللخـاف

علي خمس الصلاة وصوم شهـر وإيتـاء الـزكاة بـلا اقتفاف (3)

ويقف في هذا الشعر مفندا مزاعم المشركين ومدحضا حججهم ومبينا فساد عقيدتهم وداعيا إلي نصح الناصح النصوح محمد ﷺ إذ يقول :

هلموا إلي نصـح النصوح الذى أتى بحق منير وجهه لا يحبس (4)

ويقول موضحا مصير الكافرين :

ومـن بالـلات والعـزى تمسـك معصمـا جـزلا

إلـي نـار مسـعـرة يعالـج غلهـا القمـلا (5)

---

(1) الديوان / صـ٤٩ / ٥٠ .
(2) الديوان / صـ٣٧ .
(3) الديوان / صـ٧٣ .
(4) الديوان / صـ٦٢.
(5) الديوان / صـ٧٨.

وفي الجانب الآخر يقف مبينا مصير المؤمنين والثواب الجزيل الذي ينتظرهم مقارنا بين هذا المصير ومصير المشركين :

فقوم إلي نار الجحيم مصيرهم فإفلاسهم والعابد الصخر أفلس
وقوم بجنات الخلود مقامهم ثيابهم فيها حرير وسندس[1]

وفي خلال ذلك الشعر يعرض مبادئ الدين ويشرح أحكامه ويعرض جوانب العبادة ويبين للناس أن النبي يدعوهم دائما إلي الحق والخير والهدى والرشاد ، ويؤكد كثيرا علي القيم الإسلامية التي جاء يدعو إليها الرسول ﷺ .

والحق أنه وقف في هذا اللون في الشعر داعيا وواعظا ومذكرا وناصحا ومرشدا ، وقد جاء هذا كله في أسلوب هادئ رزين لا يخرج عن دائرة الدين مراوحا بين الترغيب مرة والترهيب تارة أخري .

إن هذا اللون من الشعر دليل علي أن الإسلام قد أخرج الشعراء من الدائرة الضيقة التي كانوا يدورون فيها وجعلهم يحطمون التقاليد الجامدة والقوالب المعينة منطلقين إلي رحابه الفكر وميدان التطور والتجديد.

السمات الفنية :

من أبرز السمات الفنية لشعر سيدنا أبي بكر رضي الله عنه سهولة اللغة ووضوح الأسلوب إذ لا تعقيد في شعره ولا نشوز ولا تنافر في الحروف بل سهولة ودقة وسلاسة وعذوبة ووضوح ومن ذلك علي سبيل المثال قوله :

كم من صغير عقله كبير
ومن كبير عقله صغير
والله ربي واحد قدير[2]

ومن سماته الدقة في اختيار الألفاظ فلقد اختار لكل غرض كلمات معبرة عنه في غاية من الدقة والإحكام ففي شعر الدعوة اختار ألفاظا

(١) الديوان / صـ٦٢.
(٢) الديوان / صـ٣٧ .

وعبارات رقيقة لينة وفي شعر المعارك الإسلامية نقلنا بعباراته وألفاظه إلى جو الحروب والقتال وفي الرثاء اختار ألفاظا معبرة عن الحزن والشجن وهكذا .

ومن هذه السمات : الصحة اللغوية فهو لم يخرج عن قواعد اللغة كما أنه تأثر بالدين الإسلامي لفظا وأسلوبا سواء بالقرآن الكريم أو بالحديث النبوي الشريف ، ومن تلك السمات التي تلمح في شعره وجود بعض المظاهر البديعية كالطباق والجناس ورد العجز علي الصدر ووجود بعض الأساليب والظواهر اللغوية كأسلوب الشرط والتوكيد والقصر وبعض الأساليب الإنشائية كالاستفهام والنهي والأمر .

ويضاف إلي ذلك وجود بعض الصور البلاغية كالتشبيه والاستعارة ومن ذلك علي سبيل المثال قوله مستخدما التشبيه :

إذا ما دعوناهم إلي الحق أدبروا عن الحق إدبار الكلاب اللواهث[1]

اللواهث[1]

وقوله مستخدما الاستعارة :

بكاه الدين والدنيا جميعا وبكى فقده البلد الحرام [2]

[2]

وأما العاطفة في شعره فلقد جاءت قوية صادقة حارة سامية ، ومن حيث الموسيقا فلقد جاء شعره مصبوبا في الأوزان الشعرية المعروفة وأهمها الطويل والرجز والوافر ملتزما فيه القافية الموحدة .

(١) الديوان / صـــ٢٢.
(٢) الديوان / صـــ ٨٠ .

حسان بن ثابت وقضية الضعف في شعره [١]

التعريف به :

هو حسان بن ثابت بن المنذر، ينتهي نسبه إلي قبيلة الخزرج، وأمه: الفريعة بنت خنيس الخزرجية، فهو خزرجي الأب والأم، ويمت بصلة قرابة إلي رسول الله ﷺ، فهو من بني النجار أخوال النبي عليه السلام. وكنيته أبو الوليد وأبو الحسام وأبو عبد الرحمن .

عاش حسان حياة طويلة فلقد قيل إنه عاش ستين عاما قبل إسلامه وستين أخري بعد إسلامه ، ويقصر البعض عمره إلي ثمانين عاما نصفها في الجاهلية ونصفها في الإسلام .

كان في الجاهلية كثير التردد علي قصور الغساسنة في الشام يمدحهم ويطلب رفدهم ، وينال عطاءهم وخاصة جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة ، وكان علي صلة بالنعمان بن المنذر أبي قابوس ملك الحيرة، وكان بينه وبين شاعري الأوس : قيس بن الخطيم وابن الأسلت عداوة وله معهما مناقضات شعرية [٢]. وكان يذهب إلي سوق عكاظ ، وله صحبة مع النابغة ، وكان يعرض عليه شعره ، ولكن رغم تلك الصحبة فقد قدم النابغة الأعشى علي حسان[٣] .

---

(١) انظر هذا الموضوع في :
- الأغاني / الأصفهاني / جـ٤ ، صـ٢.
- الكامل / المبرد مواضع متفرقة.
- طبقات فحول الشعراء ابن سلام / جـ ١ ،صـ٢١٥ .
- السيرة النبوية لابن هشام .
- أسد الغابة / ابن حجر العسقلاني .
- حسان بن ثابت شاعر الرسول أ. د سيد حنفي حسنين ط وزارة الثقافة سنة ١٩٦٤.
- جمهزة أشعار العرب / أبو زيد القرشي / شرح : علي فاعور / صـ ٢٨٥ – ط أولى– دار الكتب العلية .بيروت سنة ١٩٨٦ .
- شعر الدعوة عند حسان بن ثابت / د. طارق سعد شلبي / ط زهرة المدائن سنة ٢٠٠٣ .
- العصر الاسلامي/ د. شوقي ضيف ، ط دار المعارف سنة ١٩٧٨ .
- حسان بن ثابت / محمد أبراهيم جمعة / ط المعارف سنة ١٩٨٢
- حسان بن ثابت / د . محمد طاهر درويش / ط دار المعارف سنة ١٩٧٦ .
- الشعر والشعراء/ ابن قتيبة/ تحقيق أحمد محمد شاكر. ط دار المعارف، سنة ١٩٨٢ ج١، ص ٣٠٥

(٢) انظر ديوان حسان بن ثابت

(٣) انظر/ نقد الشعر/ قدامة بن جعفر/ د عبد المنعم خفاجي/ ص٩٢/ ط الأزهرية سنة ١٩٨٠، وانظر الموشح/ المرزوباني/ تحقيق علي محمد البجاوي/ ص٦٩/ ط نهضة مصر/ بدون .

وقد كرس حسان جانبا من شعره في الجاهلية للتكسب ، وجانبا آخر للمنافحة عن قوم وفي هذا الجانب الأخير شعر كثير في الهجاء ضد قيس ابن الخطيم.

أسلم حسان يوم أن هاجر النبي ﷺ إلي المدينة المنورة ، وانبرى هو وكعب بن مالك وعبد اللّه بن رواحة للرد علي الشعراء المشركين وللدفاع عن النبي الكريم والدين الإسلامي الحنيف ، وكان الرسول ﷺ يحثه علي قول الشعر ويدعو له .

وقد استحق سيدنا حسان أن يلقب شاعر الرسول ﷺ؛ لأنه وقف وقفة المسلم الملتزم الذي حسن إسلامه ، وجاهد جهادا مستميتا دفاعا عن النبيﷺ وعن الدعوة الإسلامية ، وعاش يناضل بلسانه ضد أعداء الإسلام من مشركين ويهود وأخذ يمدح النبي والمسلمين ويعلي من راية الإسلام.

والحق أن حسان رضي اللّه عنه قد أوقف قريحته وبلاغته علي الإسلام يرد عنه كيد الكائدين ويذود عنه حقد الحاقدين ويمدح النبي الكريم ويتغني بوقائع المسلمين، ويدعو القبائل إلي اعتناق الدين الحنيف، وإذا هزم المسلمون استطاع أن يحول الهزيمة إلي مجال للفخر بما لديه من حنكة وتجربة وشاعرية .

لقد أبلي حسان في ذلك كله بلاء عظيما ، ومن أجل هذا عرف بشاعر الرسول ﷺ وكان شعره رضي اللّه عنه أشد وقعا علي المشركين ؛ ولذا قال ﷺ: أمرت عبد اللّه بن رواحة (يعني أمر بهجاء قريش)، فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفي، واشتفي وقال عليه السلام له " شن الغارة علي بني عبد مناف فو اللّه لشعرك أشد عليهم من وقع الحسام في غبش الظلام " ومن ثم كان لحسان مكانة مرموقة في الإسلام فلقد جله النبي ﷺ وقدره ورفع من منزلته وأعلى من قدره إذ لم يتخل حسان لحظة في الدفاع عن حوزة الإسلام ،ومما يدلنا علي إكرام النبي له وتقديره إياه أنه جعل له منبرا في

المسجد ينشد عليه الشعر ، وكان يقسم له في الغنائم بعد عودته من الغزوات كأي محارب شارك فيها بسيفه ، وأهدى له بستانا كما أهدي له سيرين أخت مارية القبطية وهي التي ولدت له ابنه عبد الرحمن كما أهدى له بيرحى وهو قصر بالمدينة كان لأبي طلحة .

وكان الخلفاء والصحابة يقدرونه أيضا ، ويذكرون له دوره الخطير الذي قام به في خدمة الإسلام ، ولذلك فرضوا له العطاء وأجزلوه ، ووفروا له أسباب الحياة الهانئة الهادئة .

شعره :

ينقسم شعر حسان قسمين : جاهلي وإسلامي ، وقد أجاد فيهما واحتل مكانة مرموقة والقسم الإسلامي هو الذي يهمنا ، والحق أنه أجاد فيه وأتقن وتفوق وخاصة في الهجاء والمناقضات والشعر الحربي والمديح والرثاء وشعر الدعوة الإسلامية.

إن هذا القسم هو ميدان جهاده الحقيقي في سبيل الدعوة الإسلامية ، وهو الذي جعل لحسان مكانة خاصة حظيت بهالة من التقدير والاحترام .

وله في مديح الرسول ﷺ قصائد جليلة تعد من عيون التراث الشعري ، ولعل من أشهر مدائحه النبوية قصيدته التي يقول فيها :

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النفع موعدها كداء

يبارين الأعنه مصغيات علي أكنافها الأسل الظماء

وقال الله قد أرسلت عبدا يقول الحق إن نفع البلاء

شهدت به فقوموا صدقوه فقلتم لا نقوم ولا نشاء (١)

ومن مدائحه التي اشتهر بها قوله في يوم بدر :

فينا الرسول وفينا الحق نتبعه حتى الممات ونصر غير محدود

مبارك كضياء البدر صورته ما قال كان قضاء غير مردود(٢)

---

(١) ديوان حسان / صـ٧٣ – ٧٥ .

(٢) ديوان حسان ،صـ٢٤٢.

ومن مدائحه المشهورة قصيدته التي يرد فيها علي شاعر الوفد التميمي والتي يقول فيها :

إن الذوائب من فهر وإخواتـــهم   قـــد بينوا سننـــا للناس تتبـــــع
يرضى بها كل من كانت سريرته   تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا
أكرم بقوم رســول الله قائدهـــم   إذا تفرقت الأهواء والشيـــع [١]

ويلحـظ علـي مـدائح حسـان أنهـا لم تـتخلص تماما مـن طـابع المـديح الجـاهلي لغـة نسـقا إلا نـادرا فهـو في الأولى يقـف علـي الـديار ويرنـو إلـي الأطلال متحسرا كفعل شعراء الجاهلية إذ يقول في مطلعها :

عفت ذات الأصابع فالجواء   إلي عذراء منزلها خلاء
ديار من بني الحسحاس قفر   تعفيها الروامس السماء[٢]

وفي القصيدة الثانية نجد الحماسة والفخر والإشادة بالبطولة ، وليست هذه القصدة فحسب هي الـتي يعلـن فيهـا الفخـر بالبطولـة بـل نـرى ذلـك في قصائد أخري .

وفي القصيدة الثالثة لم يكن النبي ﷺ هو محور المديح بل الأنصار قوم الشاعر وإنما جاء مديح النبي ﷺ عرضا.

ورغـم ذلـك فإننـا نجـد صـورا إسـلامية يسـتمدها الشـاعر مـن الـدين الإسلامي مبينا مـن خلالها فضـل النبي عليـه السـلام، وداعيـا إلـي اعتنـاق الدين الكريم ومبادئه ، وذلك كما نرى في قوله :

أعني الرسول فإن الله فضلـــــه   علي البرية بالتقوى وبالجود
واف وماض شهاب يستضاء به   بدر أنار على كل الأماجيد[٣]

وهو في تضاعيف هذا المديح يتعرض لهجاء المشركين ردا علي هجـائهم النبي ﷺ وحين يفعـل ذلـك تختلط عنـده المعـاني الجاهليـة والإسـلامية. وقـد اتخـذ هجـاؤه المشـركين طـابع التعـبير بـالهزائم والتنديـد بالمخـازي علـي

(١) ديوان حسان ، صـــ٢٣٨ ، ٢٣٩.
(٢) ديوان حسان / صـــ ٧١ .
(٣) ديوان حسان ، صـــ ٢٤٢ .

الطريقة الجاهلية وامتزج ببعض الصور والمعاني الإسلامية ، وذلك كما نقرأ في قوله يوم بدر:

وعلونا يوم بدر بالتقى طاعة الله وتصديق الرسل
وتركنا في قريش عورة يوم بدر وأحاديث مثل
وقتلنا كل رأس منهم وطعنا كل جحجاج رفل (١)

وهو في أثناء رده علي المشركين يعلن أنه فداء الرسول ﷺ محتسبا الأجر عند اللّه عز وجل ، وفي هذا يقول مخاطبا أبا سفيان :

ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف نخب هواء
هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء(٢)

قضية الضعف في شعر حسان :

ولكن رغم ذلك كله فإن ثمة دعوي باطلة مؤداها أن شعر حسان الإسلامي قد ضعف وأصابه الوهن والركاكة .

والحق أن هذا الشعر الإسلامي لدي حسان لم يضعف ولم تصبه الركاكة ولرد هذه الدعوي الباطلة وتفنيدها يمكن القول :

١) إن شعر حسان الإسلامي قد أصابته الرقة ، ولم تصبه الركاكة، وقد حاول حسان تعليل هذه الطاهرة ، "الرقة في شعره الإسلامي " حينما سئل عنها فردها إلي أن الإسلام يدعو إلي الخير والحق .

وقد قيل له، "لأن شعرك أو هرم يا أبا الحسام فأجاب: إن الإسلام يحجز عن الكذب والشعر يزينه الكذب " وكأنما بذلك يرد علي الأصمعي الذي جاء فيما بعد وتفرد بهذه المقولة: " الشعر نكد بابه الشر .

وفي رواية ؟ الشعر نكد يقوى في الشر ويسهل فإذا أدخل في الخير ضعف ولأن هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الإسلام سقط شعره . وفي رواية: " الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان ألا تري أن

---

(١) ديوان حسان / صـــ ٩٥ .
(٢) ديوان حسان / صــ٧٥ / ٧٦ .

حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي وحمزه وجعفر وغيرهم لان شعره ، وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة ...."[1]

- ولكن ماذا يقصد الأصمعي الذي تفرد بهذه المقولة ؟

- هل يقصد بها السهولة والتخلي عن بعض ما في الشعر الجاهلي من ألفاظ غريبة أو أسلوب وعر؟.

- إن كان كذلك فليس ذلك بعيب بل أنه دليل علي تأثر حسان ببيئته وبأسلوب القرآن الكريم السهل الناصع وإلا كيف سيظل علي شئ من الفظاظة والجلافة وهو الإنسان المسلم الملتزم بتعاليم دينه .

- وإن المقصود **باللیونة الضعف والهبوط وانحدار المستوى** الفني فإن ذلك غير صحيح لأن شعر حسان ليس كله رثاء بل إن أقل ما فيه هو الرثاء.

- وإذا اتفقنا مع الأصمعي علي هذا الأمر فمعني ذلك أن الشعر الإسلامي كله قد انتهي إلي الهبوط والسقوط وهذا ما لم يقل به أحد إلا المضللون ، وربما كان حكمه علي **شعر منحول علي** حسان.

ومن الذي يقول إن الشعر نكد وأنه يقوي في الشر ؟ إن هذه دعوي مفردة وكلمة لم يقلها إلا الأصمعي ولم يتابعه عليها أحد مما يجعله مخالفا لإجماع أهل اللغة و الأدب ، فمقياسه مقياس شخصى لأنه كان مولعا بالغريب من اللغة .

هذا بالإضافة إلي أن حسان قد خاض في موضوعات جديدة لم يألفها الشعراء العرب من قبل كما سنشير إلي ذلك فيما بعد ومقولة الأصمعي تخالف أقوال العلماء والنقاد وأرائهم في شعر حسان .

إن المسألة كلها تعود إلي أن الإسلام قد غير من طبيعة الحياة الجاهلية القاسية المملوءة بالفظاظة و الجلافة وقضي علي جوانب الشر فيها وهي الجوانب التي يطلبها أهل الصحراء ويريدون أن ينمو الشعر في ظلها.

---

(١) الموشح / المرزباني صـ٧١ . وانظر الشعر والشعراء / ابن قتيبة / جـ١ صـ٣٠ .

٢- يري البعض أن الضعف في شعر حسان مرده إلي كثرة الارتجال وسرعة الاستجابة للمواقف وهو الداعية للإسلام والمؤرخ للأحداث ، وهي أحداث سريعة متلاحقة ، ولذلك كان حسان مضطرا إلي الإسراع في العمل الفني ليلاحق سرعة الأحداث ، ولم يجد الفرصة الكافية للتجويد الفني في عمله أو الإطالة فيه ولذلك نري د . سيد حنفي حسنين يقول " وأهم ما يلاحظ علي معظم شعر حسان الإسلامي أنه شعر مقطوعات وليس شعر قصائد وهذا النوع لا يتطلب مقدمات لأن ظروفه تدفع الشاعر إلي موضوعه مباشرة دون تقديم وكانت الحياة حول حسان وبين الرسول والمسلمين تقتضي منه أن يكون سريعا في مقاومة المشركين بفنه حتى يبطل كيدهم ، ويرد غوائلهم كذلك كانت الأحداث تجري بسرعة لا تترك للشاعر فرصة أن يتأمل ويفكر لينظم وإنما تدفعه دفعا لأن يلاحقها بنفس سرعتها [(١)].

ويؤكد علي هذا الرأي د. طارق سعد شلبي حيث يقول " لم يلتزم مذاهب واتجاهات غيره من الشعراء ولم يعمد إلي التكلف في شعره ولكنه يرسله كما توحي به القريحة وكثيرا ما اضطرته بعض المواقف إلي الارتجال "[(٢)]

٣- عبر حسان عن موضوعات **ومعان جديدة لا عهد له وللشعراء بها** من قبل وعبر عن أشياء لم تعرفها الحياة العربية ولم يتحدث عنها الشعراء السابقون فهو الرائد في هذا المجال ولابد للرائد من هنات ولم تكن أمامه نماذج يحتذيها أو يقلدها ، والحق أنه خاض " تجربة خطيرة لم يتعرض لها شاعر من قبل "[(٣)] وكان عليه أن يصوغ نماذج جديدة ويرتاد أرضا جديدة بكرا في الشعر لم يألفها أحد قبله ، ومن ثم كان من البدهي ألا تستقيم له مقومات الصناعة الفنية الاستقامة الكاملة وكان لابد أن تتعثر قدماه بعض الشئ.

---

(١) حسان بن ثابت / د. سيد حنفي حسنين / صـــ ١٦٨ .
(٢) شعر الدعوة عند حسان بن ثابت / د طارق سعد شلبي / صـــ٢٣.
(٣) حسان بن ثابت / د . سيد حنفي صـــ١٩٨ .

٤- يعتقد البعض أن شعر حسان قد اختلط بأشعار غيره من الأنصار مثل كعب بن مالك وعبد الله بن رواحه وغيرهما .

٥- يرد البعض الضعف في شعر حسان إلي كثرة ما دخله من وضع وانتحال وما دس عليه [١] ففي الديوان ما يقرب من أربعمائة بيت منحولة عليه ، فشعر حسان لم يضعف بعد الإسلام وإنما الضعيف فيه هو الشعر المنتحل عليه ومن تلك الأشعار الموضوعة ما صنعته قريش [٢] وما حمل عليه من شعر مملوء بالغيظ علي قتلة عثمان ليظهر الأمويون أن شاعر الرسول كان منحازا إلي صفهم وليغسلوا عار الأشعار التي نظمها في هجاء أسرتهم، وقد تنبه ابن سلام إلي ذلك حيث يقول " حمل عليه ما لم يحمل علي أحد ، لما تعاضهت قريش واستتبت وضعوا عليه أشعارا كثيرة لا تنقى[٣]

وقد اعترف الأصمعي بذلك حيث يقول : تنسب إليه أشعار لا تصح عنه ولنا بعد ذلك كله أن نتساءل :

❖ كيف يضعف شعر حسان في الإسلام وهو المدافع عنه ، وقد اعترف الكفار بقوة شعره ومدي تأثيره فيهم ، ولا أدل علي ذلك من أنه حينما رد علي شاعر الوفد التميمي قال الأقرع بن حابس إن هذا الرجل يعني النبي صلي الله عليه وسلم لمؤتى له " ميسر له " ولشاعره أشعر من شاعرنا "[٤]

❖ كيف يضعف شعر حسان وقد كانت قريش تفزع منه فزعا شديدا وتهابه؟

❖ كيف يضعف شعر حسان والرسول يجنده للرد علي الكفار ويشهد علي ذلك بقوله " شفي واشتفي .؟

❖ كيف يضعف شعر حسان وهو الذي استقي من القرآن الكريم وارتكز علي تعاليم الاسلام وأحاديث النبي ﷺ ؟

---

(١) انظر : حسان بن ثابت / محمد إبراهيم جمعه / صـ٤٦ .
(٢) انظر حسان بن ثابت / د. سيد حنفي / صـ١٩٨ .
(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام / جـ ١ ،صـ٢١٥.
(٤) سيرة ابن هشام ، قسم ٢ – جـ٤ ، صـ٥٦٧ وانظر الأغاني / جـ٤ ، صـ ٩.

- هل ضعف لأنه غير من شعره ليتلاءم مع المنهج الاسلامي والشريعة السمحة الغراء ؟
- هل ضعف لأنه استخدم معيارا جديدا وميزانا مختلفا وهو المعيار الإسلامي؟
- هل ضعف لأنه تأثر بالأسلوب البياني المعجز والأغراض النبيلة ؟

كيف يضعف والحارث بن عوف يستجير برسول الله ﷺ ويستعيذ به من شعر حسان قائلا " اكففه عني يا محمد وأودي إليك دية الخفارة .....أنا عائذ بك من شره فلو مزج البحر بشعره مزجه "[(١)]

إن دعوي ضعف شعر حسان الإسلامي لا تستند علي أدلة منطقية قاطعة وهو رأي غير منصف ويكفي أن نسوق قول ابن خلدون في هذا المقام إذ يقول ..." إن كلام الإسلاميين من العرب أعلي طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهليين في منثورهم ومنظومهم فإنا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة ......، .... أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم .....، .... والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير ""[(٢)]

رأي العلماء والنقاد في حسان :

١- يروي الأصفهاني عن أبي عبيده قوله عن حسان " فضل حسان علي الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي ﷺ في النبوة وشاعر اليمن كلها في الإسلام .....واجتمعت العرب علي أن حسان أشعر أهل المدر.... واتفقت العرب علي أن أشعر أهل المدر أهل يثرب ....وعلي أن أشعر أهل يثرب حسان بن ثابت """"[(٣)]

٢- حينما تحدث ابن سلام عن شعراء المدينة قال " أشعرهم حسان بن ثابت وهو كثير الشعر جيده "[(٤)]

---

(١) الأغاني – جـ ٤، صـ١١.
(٢) مقدمة ابن خلدون / صـ٤٢٦، ط دار ابن خلدون – بدون .
(٣) الأغاني / جـ٤/ صـ٣.
(٤) طبقات فحول الشعراء / جـ١،صـ٢١٥.

٣- قال المبرد " وأعرق قوم كانوا في الشعر آل حسان فإنهم يعدون ستة وكلهم شاعر"[١]

٤- يشهد الأصمعي نفسه لحسان فيقول "حسان فحل من فحول الجاهلية"

٥- قال الحطيئة: أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب حيث يقول :

يغشـــون حتى ماتهر كلابـــهم لا يسألون عن السواد المقبل

٦- يضع له أبو زيد القرشي قصيدة علي رأس المذهبات "[٢]

٧- قال الأصفهاني " حسان فحل من فحول الشعراء " وقال إن شعره كان من مفاخر الأنصار علي الشعراء "[٣]

٨- يشهد له النابغة الذبياني و الأعشى بقولهما " إنك لشاعر "

٩) يشهد له النقاد بأن بيته الذي يقول فيه:

ما إن مدحت محمدا بمقالتـــي لكن مدحت مقالتي بمحمد

قد سبق به كل الشعراء إلى هذا المعنى ولم يأت بعده من زاد فيه .

---

(١) الكامل المبرد ،جـ١/صـ.

(٢) جمهرة أشعار العرب / أبو زيد القرشي / صـ ٢٨٥ / تحقيق علي فاعور ط ١ دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨٦.

(٣) الأغاني / جـ٤،صـ٣.

كعب بن مالك*

التعريف به :

هو كعب بن مالك بن أبي كعب عمر بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة ، أنصارى خزرجي سلمي عقبي مدني أحدى (وسلمي نسبة إلي قومه بني سلمة ،وعقبي :نسبة إلي العقبة حيث كان كعب ممن شهدوا بيعه العقبة الثانية وبايعوا النبي ﷺ، والأحدي : نسبة إلي أحد فلقد شهد أحدا وأبلي فيها بلاء حسنا". وكنيته: أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن ، والكنية الأولي هي التي أجمع عليها المؤرخون فلقد كناه بها النبي ﷺ .

ولد كعب في المدينة المنورة ، ولا نعلم علي وجه اليقين سنة مولده بيد أننا إذا عرفنا أن وفاته كانت سنة خمسين للهجرة ، وأنه عاش سبعا وسبعين سنة فإنه يمكن القول إنه ولد سنة سبع وعشرين قبل الهجرة تقريبا . كان كعب من القلة الذين يعرفون القراءة والكتابة في الجاهلية ، وقد تفتحت مواهبه الشعرية منذ جاهليته ، وذاعت شهرته في مجال الشعر حتى بلغت مسامع النبي ﷺ ، وكان بالإضافة إلي ذلك راويا للحديث النبوى الشريف " روي ثمانين حديثا"

كان كعب قوي الحجة صادق البرهان واضح البيان له قدرة علي الجدل والإقناع ،ولا غرابة في ذلك فهو من أسرة نابهة الشأن مشهورة بالشعر والفروسية فلقد كان أبوه فارسا شاعرا ، وعمه قيس كان فارسا شاعرا أيضا وأما أمه (ليلي بنت يزيد بن ثعلبة) فهي من بني سلمة

---

* انظر هذا الموضوع في :

١- الأغاني / جـ١٥ ،صـ٢٦.
٢- طبقات فحول الشعراء السطر الأول /صـ٢٢٠.
٣- كعب بن مالك الأنصاري/ د. محمد علي الهاشمي / ط١ السعودية سنة ١٩٨٥ .
٤- كعب بن مالك الأنصاري / د. عبد المنعم أحمد يونس ، ط أولي – الأمانة – مصر سنة ١٩٨٦.
٥- ديوان كعب بن مالك الأنصاري/ تحقيق وشرح: مجيد طراد/ ط دار صادر بيروت/ ط١ سنة ١٩٩٧م.
٦- معجم الشعراء المرزياني / صـ٢٢٩ / ط الذخائر / عدد ٩٣ / سنة ٢٠٠٣ م .
٧- زهر الآداب /الحصري / جـ١ / صـ٤٢ / ط دار الجبل – بيروت – طبعة رابعة.

المعروفين بالفروسية والشجاعة ، وشهد له النبي بذلك فقال أنت تحسن صفة الحرب .

والحق أن بيت كعب قد عرف بالشعر وهذا ما يشير إليه الأصفهاني في قوله " ولكعب بن مالك أصل **أصيل وفرع طويل في الشعر** : ابنه عبد الرحمن شاعر وابن ابنه بشير بن عبد الرحمن شاعر ، ومعن بن عمر بن عبد الله بن كعب شاعر ، وعبد الرحمن بن عبد الله شاعر ومعن بن زهير ابن كعب شاعر وكلهم مجيد مقدم "[(١)] وكان والده شاعرا في الجاهلية ، وعمه قيس شاعرا أيضا .

كان كعب من الأنصار الأوائل الذين دخلوا الإسلام ، وأحد الثلاثة والسبعين الذين شهدوا بيعة العقبة الثانية (السنة الثالثة عشرة من البعثة) وبايعوا النبي ﷺ .

مكانتة عند النبي :

لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة توثقت الصلة بينه وبين كعب وازداد كعب من النبي قربا ،وقد عهد له ﷺ بعدد من المهمات منها إرساله لتخطيط حدود حرم المدينة وتوليه صدقات أسلم وغفار سنة ٩ هـ ، ومنها مناداته في حجة الوداع في الناس أن رسول الله ﷺ يقول : إن أيام منى أيام كلها أكل وشرب وذكر لله .

وقد شهد كعب مع النبي ﷺ الغزوات والمشاهد كلها إلا بدرا وتبوكا وقد آخي النبي بينه وبين طلحة بن عبد الله وقيل الزبير بن العوام .

لقد احتل كعب منزلة عالية عند رسول الله ﷺ فلقد كان فارسا مغوارا وبطلا شجاعا في الغزوات التي اشترك فيها وكان شاعرا مجيدا مدافعا عن النبي والمسلمين، وهو أحد الشعراء الثلاثة الذين كونوا فريقا مدافعا عن الإسلام والنبي والمسلمين (حسان وكعب وعبد الله ابن رواحة) ، وقد تميز شعره بتخويف الكفار من الحرب .

---

(١) الأغاني / جـ١٥ ، صـ ٢٦ .

وكان النبي ﷺ يحض هؤلاء الشعراء الثلاثة علي الرد علي المشركين وتفنيد مزاعمهم ويرى أن جهادهم بالكلمة لا يقل عن الجهاد بالسيف .

ومما يدلنا علي المكانة التي تبوأها عند النبي صلي الله عليه وسلم أنه طلب منه مرة أن ينشد الشعر فانشده وكلما أنشده يقول له النبي " إيه "[1] ومرة أخري يقول له النبي ﷺ " يا كعب ما نسى ربك وما كان منسيا منسيا بيتا قلته ....قال كعب وما هو يا رسول الله ؟ فقال أنشده يا أبا بكر فقال : الذي تقول فيه :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب[2]

وكان كعب يسر بتقويم النبي ﷺ ونقده لشعره بل كان يفتخر بذلك فيقول : ما أعان رسول الله ﷺ أحدا في شعره غيري .

كان كعب شاعرا مجاهدا بلسانه ومحاربا بسيفه ، لم يتخلف عن غزوة من الغزوات كما ذكرنا إلا غزوتي بدر وتبوك ، أما بدر فلأنه لم يكن هناك نفير للحرب فلقد جمع الله بين المسلمين والأعداء علي غير موعد ، ولذلك لم يعاتبه النبي ﷺ.

أما تبوك فقد تخلف عنها دون عذر مقبول فلما عاد النبي ﷺ من تلك الغزوة – وكان قد تخلف عنها بضعة وثمانون رجلا – جاءوا يعتذرون للنبي والنبي يستغفر لهم إلا كعبا وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع الذين صدقوا الحديث ولم يتمحلوا الأسباب فأمر النبي ﷺ بمقاطعتهم حتى مرت عليهم خمسون ليلة ضاقت فيها عليهم الأرض بها رحبت وإذا بالوحي ينزل علي رسول الله ﷺ بقرآن يتلي :" لقد تاب الله علي النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم وعلي الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ... ""[3]

---

(١) الأغانى / جـ ١٥ ، صـ ٢٩ .
(٢) انظر / طبقات فحول الشعراء / جـ١ ، صـ٢٢٢. وانظر معجم الشعراء ، صـ ٢٣٠ .
(٣) سورة / التوبة / أيه ١١٩. وانظر القصة في طبقات فحول الشعراء وكتب التفاسير .

اتسم كعب بعدة صفات أهمها الإيمان والصدق والشجاعة والجرأة والكرم والسماحة والشهامة والاستعلاء علي الدنيا وعدم الغرور بمباهجها ومتاعها كما اتسم بالحلم والعلم والفصاحة وحضور البديهة والذكاء واللباقة وحسن التصرف وحصافة الرأي وبعد النظر والأدب الجم والوفاء والإنصاف .

مكانته الأدبية :

احتل كعب مكانة أدبية رفيعة فهو شاعر مخضرم وهو أحد الثلاثة الذين أوقفوا شعرهم على الدفاع عن الإسلام والرسول الكريم ﷺ وهو يحتل المرتبة الثانية بعد حسان في الشعر ؛ وقد جعله ابن سلام كذلك وقال عنه " وكعب بن مالك شاعر مجيد "[(١)] وشهد له الرسول ﷺ حينما دعاه مستنشدا شيئا من شعره إذ قال له أنت تحسن صفة الحرب "[(٢)]وقال وقال مرة " إنك لحسن الشعر "[(٣)]

ومما يدلنا علي مكانته الأدبية أن معاوية جلس مرة فقال لجلسائه أخبروني بأشجع بيت وصف به رجل قومه فقال روح بن زنباع: قول كعب مالك :

نصل السيوف إذا قصرنا بخطونا   قدما ونلحقها إذا لم تلحق"[(٤)]

ويقال إن أفخر بيت قالته العرب هو قول كعب :

وببئر بدر إذ يرد وجوههم   جبريل تحت لوائنا ومحمد [(٥)]

ويشهد له الرسول مرة علي مدي تأثير شعره في المشركين إذ يقول والذي نفسي بيده لهي أشد عليهم من رشق النبل " وسبب ذلك القول أن الرسول ﷺ كان في سفر فشد" ناقته بزمامها حتى وضعت رأسها عند مقدمة الرحل إذ قال يا كعب بن مالك : احد بنا ! فقال كعب :

---

(١) طبقات فحول الشعراء / جـ ١ ، صـ ٢٢٠ .
(٢) زهر الآداب /جـ١ / صـ ٦٢ .
(٣) الأغاني / جـ ١٥ / صـ٢٨ .
(٤) الأغاني / جـ١٥ ، ،صـ٢٩، وانظر معجم الشعراء ، صـ٢٣٠ .
(٥) معجم الشعراء ، صـ ٢٣٠ .

قضينا من تهامة كل حــق وخيبر ثم أجمعنا السيوفا

نخبرها ولو نطقت لقالــت قواطعن دوسا أو ثقيفــا[١]

فقال النبي ﷺ هذا القول : والذي نفسي بيدي لهي أشد عليهم من رشق النبل، ولما سمعت دوس شعر كعب هذا أسلمت فرقا " خوفا" .

وسماه ابن كثير " شاعر الإسلام[٢]"

موضوعات شعره :

نظم كعب بن مالك في أغراض كثيرة أهمها ما يأتي :

١- الفخر :

الفخر عنده نوعان :ذاتي فردي ، وجماعي ، والذاتي هو الذي تغنى فيه بخصاله وأخلاقه ونسبه وحسن شجاعته وهو أبيات قليلة في شعره ومن ذلك قوله :

أنا ابن مباري الريح عمرو بن عامر نموت إلي قحطان في سالف الدهر[٣]

الدهر[٣]

وقوله الذي يرد فيه على " مرحب اليهودي يوم خيبر :

قد علمت خيبر أنــــي كعب مفرج الغما جــرئ صلب

إذا شبت الحرب تلها الحرب معي حسام كالعقيق عضب[٤]

)

وأما الفخر الجماعي فلقد كان فيه عالي الصوت فخورا بالمسلمين وانتصاراتهم علي المشركين ، متغنيا بالأمجاد الجماعية مصورا شرف المسلمين ومشيدا بشجاعتهم وإيمانهم ، مسجلا صفحات جهادهم متحدثا عن دور النبي ﷺ ، وموضحا دور الأنصار في المعارك الإسلامية ،يقول :

وفينا رسول الله والأوس حوله له معقل منهم عزيز وناصـــــر

وجمع بني النجار تحت لوائه يمشون في الماذي والنفع ثائر[٥]

---

(١) زهر الآداب / جـ ١ ، صـ ٦٥ .

(٢) البداية والنهاية ابن كثير / جـ٨ ، صـ ٤٨ .

(٣) الديوان / صـ ٥٣ .

(٤) الديوان / صـ ٢٣ .

(٥) الديوان / صـ ٤٧ .

ويقول متفخرا بانتصار المسلمين في الجولة الأولي يوم أحد (وقبل في يوم بدر) .

سائل قريشا غداة السفح من أحد ماذا لقينا وما لاقوا من الهرب
كنا الأسود وكانوا النمر إذا زحفوا ما إن نراقب من آل ولا نسب (١)

ويجب أن نلاحظ أن افتخار كعب بقوة المسلمين وشجاعتهم هو افتخار بصدق عقيدتهم وقوة إيمانهم وأن هذه الشجاعة إنما هي مستمدة من الإيمان بالله عز وجل ولذلك نجده يتخذ من نصر الله للمسلمين مجالا لفخره علي المشركين ليبين لهم قدرة الله سبحانه وتعالي وصدق هذا الدين الحنيف .

٢- المدح :

جاء المدح في شعر كعب قليلا وكان معظمه موجها للنبي ﷺ ممتزجا بالفخر بالرسالة المحمدية وبحب الرسول ﷺ ، ولعل أهم ما مدح كعب به النبي ﷺ وهو الدور الذي قام به من جمع شتات العرب ولم شملهم وتوحيد صفهم وإنقاذهم من براثن الشرك وانتشالهم من وهدة الضلال والفساد إلي طريق الخير والرشاد وإصلاح أمرهم بالإضافة إلي ما اتسم به النبي ﷺ من عز وشرف وصدق وأصالة وأمانة وشجاعة وقيادة حكيمة رشيدة وكرم ، وعدل ومعجزات باهرات ، يقول :

الحق منطقه ، والعدل سيــرته فمن يجبه إليه ينجح من تبب(٢)

ويقول :

نبــي له في قومه إرث عــزة وأعراق صدق هذبتها أرومها(٣)

ويقول :

---

(١) الديوان ، صـ ٢٤ – ٢٥.
(٢) الديوان / صـ٢٥.
(٣) الديوان ، صـ٩٤.

فإن يك موسي كلم الله جهرة   علي جبل الطور المنيف المعظـــم

فقـد كلم الله النبـي محمـدا   علي الموضع الأعلى الرفيع المسوَّم

فهذا نبي الله أحمـد سبحـت   صغار الحصي في كفه بالترنـم[1]

ولم ينس أن يوجه شيئا من مدائحه إلي بني هاشم ونقباء العقبة يقول مادحا بني هاشم :

قرم علا بنيـانه مـن هاشـم   فرعا أشم وسـؤددا ما ينقـل

قوم بهم عصـم الإله عبـاده   وعليهم نزل الكتاب المنـزل[2]

ويقول في أهل العقبة :

أولاك نجـوم لا يغُبُّك منـهم   عليك بنحس في دجي الليل طالع[3]

٣- الهجـاء :

لكعب هجاء كثير موجه إلي أعداء الدعوة، وفيه يفند مزاعم المشركين ويرد علي أباطيل الحاقدين ، ويعيرهم بمخازيهم .

لقد هجا مشركي مكة واستطاع أن يوجعهم ويذلهم بهجائه وهجا اليهود من بني النضير وبني قريظة كما هجا بعض القبائل المشركة المعاندة من مثل بني لحيان ، وهجا بعض رءوس الشرك وتصدى للشعراء الذين حاولوا أن يؤذوا الإسلام والمسلمين بأشعارهم من مثل عبد الله بن الزبعري ، ومن هجائه في اليهود قوله :

لقد خزيت بغدرتها الحبـور   كذاك الدهر ذو صرف يـدور

وذلك أنهـم كفـروا بـرب   عزيز أمـره أمـر كبيـر

فلما أشـربوا غدرا وكفـرا   وحاد بهم عن الحق النفـور

أري الله النبي برأي صـدق   وكان الله يحكـم لا يجـور[4]

(١) الديوان ، صـ٩٦.
(٢) الديوان ، صـ ٨٨.
(٣) الديوان ، صـ ٥٧ .
(٤) الديوان ، صـ ٤٤- ٤٥ ،

ويقول في هجاء مشركي مكة :

نسيتم ضـــربنا بقليب بـــدر   غداة أتاكـــم الموت العجيـــل
غداة ثوى أبو جهل صريعا   عليه الطيـــر حائمـــة تجـــول
وعتبـــة وابنه خـــرا جميعا   وشيبة عضه السيف الصقيل[1]

الصقيل[1]

ويقول في هجاء ابن الزبعرى :

خبيثا تطيف بـــك المنـــديات   مقيما علي اللؤم حينا فحينـــا
تبحست تهجو رســـول المليـــ   ـك قاتـــلك الله جلفـــا لعينـــا
تقول الخنا ثـــم ترمي بـــــه   نقـــي الثيـــاب تقيـــا أمينـــا[2]

أمينـــا[2]

ولــه بالإضــافة إلــي ذلــك مناقضــات هجائيــة يــرد فيهــا علــي شــعراء المشــركين وقــد طبعــت هــذه النقــائض بطــابع الهجــاء والفخــر والتحــدي وكانت سلاحا حادا وسهاما مسمومة صوبها إلـي هـؤلاء الشـعراء ، وهـي تبلغ إحدى عشرة نقيضة منها أرجوزتان وجملتها مائة وخمسون بيتا .

وأهم نقائضه هي التي يرد فيها علي ضرار بن الخطـاب وهيبرة بـن أبـي وهـب وعبـد الله بـن الزبعـرى وتتسـم هـذه النقـائض عامـة بالحـديث عـن الإسلام والرسول ﷺ وبطولات المسلمين والإشادة بالانتصارات التي أحرزها المسلمون كمـا تشـير إلـي صبرهم في القتـال وبسـالتهم كمـا تتسـم بتعـدد الموضـوعات ونقـض الخصـوم والـرد علـيهم ويلحـظ عليهـا التـأثر بالإسـلام ومبادئه الكريمة وصدق الشعور وبالأسلوب الرصين والبعد عن المقدمات .

ومـن أطـول هـذه النقـائض نقـيضته الـتي يـرد فيهـا علـي هبـيرة بـن أبـي وهب (٤٩ بيتا) والتي بستهلها بقوله :

---

(١) الديوان / صـــ ٨٢ .
(٢) الديوان / صـــ ١٠٤ .

ألا هل أتي غسان عنا ودونهم من الأرض خرق سبره متنعع[1]

ويقول فيها :

وفينــا رسول الله نتبـع أمـره إذا قـال فينا القـول لا نتطـلع
ضربناهم حتى تركنا سـراتهم كأنـهم بالقاع خشب مصــرع
فخرتَ عليَّ ابن الزبعرى و قد سره لكم طلب مـن آخر الليل متبـع
فسل عنا في عليا معد وغيرها من الناس من أخزى مقاما وأشنع [2]

٤- الرثـاء :

لكعب شعر كثير في الرثاء خاصة رثاء النبي ﷺ والأبطال المسلمين الذين وقعوا صرعي الأحداث واستشهدوا في الحروب و الغزوات .

والحق أن كعبا قد ذرف دموعا سجالا سخينة علي النبي ﷺ وعلي هؤلاء الأبطال وقد كان في الرثاء – كثيرا ما يعدد المناقب ويذكر الشمائل ويجلي المصيبة والخطب الجلل ، يقول راثيا النبي ﷺ .

يا عين فابكي بدمـع ذري لخيـر البـرية والمصطفـي
وبكي الرسول وحـق البكا عليه لـدي الحرب عند اللقـا
علي خير مـن حملت ناقة وأتقـى البـرية عنـد التقي [3]

ويقول في مقطوعة أخري :

ألا انع النبي إلى العالمينـا جميـعا ولاسيـما المسلمينـا
ألا انع النبي إلي من هـدى مـن الجن ليلة إذ يسمعـونا [4]
)

ويقول في رثاء سيدنا حمزة :

---

(١) الديوان ، صـ ٥٨ .
(٢) الديوان ، صـ ٥٩ – ٦٢ .
(٣) الديوان / صـ ١١١.
(٤) الديوان / صـ١٠٧ .

بكت عيني وحــق لها بكاهــا	وما يغني البكاء ولا العويل
علي أسد الإله غــداة قالــــوا	أحمزة ذاكم الرجــل القتيل[١]

وله إلي جانب ذلك رثاء حار في شهداء مؤتة ورثاء دام حزين في سيدنا عثمان بن عفان .

موضوعات أخري :

ولكعب بالإضافة إلي ذلك أشعار أخرى في موضوعات غير ذلك مثل الوصف والحكمة والوعظ والدعوة .

أبرز السمات الفنية لشعر كعب :

اتسم شعر كعب عامة بأن القصيدة سواء أكانت ذات موضوع واحد أم متعددة الموضوعات قد خلت من المقدمات التقليدية المعروفة ومن ثم اتسمت القصيدة عنده بالوحدة العضوية وتلاحم الأجزاء والعاطفة الواحدة التي تربطها فجاء ذات جو نفسي واحد .

وأما المعاني فقد جاءت معاني إسلامية خالصة حيث إنه تأثر بالإسلام إلي حدود بعيده جدا .

واتسم الخيال عنده بالحرارة والانسياب ، والتقط معظم الصور من الأحداث والغزوات والحروب والبطولات .

وأما الأسلوب فقد جاء متأثرا فيه بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مطبوعا منسابا معبرا أصدق تعبير عن المعاني والموضوعات التي طرقها .

وأما الموسيقا فكانت ملائمة للموضوعات أيضا فقد جاء كثير من القصائد مصبوبا في بحور الطويل والكامل والبسيط والوافر ، وهي بحور لها تفعيلات تتسع للموضوعات الجادة التي عبر عنها .

---

(١) الديوان صـــ ٨١ .

عبد الله بن رواحة*

الاسم والنسب والمولد والأسرة :

هو أبو محمد عبد اللّه بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو الخزرجي الأنصاري ، سيد من سادات الأنصار ، انحدرت إليه السيادة من أسرة أبيه التي كانت معروفة بذلك ، فلقد كانت تحكم بين الناس في الخصومات ، وانحدرت إليه السيادة أيضا من أسرة أمه (كبشة بنت واقد الخزرجية) فلقد كان جده لأمه (عمرو بن الإطنابة) فارسا معروفا ، وسيدا من سادات الخزرج وأحد قوادها .

ولد عبد اللّه بن رواحة في يثرب ،لكن المصادر لم تسعفنا بتاريخ ميلاده،ولم تعطنا صورة كاملة عن طفولته ، بيد أنها تشير إلي أنه كان لعبد اللّه أخت تسمي (عمرة بنت رواحة) وهي أم الصحابي الجليل النعمان بن بشير ، ومن الأسرة نفسها أخوه (أبو الدرداء) ! " عويمر بن عامر " وهو صحابي جليل روى كثيرا من الأحاديث النبوية الشريفة ، وقد قال عنه النبي ﷺ " نعم الفارس عويمر " ولكن أبا الدرداء كان أخا لعبد اللّه من أمه ، ومن إخوة عبد اللّه من أمه : قيس بن شماس من نجباء الصحابة وكان خطيب الأنصار .

نشأته وحياته :

نشأ عبد اللّه بن رواحة في يثرب في ظل أسرة عرفت بالشرف والسيادة، ولكننا لا نجد أخبارا كثيرة عن نشأته الأولي في الجاهلية ولا تستطيع تلك الأخبار أن ترسم لنا صورة واضحة لنشأته المبكرة بيد أن كتب التاريخ والسيرة تروي لنا أن والده قد عني بتربيته منذ الصغر ،

---

* انظر هذا الموضوع في :

١- طبقات فحول الشعراء / ابن سلام الجمحي / جـ١، صـ ٢٢٣.

٢- جمهرة أشعار العرب / أبو زيد القرشى / صـ ٢٨٩ .

٣- سيرة ابن هشام / مواضع متفرقة .

٤- العقد الفريد / ابن عبد ربه / مواضع متفرقة .

٥- ديوان عبد الله بن رواحه / وليد قصاب / ط ثانية سنة ١٩٨٨ - دار الضياء - عمان .

٦- الطبقات الكبري ابن سعد / ط١صادر بيروت سنة ١٩٥٧ .

٧- دراسات في الأدب الإسلامي/ د . سامي مكي العاني/ ط ، المكتب الاسلامي ، العراق ، سنة ١٩٧٥ .

وكان عبد الله يعرف الكتابة مما جعل النبي ﷺ - فيما بعد – يختاره نقيبا علي قومه في بيعه العقبة الثانية .

كان عبد الله صاحب ثروة وجاه وكان يملك عددا من الغلمان والعبيد.

وإذا كانت الأخبار التي تروى عن حياته في الجاهلية قليلة فإنها تعطينا صورة واضحة له بعد إسلامه ، فلقد أسلم عبد الله بن رواحة في بيعة العقبة الثانية (سنة ١٣ من البعثة) حيث كان ضمن الوفد الذي لقي النبي ﷺ عند العقبة (٧٣ رجلا وامرأتان) فدخوله في الإسلام كان مبكرا .

ولمكانته اختاره الرسول ﷺ نقيبا ضمن الاثني عشر نقيبا الذين كانوا كفلاء على قومهم .

أخلاقه :

كان ابن رواحة رجلا صادق الإيمان قوي العقيدة ، سباقا إلي العبادة والطاعة ، وفعل الخيرات ، ومن أكبر زهاد المسلمين وعبادهم ، كان شديد التدين والورع والتقوى ، يقول أبو الدرداء :" نكون مع رسول الله ﷺ في السفر في اليوم الحار ما في القوم أحد صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة : ويقول عنه الرسول ﷺ :" رحم الله ابن رواحة كان أينما أدركته الصلاة أناخ " ويقول عنه ﷺ أيضا " إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة"

كان عبد الله بن رواحة حريصا علي تنفيذ أوامر الله عز وجل ، يتحرى ما يرضي رسول الله ﷺ ، ويتشدد في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم ، وكان يبكي من خشية الله ، دائم الذكر لربه ، كثير الصلاة إلي درجة أنه كان إذا دخل بيته صلى ركعتين وإذا أراد أن يخرج صلي ركعتين.

لقد كان عبد الله بن رواحة مثالا للطاعة والتقوى بالإضافة إلي شجاعته وفروسيته فرحم الله ابن رواحة راهب الليل وفارس النهار، إنه " نعم الرجل" كما قال عنه رسول الله ﷺ .

جهاده :

تعمق الإيمان قلب عبد اللّه بن رواحة منذ أن دخل في الإسلام ، فكان له دور بارز في الأحداث الإسلامية ، فلقد كان مقاتلا فارسا مسلما مجاهدا شجاعا لا يتوانى عن أداء واجبه، شهد بدرا وأحدا والخندق وخيبر وعمرة القضاء والمشاهد كلها مع رسول اللّه ﷺ إلا الفتح لأنه قد استشهد في مؤتة سنة ٨ هـ .

ففي بدر: كان أحد الأنصار الثلاثة الذين تقدموا للمبارزة ، ولما رفضت قريش تقدم علي وحمزة وعبيد اللّه بن الحارث ، وأبلى عبد اللّه في المعركة بلاء حسنا ولما انتهت المعركة كان عبد اللّه بشيرا إلي أهل العالية من قبل رسول اللّه ﷺ .

وفي أحد : كان له دور المجاهد الصابر والشاعر الحزين علي الشهداء .

وفي بدر الثانية : استخلفه الرسول ﷺ علي المدينة فكان أميرا علي المدينة لمدة ستة عشر يوما .

وفي الخندق: كان له دور في بث الحماس في نفوس الذين عملوا في الخندق فقد كانوا يرتجزون شعره ، وفي هذه المعركة أبلى عبد اللّه بلاء حسنا [١].

واشترك عبد اللّه مقاتلا في غزوة بني المصطلق (سنة ٦ هـ) كما كان أحد الثلاثة الذين أرسل بهم النبي ﷺ ليستكشف خبر أسير ابن رزام اليهودي الذي اقترح طريقة علي اليهود لقتل النبي ﷺ ، فلما علم عبد اللّه بذلك رجع إلي النبي ﷺ يخبره بما أراد أسير فأمره النبي علي ثلاثين رجلا في سرية إلي خبير، وقد استطاع عبد اللّه أن يقتل أسيرا ومن معه من اليهود .

وفي عمره القضاء (سنة ٧ هـ) كان عبد اللّه آخذا بخطام ناقة النبي وهو يرتجز :

---

(١) ومن ذلك الشعر قوله : لاهم إن العيش عيش الآخرة. فارحم الأنصار والمهاجره – الديوان صـــ١٤١.

خلوا بني الكفار عــن سبيــله   خلوا فكل الخير مع رســوله

وذهب إلي خيبر بعد عمرة القضاء خارصا (يقدر ما علي الشجر من الثمار بالظن) وكان شديدا في خرصه فأراد اليهود أن يرشوه فرفض وقال : أتطعموني السحت وقد جئتكم من عند أحب الناس إلي وأنتم أبغض إلي من القردة والخنازير . وهكذا يستمر في جهاده حتى يستشهد في مؤتة (سنة ٨ هـ) التي كان أحد أمراء الجيش فيها .

منزلته الشعرية :

كان عبد اللّه بن رواحة أجرأ وأسرع شعرا في كثير من المواقف ، وقد عرف له النبي ﷺ ذلك كما عرف له مكانته شاعرا ؛ ولذلك سأله مرة ما الشعر يا عبد اللّه فقال : " شئ يختلج في صدر الرجل فيخرجه على لسانه "فقال له النبي ﷺ :

هل تستطيع أن تقول شيئا ؟ فقال وقد نظر في وجه النبي عليه السلام :

إني تفرست فيك الخير أعرفه   والله يعلم أن ما خانني البصـرُ

أنت النبي ومن يحرم شفاعته   يوم الحساب فقد أزرى به القدر

فثبت الله ما آتاك من حسـن   تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا[1]

نصروا[1]

فدعا له النبي ﷺ قائلا :" وإياك ثبت اللّه ، وإياك ثبت اللّه "

وكان رسول اللّه ﷺ يستمع إلى شعر عبد اللّه بن رواحة وهو ينشد فيرتاح إليه ولذلك حينما دخل ﷺ مكة في عمرة القضاء ليطوف بالبيت ، كان عبد اللّه آخذ بخطام ناقة النبي منشدا

خلوا بني الكفار عــن سبيــله   خلوا فكل الخير مع رســول[2]

---

(١) الديوان / صـــ ١٥٩. ويروى البيت الثالث في نتفه علي النحو التالي :

فثبت الله ما آتاك من حسن   فقوت عيسي بإذن الله والقدر

– صـــ١٦٠

(٢) البيت في الديوان / صـــ ١٤٤. وانظر الرواية في طبقات فحول الشعراء ، ج١ ، صـــ ٢٢٣.

فقال عمر رضي اللّه عنه : " أفي الحرم وبين يدي رسول اللّه تقول الشعر؟ " فقال الرسول ﷺ " خلّ عنه يا عمر ".

وكان الرسول ﷺ كثيرا ما يرد د شعره ويأنس بإنشاده ويستعين به علي العمل كما في غزوة الخندق ، وقد وصفه النبي ﷺ بأنه : لا يقول الرفث " كما كان يأمره بالرد علي كفار قريش وذلك في مثل قوله " أمرت عبد اللّه بن رواحة فقال وأحسن" ولذلك كان أحد الشعراء الثلاثة الذين تولوا الدفاع عن الإسلام في معركة الهجاء ضد شعراء قريش ؛ ولذا قال النبي ﷺ" إنك لحسن الشعر" .

وقد وضعه ابن سلام ثالث ثلاثة من شعراء يثرب وقال عنه " عظيم القدر في قومه سيد في الجاهلية ليس في طبقته التي ذكرنا أسود منه وكان في الإسلام عظيم القدر والمكانة عند رسول اللّه ﷺ[1] .

فهو من طبقة حسان بن ثابت ومعني ذلك أنه من فحول شعراء المدينة ولمكانته الشعرية روي له أبو زيد القرشى في جمهرته قصيدة مطلعها .

تذكر بعدما شطت نجودا   وكانت تيمت قلبي وليدا[2]

وقد جعلها من المذهبات بل ثانية المذهبات ، وقال عنه الآمدى " هو شاعر محسن وفارس " . وقال عنه صاحب الاستيعاب إنه " أحد الشعراء المحسنين وقيل عنه إنه أحد الشعراء المفلقين .

شعره :

علي الرغم من قلة شعر ابن رواحة فإنه متعدد الأغراض والموضوعات وأهمها ما يلي :

١- الشعر الحماسى :

ونقصد به الشعر الذي نظمه في تشجيع المسلمين في أوقات الشدة وساعات الحرب ، وقد كان لهذا الشعر أثر كبير في نفوس المسلمين ، يبعث فيهم الحماس والحمية ، والهمة والنشاط ، ويبث فيهم الصبر

---

(١) طبقات فحول الشعراء / جـ١ / صـ ٢٢٣.
(٢) جمهزة أشعار العرب / صـ ٢٨٩ .

والايمـان ويلـهب العـزائم والهـم، وقـد كـان أغلـب هـذا الشـعر رجـزا مـرتجلا ، فيـه الصـدق والحـرارة ، وكـان يلقـى عنـد المسـلمين اسـتجابة كبيرة ، ومن ذلك ما كـانوا ينشـدونه مـن شـعره وهـم منهمكـون ـ في بنـاء مسجد قباء :

أفلح من يعالج المساجــدا

ويقرأ القرآن قائما وقاعدا

ولا يبيت الليل عنه راقدا(١)

وكـان الرسول ﷺ يردد وراء الشـاعر قافيه كل بيت ، وكـان لعبد اللّه بن رواحة شعر حماسـى في يـوم الخنـدق يثير فيـه حميـة المسلمين ، وكـان الصحابة وهم يعملون يرتجزونه ، يقول فيه :

تالله لولا الله ما اهتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينـــا

الكافرون قد بغوا علينـــا

إذا أرادوا فتنــــة أبينـــا(٢)

وفي مؤتة أخذ ينشـد النـاس وقـد تحـيروا في أمـرهم ودخلـهم روع وخـوف وفـزع ، ومن ذلك قولـه :

جلبنا الخيل من أجأ وفرع	**تغر من الحشيش لها العكوم**
أقامت ليلتين علي معــان	**فأعقب بعد فترتها جمـــــوم**
فعبـــأنا أعنتـــها فجــاءت	**عوابس والغبـــار لها بريــم**(٣)

وأخذ ينشد بعد اسشهاد زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب قائلا :

أقسمت يـــا نفس لتنزلنـــه

طائعــــة أولا لتــــكرهنــــه

مالي أراك تكرهيـــن الجنه

---

(١) الديوان / صــ ١٢٩ .

(٢) الديوان / صــ١٣٩.

(٣) الديوان / صــ١٤٩ / ١٥٠.

قد طالما قد كنت مطمئنه (١)

٢- ذكر الموت :

ورد في شعر ابن رواحة ذكر الموت وخاصة منذ بدأ يتجهز للخروج إلي مؤتة، وكانما كان لديه إحساس بذلك ، وكان فرحا بهذه النهاية التي تشوق إليها ، وأمل فيها وانتظرها طويلا فلقد كان يسأل الله الشهادة والمغفرة وذلك كما يظهر في قوله :

لكننى أسأل الرحمن مغفـــرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبـــدا

أو طعنة بيدي حران مجـــهزة بحربة تنفـــذ الأحشـــاء والكبدا

حتى يقال إذا مروا علي جدثي أرشده الله من غاز وقد رشدا(٢)

وقد امتزج عنده الشوق إلي الشهادة بزهد في الحياة وبهرجها ، ولذلك أرخص كل شئ، ولم يعد يبالي بشئ في الحياة ، يقول معبرا عن ذلك :

هنالك لا أبالـــي طلع بعـــل ولا نخـــل أسافـــلها رواء(٣)

وحينما اقترب تحقيق الأمل فاستشهد صاحباه (زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب) اندفع يحمل الراية ويقود الجيش قائلا :

أقسمـــت يا نفـــس لتنزلنـــه طائعة أولا لتكرهنه(٤)

وحينما أصيبت أصبعه ونفر منها الدم لم يعبأ بذلك واستمر في القتال مرتجزا قوله :

هـــل أنت إلا إصبع دمـــيت وفـــي سبيـــل الله ما لقـــيت

يا نفـــس إلا تقتلي تموتـــي هذا حمـــام الموت قد صليت

ومـــا تمنيت فقد أعطيـــت إن تفعـــلي فعلهـــا هديـــت(٥)

---

(١) الديوان ، صـــ١٥٣.
(٢) الديوان / صـــ١٤٧.
(٣) الديوان / صـــ١٥١.
(٤) الديوان / صـــ١٥٣.
(٥) الديوان / صـــ١٥٤.

٣- الرثاء :

لعبد الله بن رواحة شعر في رثاء بعض الشهداء الذي وقعوا صرعي الأحداث أشهره قصيدته التي نظمها في رثاء حمزة بن عبد المطلب التي يقول فيها :

بكت عيني وحق لها بكــاها وما يغني البكاء ولا العويــل
علي أسد الاله غداة قالــوا أحمزة ذاكــم الرجل القتيــل[١]

وهو في هذه القصيدة يمزج بين رثاء حمزة وبين الرد علي قريش التي فرحت بما حققت من نصر يوم أحد .

٤- الدفاع عن الاسلام والنبي ﷺ :

ومن أهم أغراض شعر عبد الله بن رواحة ذكره الإسلام والدفاع عنه وعن النبي ﷺ، وقد ظهرت في هذا الغرض المعاني الدينية والتأثر بأفكار الإسلام وعباراته، وألفاظه، ومن ذلك قوله :

شهــدت بأن وعــد الله حــق وأن النار مثــوي الكفارينــا
وأن العرش فوق الماء طــاف وفــوق العرش رب العالمينا
وتحمــله ملائــكة كــــرام ملائكــة الإله المقــربينــا[٢]

وفي هذا النوع من الشعر نراه يذكر الرسول الكريم ﷺ ويذكر فضله ويتحدث عن فضل الدين الذي أخرج الله به عباده من الضلال إلي الحق ومن العمى إلي النور والخير إلي الرشاد إذا يقول :

وفينا رسول الله يتلو كــتابــه إذا انشق معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدي بعد العمي فقلوبنا بــــه موقنــات إن قــال واقـــع
وأعلــم علما ليس بالظن أنني إلى الله محشور هناك وراجـــع[٣]

وفي هذا النوع – أيضا – يمدح النبي ﷺ وآل هاشم ، ومن ذلك قوله :

---

(١) الديوان / صــ١٣٢.
(٢) الديوان / صــ ١٦٥
(٣) الديوان / صــ ١٦٢.

أنت النبي ومن يحرم شفاعته يوم الحساب فقد أزرى به القدر[1]
القدر[1]

ويقول :

يا آل هاشم إن الله فضلكـــم علي البرية فضـــلا ما له غيرُ[2]

السمات الفنية لشعر عبد الله بن رواحة .

يتسم أغلب شعر ابن رواحة بخلوه من الصنعة والتكلف فهو شعر سهل بسيط مطبوع ، يتدفق في سهولة وانسياب ، حتى لكأنه في بعض الأحيان كلام عادي لخفته وقرب مأخذه ، وليس فيه مراجعة أو تنقيح فهو وليد اللحظة الخاطفة واللمحة السريعة والموقف المفروض ؛ ولذا قيل عن ابن رواحة إنه " أجرأ وأسرع شعرا فلقد كان يقول الشعر الذي تقتضيه الساعة واللحظة والموقف . واتسم أيضا ببساطة التراكيب ووضوح المعاني . وكثير منه كان مقطعات ، وهي مقطوعات أقرب ما تكون إلي الروح الشعبية وإلي لغة الخطاب العادي اليومي ، وتتجلي فيه الروح الاسلامية : معني وتعبيرا وصيغا .

هذا هو ابن رواحة الصحابي الجليل ، الفارس المغوار والشاعر المسلم المجاهد الذي حمل سيفه وقلمه في سبيل الله عز وجل .

هذا هو ابن رواحة "راهب الليل وفارس النهار " الذي قال عنه النبي ﷺ " نعم الرجل ابن رواحة " والذي كان يرى الرسول ﷺ أن من أقرب الشعر إلي قلبه شعر عبد الله بن رواحة ؛ ولذلك كان كثيرا ما يستزيده وكان المسلمون يرددون أراجيزه الجميلة .

رحم الله ابن رواحة رحمة واسعة على قدر ما أعطي للإسلام وبذل في سبيله .



---

(١) الديوان / صـــ١٥٩.
(٢) الديوان / صـــ ١٥٩ .

القســـــم الثـــاني

الأدب في العصر الأموي

العصر الأموي
والمتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية

تنتسب الدولة الأموية إلي أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وقد كان أمية هذا ينافس عمه هاشم بن عبد مناف في الشرف والرياسة والسيادة في العصر الجاهلي وحينما أتي الإسلام وقف بنو أمية موقف العداء الشديد من الرسول ﷺ؛ ولذا كانوا من المتأخرين في دخول الإسلام وبالرغم من ذلك فقد تطلعوا إلي الخلافة منذ عهدها الباكر ولاح لهم الأمل حينما أسند عمر بن الخطاب الشورى لستة من الصحابة منهم عثمان ابن عفان، وهنا راحوا يؤيدون عثمان علانية ويرشحونه جهارا ، ولما فاز عثمان بالخلافة اتجه الأمويون إلي تأسيس خلافة لهم منذ ذلك الحين إذ حاول معاوية بن أبي سفيان أن يقيم في الشام وأن يجهز تلك المنطقة لتكون المستقبل الذي يبني فيه سلطانه، وقد تم له ما أراد فأسس الدولة الأموية بعد أن دارت حرب صفين واستشهد الإمام علي رضي الله عنه وتنازل له الحسن بن علي عن الخلافة عام واحد وأربعين للهجرة وهو العام الذي عرف في التاريخ الإسلامي بعام الجماعة.

الحالة السياسية :

يمتد العصر الأموي من سنة إحدى وأربعين للهجرة إلي سنة اثنتين وثلاثين ومائة هجرية، وفي خلال هذه الفترة امتدت الفتوحات الإسلامية امتداد كبيرا حتى وصل المسلمون إلي بلاد السند شرقا والأندلس غربا ، والقسطنطينية شمالا حتى إن العباسيين علي جلالة قدرهم وعظم شأنهم وطول فترة حكمهم لم يتقدموا شيئا يذكر بالإضافة إلى ما وصل إليه الأمويون من فتوحات، وعلي الرغم من ذلك فإن الحالة السياسية الداخلية أيام الأمويين لم تكن مستقرة تماما فلقد كانت مضطربة اضطرابا كبيرا حيث نظر الكثيرون إلى بني أمية علي أنهم قد اغتصبوا الخلافة واستبدوا بها ؛ ولذا كان السخط منتشرا مستبدا بالنفوس خاصة في العراق . والحجاز حيث الأحزاب السياسية والدينية (شيعة، خوارج ،

زبيرون وغيرهم) التي هبت بثورات عارمة كثيرة أقلقت الأمويين ونغصت عليهم ملكهم .

لقد كانت الخلافة هي المحور الذي تجمعت حوله تلك الأحزاب وكان السؤال المطروح علي الساحة السياسية هو : من أحق الناس بالخلافة ؟

الحالة الاقتصادية والاجتماعية :

كان للفتوحات التي تمت في عصر بني أمية أثر كبير علي الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، فلقد تدفقت الأموال علي الخزانة الأموية وصبت في حجور الخلفاء صبا ، وكثرت الضرائب و الإقطاعات وعمل الولاة علي جمع الخراج بكل سبيل.

وقد انعكس ذلك كله علي المجتمع عامة وعلي الطبقة الحاكمة خاصة ومن انخرط في سلكها ولف في ركابها .

واتجه الأمويون إلي سياسية خطيرة جدا وهي سياسة إغداق الأموال علي أهل الحجاز وخاصة الهاشميين مما أدى إلى وجود طبقة عاطلة لا تجد ما يشغل وقت فراغها غير أنواع من اللهو وضروب من العبث ، كما اتجه الأمويون أيضا إلي إغداق الأموال علي الشعراء مما جعل هؤلاء يخطبون ودهم ويتعلقون بمديحهم .

وعلي الجانب الآخر عانى كثير ممن يسكنون الريف ويعيشون في البادية الفاقة والعوز مما دفع ببعضهم إلى الهجرة إلى المدن وسكناها بحثا عن لقمة العيش .

وأمام تلك الخطوب الجسام وأمام تيار اللهو والعبث والمجون، وجدت طبقة من الزهاد والعباد يندفعون في تيار الزهد والنسك وعلي رأسهم الحسن البصري.

شعر الشيعة في العصر الأموي *

مفهوم التشيع : التشيع في اللغة يعني الموالاة والمتابعة[1]، والشيعة : الاتباع والموالون والمؤيدون ، قال تعالي :" وإن من شيعته لإبراهيم"[2]، أى من أتباعه وأنصاره .

وفي الاصطلاح يعني : مناصرة سيدنا علي بن أبي طالب وموالاته واعتباره أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة، وأنه الخليفة الذي كان يجب أن يتولى أمر المسلمين بعد رسول الله ﷺ، ولكن حقه هضم واغتصب، وأن أولاده من بعده هم الورثة الشرعيون .

نشأته : تضاربت الآراء حول نشأة التشيع فمن رأي يذهب إلي أنه نشأ في عصر النبي ﷺ، ورأي آخر يقول بنشأته إثر وفاة الرسول ﷺ وثالث يدعي بأنه نشأ إبان الفتنة الكبرى ورابع يحتج بأنه نشأ في حرب صفين وآخر يقول بنشأته بعد تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان [3] وقد صار لكل رأي أنصار ومؤيدون ذهبوا يثبتون وجهة نظرهم

فرق الشيعة :

توزع الشيعة فرقا وأحزابا وقاموا بثورات كثيرة منها ثورة الحسين ابن علي سنة ٦٥ هـ ، وحركة المختار الثقفي سنة ٦٦ – ٦٧ هـ ، وثورات الزيدية وغيرها .

---

* انظر في هذا الموضوع :
- الملل والنحل:الشهرستاني / ط أولي – الانجلو سنة ١٩٧٧ (ص ١٤٩ – ٢٠٨)
- اعتقادات المسلمين والمشركين / فخر الدين الرازي / صـ ٥٢ – ٦٣ / ط /سنة ١٩٣٧ م
- الفرق الإسلامية في الشعر الأموي / د. النعمان القاضي / ط دار المعارف سنة ١٩٧٠ م .
- الفرق بن الفرق / البغدادي / صـ ٤١ / تحقيق محمد عثمان الخشت / ط مكتبة ابن سينا ١٩٨٨م
- أضواء علي الفرق الإسلامية/ د. عبد المنعم محمود شعبان صـ٥٤-٧٤ / ط قاصد خير– بدون.
- أدب السياسة في العصر الأموي ، د. أحمد محمد الحوفي / ط خامسة نهضة مصر .
- فرق الشيعة النوبختي / تحقيق د. عبد المنعم الحفني / ط دار الرشاد سنة ١٩٩٢.

[1] الرواسب الشيعية في الشعر الأيوبي / د. غريب محمد علي / صـ ٣ .

[2] سورة الصافات / آية ٨٣ .

[3] انظر الرواسب الشيعية في الشعر الأيوبي / صـ ٤ بدون .

وأما أهم فرقهم فهي :

١- **غالية الشيعة :** وهم الذين تجاوزوا في حق علي والأئمة حتي أخرجوهم عن الحدود الخلقية، وحكموا فيهم بأحكام إلهية [١] ونبوية .

٢- **الكيسانية:**

هي فرقة تكونت حول المختار الثقفي الذي تعد حركته طليعة الحركات الدينية التي تتخذ من الدين وسيلة لتحقيق أطماع سياسية، ويزعم بعض فرق الكيسانية" أن علي بن أبي طالب قد نص علي إمامة ابنه محمد بن الحنفية "[٢] بعده، ويري آخرون أن محمد بن الحنفية يجب أن يتولي الإمامة بعد أبيه وأخويه (الحسن والحسين). وقد كان لهذه الفرقة أثر بالغ في التاريخ فلقد استغلها العباسيون في الدعوة لأنفسهم .

٣- **الزيدية :**

هي التي تنسب إلي زيد بن علي زين العابدين بن الحسين، وهذه الفرقة تدعي بأن الإمامة تنتقل من علي إلى الحسن ثم الحسين ثم علي زين العابدين ثم زيد بن علي زين العابدين [٣]. وهم يقصرون الإمامة علي أولاد فاطمة رضي الله عنها، ويرون أن الإمام يجب أن تجتمع فيه عدة خصال أهمها :" العلم والزهد والشجاعة والخروج وأن يكون من أولاد فاطمة حسنيا كان أم حسينيا "[٤] ويغلب علي هذه الفرقة الاعتدال الذي أخذه زيد عن واصل بن عطاء .

٤- **الإمامية :**

وهي التي تجري الخلافة من علي ثم الحسن إلي الحسين فعلي زين العابدين فمحمد الباقر فجعفر الصادق. وقد " سموا بذلك نسبة إلي الإمام (الخليفة) وأكثروا من الاهتمام به وركزوا كثيرا من تعاليمهم حوله "[٥] وترى أن النبي قد نص وصرح بإمامة علي بعده، وهي تنقسم إلي:

---

[١] الملل والنحل ، الشهرستاني / جـ١، صـ ١٥٤ .
[٢] مقالات الإسلاميين / أبو الحسن الأشعري / جـ١ ، صـ ١٢ .
[٣] مقدمة ابن خلدون / صـ٢٢٢.
[٤] الخطط / المقريزي / جـ ٣ ، صـ ٢٩٥.
[٥] ضحي الإسلام / أحمد أمين / جـ١ ، صـ ١٥٠ .

أ- **إمامية اثني عشرية :** وهم "الذين قطعوا بموت موسي الكاظم بن جعفر الصادق... وساقوا الإمامة من بعده في أولاده[1] ، وعدد الأئمة عندهم اثنا عشر إماما هم : علي بن أبي طالب، الحسن، الحسين، علي زين العابدين، محمد الباقر، جعفر الصادق، موسى الكاظم، علي الرضا ، محمد الجواد ، علي الهادي، الحسن العسكري، محمد المهدي المنتظر .

ب- **الإسماعيلية :**ـ وهي الفرقة الرئيسة الثانية المتفرعة من الإمامية ، وهي التي زعمت أن الإمام بعد جعفر الصادق ابنه إسماعيل وأنكرت موت إسماعيل في حياة أبيه[2] ، وترى أن والده أخفاه خوفا عليه من أعدائه ، وكان من نسل إسماعيل هذا عبيد الله المهدي الذي أسس الدولة الفاطمية.

أهم عقائد الشيعة :

١- الإمامة ركن الدين وقاعدة الإسلام .
٢- الإمامة حق لعلي وأبنائه من بعده .
٣- الإمامة واجبة علي المسلمين ولا غنى عنها .
٤- الإمام معصوم من الخطأ (إلا الزيدية) .
٥- أن النبي صرح بإمامة علي، وأن نصوصا دينية قد قضت بذلك .
٦- أكثر الشيعة يؤمنون بالمهدية والرجعة .
٧- وجوب حب آل البيت .

شعر الشيعة :

يذهب شعر الشيعة في أغراض متعددة أهمها ما يأتي :

١- حب آل البيت ومديحهم :

تمكن حب آل البيت من نفوس الشيعة تمكنا وتغلغل في قلوبهم إلى درجة أنهم رأوه شيئا واجبا وعقيدة يجب الإيمان بها بل هو ركن ركين من الإسلام لا يتم إلا به ، ودليل على حب الله عز وجل وحب رسوله ﷺ ، وهذا ما يظهر في قول أبي الأسود الدؤلي :

---

(١) الملل والنحل ، جـ ١، صـ ١٥٠

(٢) المقالات والفرق أبو خلف الأشعري/ صـ٨٠.

أحب محمدا حبا شـــديدا وعباسا وحمزة والوصيا

بنوعـــم النبي وأقربـــوه أحب الناس كلهـــم إليـــا

أحبهــــم لحب الله حتي أجيئ إذا بعثت على هويا[١]

وقد صار هذا الحب زادا يتزودون به ، وشيئا يتقربون به إلى الله زلفي وبه يطلبون النجاة من عذاب الآخرة كما يقول السيد الحميري:

ثم الولاء الذي أرجو الحياة به من كبة النار للهادي أبي حسن[٢]

وقد دفعهم هذا الحب إلى مدح آل البيت مدحا يتجاوز كل مدح ، يقول الفرزدق :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابـــن خير عبـــاد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم

إذا رأتـــه قـــريش قال قائلهـــا إلى مكارم هذا ينتـــهي الكرم

يغضي حياء ويغضى من مهابتـــه فمـــا يكلم إلا حيـــن يبتســـــم

من معشر حبهم دين وبغضــــهم كفر وقربهم منجى ومعتصم[٣]

وهذا هو الكميت بن زيد الأسدي الذي أخلص للشيعة وأحبهم حبا جما إلي درجة أنه لا يرى شيعة في الوجود إلا آل البيت ولا مذهبا في الدنيا إلا مذهبهم فهو المذهب الحق ، يقول معبرا عن هذا الحب :

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

إلى النـــفر البيـــض الذيـــن بحبهم إلى الله فيمـــا نالنـــي أتقـــرب

بـــأى كتـــاب أم بأيـــة سنـــة ترى حبهم عارا علي وتحسب

---

[١] ديوان أبي الأسود الدؤلي / صـــ ١٧٧ ، ١٧٨ تحقيق عبد الكريم الدجيلي / ط – بغداد ، سنة ١٩٥٤ .

[٢] الأغاني/ ج٧، صـــ ١٧، وانظر البيان والتبيين للجاحظ، جـــ٣، صـــ٣٦٥ وفي رواية لهذا البيت .

ثم الولاء الذي أرجو النجاة به يوم القيامة للهادي أبي حسن

بل إن حب آل البيت في نظر عبد الله بن كثير السهمي كفارة الذنوب كما يقول :

أيعـد ذنبـــا أن أحبـــهم بـــل حبهـــم كفـــارة الذنب

[٣] الأغاني/ جـــ١٩، صـــ٤٠/٤١ وتنسب هذه القصيدة إلى الحزين الكناني– الأغاني / جـــ١٤ ، صـــ ٧٦ .

فمـــــالي إلا آل أحمـــــد شيعـــة   ومالي إلا مشعب الحق مشعب"[١]

٢- رثاء آل البيت وشيعتهم :

وفي الجانب المقابل وقف شعراء الشيعة يرثون آل البيت معلنين حزنهم وتفجعهم .

والحق أن آل البيت ومن شايعهم قد نكبوا نكبات عديدة واستشهد منهم ومن أتباعهم الكثير في سبيل عقيدتهم .

وقد اتخذ شعراء الشيعة من الكوارث التي حلت بآل البيت معينا لا ينضب في الرثاء ، ولعل أكثر تلك الكوارث إيلاما هي استشهاد الحسين في كربلاء .

لقد ذرف الشعراء في هذه الكارثة العبرات وسفحوا الدموع غزيرات ونفسوا عن عاطفة مكلومة وقلب مفجوع في شعر حزين باك ، يقول عبيد الله بن الحر في قتلى كربلاء :

وقفت على أجداثـــهم ومجالـــهـــم   فكاد الحشا ينفض والعين ساجـــمـــه

لعمري لقد كانوا مصاليت في الوغي   سراعا إلى الهيجا حماة حضارمـــــه

فـــإن يقتـــــلوا فكل نفـــس تقيــــة   على الأرض قد أضحت لذلك واجمـــه

سقى الله أرواح الـــذيـــن تــــأزروا   على نصره سقيا من الغيث ساجمه[٢]

ويعد بعض الباحثين / عبيد اللّه بن الحر" أول من وضع تقاليد البكائين للحسين"[٣] ويقول أبو الأسود الدؤلي :

قلتـــم خيـــر من ركـــب المطايـــا   وذللها ومن ركب السفينـــا

---

[١] الأغاني / جـ ١٥ ، صــ ١١٩ وما بعدها وهذه القصيدة ضمن ست قصائد للكميت تسمي " الهاشميات " ويبلغ عدد أبيات الهاشميات ٤٦٣ بيتا أودعها الشاعر عقائد الشيعة وأظهر حبه الشديد لآل البيت .
– انظر التطور والتجديد في الشعر الأموي / د. شوقي ضيف ، صــ ٢٦٨ .

[٢] مروج الذهب / المسعودي ، جـ ٢ ، صــ ٢٣٣.

[٣] الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، صــ ٣٤٨ .

إذا استقبلت وجـــه أبــــي حسين رأيت النور فوق الناظرينا
لقــد علمــت قريــش حيث كانت بأنك خيرهم حسبا ودينــا[١]

ويرى سليمان بن قتة أن البكاء وحده لا يكفي فهو ليس حزينا بمفرده بل إن السماء لتبكي علي آل البيت والشمس صارت مريضة والنجوم ناحت علي الحسين وصلت وكذا الدنيا كلها حزينة باكية ، يقول معبرا عن ذلك .

ألم تران الشمس أضحت مريضة لفقد حسين والبلاد اقشعرت
وقــد أعولت تبكي السماء لفقــده وأنجمها ناحت عليه وصلت [٢]

(٢)

ويأخذ شعراء الشيعة في أثناء رثائهم آل البيت في تقريع الأمويين علي ما اجترفوا في حق آل البيت وما اقترفوا من ذنوب ، يقول أبو الأسود الدؤلي مخاطبا إياهم :

ماذا تقولــون إن قال النبــي لكــم ماذا فعلتــم وأنتــم آخــر الأمــم
بعتــرتي وبأهلـــي بعد مفتقــدي منهم أسارى وقتلى ضــرجوا بدمي
هل كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي[٣]

وهكذا ظل الشيعة يبكون ويتألمون ويذرفون الدموع السخينة والعبرات الغزيرة الرقيقة حتى لقد ضرب المثل في الرقة برقة دموع الشيعة فقيل .

أرق من دمعــــــة شيــعيــة تبكي علي ابن أبي طالب[١]

---

(١) الأغاني / جـ ١١، صـ ١١٧ ، وانظر ديوان أبي الأسود الدؤلي ، صـ ١٧٤ . وفي الديوان .
قتلتم .... وخيسها ومن ركب السفينا
.... رأيت البدر راق الناظرينــا
وتنسب هذه الأبيات إلي أم الهيثم ابنة أبي الأسود الدؤلي
(٢) مقاتل الطالبيين / صـ ١٢١.
(٣) مناقب آل طالب / جـ ٣ ، صـ ٢٦٢ / المازندراني – ط النجف سنة ١٣٧٦ هـ

٣- الاحتجاج والحملة علي الخصوم :

يري الشيعة أنهم أفضل من غيرهم وأن آل البيت أحق الناس بالخلافة وهم عصمة الدين وأئمة المسلمين ، وقد فرض لهم القرآن ذلك الحق، كما أن النبي ﷺ قد نص علي ذلك وأشار إليه في أكثر من حديث .

ومن الآيات التي يحتجون بها في أحقية آل البيت في الخلافة قول الله عز وجل " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا.[٢]

ومن الأحاديث النبوية حديث غدير خم الذي يرون أنه نص أكيد صريح بإمامة علي بن أبي طالب الذي يقول فيه النبي ﷺ بعد أن أخذ بيد علي " اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله " (٣) وعن هذا الحديث يعبر السيد الحميري قائلا

إذا أنا لم أحفظ وصـــاة محمـــد   ولا عهده يوم الغدير المؤكدا
فإني كمن يشري الضلالة بالهـدي   تنصر من بعد التقي وتهـودا[٤]

ومن هذه الأحاديث قوله ﷺ لعلي بن أبي طالب " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي " [٥]

ومن ثم أخذوا يدعون الناس إلى الانضواء تحت راية آل البيت واعتبار بني أمية مغتصبين الخلافة ، ولذلك نرى الكميت يقول مخاطبا الأمويين محاولا تفنيد مزاعمهم في الخلافة :

بخاتمكم غصبا تجوز أمـــورهم   فلم أر غصبـا مثله يتغصب

---

(١) مجمع الأمثال / الميداني / جـ ٢ ، صـ ٧٧ / ط دار الجبل / ط ثانية سنة ١٩٨٧ .

(٢) سورة الأحزاب / ٣٣ ومن هذه الآيات التي احتجوا بها علي ذلك: آية ٧٣ سورة هود، أية ٥٩ سورة النساء وآية ١١٩ سورة التوبة ، آية ٢٣ سورة الشوري ، آية ٢٨ سورة الزخرف .

(٣) مسند الأمام أحمد / جـ ٢- صـ٢٠١/ ط المعارف بمصر سنة ١٣٦٦ هـ .

(٤) الأغاني / جـ٧ ، صـ١٦.

(٥) صحيح مسلم بشرح صحيح البخاري للقسطلاني / جـ ١١، صـ ٢٢٥ . ومن هذه الأحاديث أيضا قوله صلي الله عليه وسلم " أنا دار الحكمة وعلي بابها " سنن الترمذي جـ ١٣ ، صـ ١٧١ – ط الصاوي سنة ١٣٥٢ هـ .

يرون لهم فضلا علي الناس واجبا سفاها وحق الهاشميين أوجب
فإن هي لم تصلح لحي سواهـــم فإن ذوي القربى أحق وأقرب[1]

وهكذا أخذ شعراء الشيعة يحملون علي خصومهم ، ويجادلونهم ويفندون مزاعمهم ويتهمونهم بالظلم خاصة الأمويين ، وفي الجانب المقابل يصفون آل البيت بالعدل وحسن السيرة والسياسة ، يقول الكميت :

راجحي الوزن كاملي العدل في السيـ رة طبين بالأمور الجسـام
ساسة لاكمن يـرى رعية النـا س سواء ورعية الأغنـام
فهـم الأرأفـون بالناس في الـرأ فة والأحلمون في الأحـلام[2]

٤- رجعة الإمام :

أمل الشيعة في عودة الإمام نتيجة الظلم الذي لاقوه والاضطهاد الذي حل بهم ، وقد كانت عقيدة الرجعة أملا يريح نفوسهم وعزاء يسليهم عن الحرمان الذي عاشوه ، وتخفيفا عن العسف السياسي الذي عانوه .

والرجعة عندهم تعني عودة الإمام إلي الدنيا ليملأها عدلا بعدما ملئت ظلما وجورا .

فهذا كثير عزة (وتنسب الأبيات إلي السيد الحميري) يرى أن ابن الحنفية لم يمت وإنما تغيب في جبل رضوى بالحجاز وأنه سيعود إلي الدنيا يقول معبرا عن هذه العقيدة :

ألا إن الأئـمة مـن قريـش ولاة الحـق أربـعة سـواء
علي والثـلاثـة مـن بنيـه هـم الأسباط ليس بهم خفـاء
فسبط سبـط إيـمان وبـر وسبـط غيبتـه كربـلاء
وسبـط لا يذوق المـوت حتى يقود الخيـل يقدمها اللـواء

---

[1] الهاشميات / صـ ٤٢ . وانظر الأغاني / جـ ١٥ / صـ ١١٨ .
[2] الهاشميات / صـ ٢٠ .

تغيب لا يــري فيــهم زمــانا   برضـــوى عنــده عسل دماء [1]

وهذا هو كثير عزه الذي يدين بهذه العقيدة نراه يقول أيضا :

ألا قــل للوصــي فدتك نفسي   أطلت بذلك الجبـــل المقاما

وما ذاق ابن خولة طعم مــوت   ولا وارت له أرض عظــاما

ألا حي المقيم بشعب رضــوى   وأهد له بمنـــزله الســلاما

تمــام مــودة المهــدي حتــى   تروا راياتنــا تتــرى نظاما[2]

سمات الشعر الشيعي :

يتسم شعر الشيعة بالغزارة والكثرة ومواكبة الأحداث الشيعية ومن ثم اعتباره وثيقة تاريخية للشيعة ، وقد دخله بعض الانتحال ، ويتسم أيضا بأنه سياسي عبر عن رأي الشيعة في الخلافة ، وطرق شعراؤه أغراضا عديدة ، واصطبغ بالإضافة إلى ذلك بالصبغة الدينية، كما يتميز بحرارة العاطفة – وفيه مجادلة ومناظرة كما أنه طبع بالطابع الشعبي ، وأما الأساليب فقد تنوعت بين الرقة والجزالة والعذوبة والفخامة وهو هادئ رزين في المناظرة ، ثائر عنيف في الهجوم علي الأعداء ، رقيق حزين في الرثاء والمحور الذي يرتكز عليه هذا الشعر هو الجهاد من أجل الخلافة .

---

[1] الأغاني / جـ ٧ ، صـ ٩ (الجميري) ، الأغاني / جـ ٨ ، صـ ٣١ (كثير)

[2] الآغاني / جـ ٨ ، صـ ٣١ .

شعـر الخـــوارج*

التسمية والنشأة :

سمـي الخـوارج بـذلك لخـروجهم علـي علـي بـن أبـي طالـب حـين قبـل التحكـيم في صـفين أو سمـوا بـذلك مـن الخـروج اعتمـادا علـي قـول الله تعالي: " ومن يخرج من بيته مهاجرا إلي الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقـع أجـره علـي الله [1]، ولهـم أسمـاء أخـرى مثـل " المحكمـة " لقـولهم " لاحكم إلا الله " ومثل الحرورية" نسبة إلي حروراء وهـي قريـة قـرب الرقـة علـي الفـرات وهـي قريـة انحـازوا إليهـا في أول الأمـر، ومثـل: " الشـراة " أى الذين "شروا آخرتهم بدنياهم .

ويبدأ تاريخهم السياسي عقب صفين حينمـا انحـازوا إلى حـروراء وأبـوا دخول الكوفة مع علي ، واجتمعوا بـالنهروان واسـتخلفوا عليهم عبـد الله ابـن وهـب الراسـبي وعبـد الله بـن الكـواء [2] وأخـذوا يصـدرون العنـف والإرهـاب ويفسـدون في الأرض فاضـطر علـي إلى قتـالهم ،وكانـت نهايـة سيدنا علي علي يد واحد منهم هـو عبـد الـرحمن ملجـم و الحـق أن ثـوراتهم لم تهدأ طوال العصر الأموى ضد الأمويين و غيرهم .

فـرق الخـوارج :

ينقسم الخوارج إلي فرق كثيرة تبلغ عند الرازي إحدى وعشرين فرقة[3] وعند البغدادي اثنتين وعشرين ولكـن أبرزهـا وأهمهـا [4]

١- **الأزارقـة** : وهـم أتبـاع نـافع بـن الأزرق وهـذه الفرقـة أعظـم فـرق الخوارج وأشدها خطرا .

---

* انظر: الملل والنحل/ الشهرستاني/ صـ١١٩/ ط١ الانجلو سنة ١٩٧٧، وانـظر اعتـقادات المسـلمين والمشركين/ الفخر الرازي، صـ٤٦، سنة ١٩٣٧، الفرق بين الفرق/ البغدادى، صـ٧٢– ١٠٣، أضـواء الفرق الاسلامية، صـ٤٣ – ٥٣ .

[1] سورة النساء أية ١٠٠.

[2] الملل والنحل صـ ١٢٠ .

[3] اعتقادات المسلمين والمشركين ، صـ ٤٦ – ٥١ .

[4] انظر/ الملل والنحل / صـ ١١٨ – ١٤١.

٢- النجدات العاذرية : أتباع نجدة بن عامر

٣- **الإباضية** : أتباع عبد الله بن إباض .

٤- **الصفرية**: أتباع زياد بن الأصفر.

٥- **العجاردة** : أتباع عبد الكريم بن عجرد .

صفات الخوارج وممزاتهم :[1]

يتميز الخوارج بصفات وملامح خاصة قد لا توجد في الفرق الأخرى، ولعل أهم هذه المميزات ما يلي :

١- **البساطة والسطحية**: وعدم التعمق في فهم الأمور وعدم تقدير النتائج تقديرا سليما والدليل علي ذلك أنهم حاربوا مع ابن الزبير حتى انجلي الأمويون عن مكة ثم طالبوا ابن الزبير إبداء رأيه في عثمان وعلي .

٢- **التشدد في العبادة** :ومن ذلك أن ابن عباس عندما ذهب إليهم رسولا من قبل علي رأى منهم جباها قرحة وأيديا كثفات الإبل من طول السجود.

٣- **الوفاء** : ومن ذلك أن ابن زياد كان قد سجن مرداس بن أدية ، ولما رأى السجان صلاحه وتقواه كان يصرفه إلى داره علي أن يعود في مطلع الفجر فكان يفعل ولا يتخلف .

٤- **من ملامح الخوارج الفوضى** :وعدم الخضوع للنظام ولولا ذلك لكانت لهم قوتهم القاهرة.

٥- **كانوا أعداء للإسلام** والمسلمين بطريق غير مباشر فلقد ابتدعوا في الإسلام أشياء ليست منه ونكلوا بالمسلمين وأزهقوا أرواح الآلاف .

وتتلخص **أفكارهم السياسية** في أن الإمامة غير ضرورية وعلي الناس أن يتناصفوا فيما بينهم، ويجوز لهم أن ينصبوا إماما ، ويجب أن يختاره المسلمون اختيارا حرا ، ولا يشترط أن يكون قرشيا ، وتجب طاعته ما أطاع الله وإلا فالثورة واجبة عليه .

---

[1] انظر: التاريخ الإسلامي/ د. أحمد شلبي/ جـ٢- صـ٢٢٠-٢٦٠/ ط نهضة مصر سنة ١٩٦٥ .

والحق أن ظهور الخوارج قد اقترن منذ البداية برفضهم كل الأوضاع السياسية السائدة آنذاك " فالتقوا منذ بداية نشأتهم حول فكرة سياسة جعلتهم أقرب الطوائف الإسلامية في العصر الأموي إلى مفهوم الحزب السياسي الذي يحارب خصومه في سبيل هدف واضح وفهم خاص للحكم ورأي الدين فيه فهم لم يعتمدوا في دعوتهم علي انتماء ديني كالهاشميين ولا علي انتماء قبلى كالأمويين ولا نزعة إقليمية كالزبيريين "[1]وإنما جمعهم رأي واحد هو أن الخلافة شورى بين المسلمين.

وأما أهم **عقائدهم الدينية** فإنهم يختلفون فيها فمنهم من يتشدد ومنهم من يتخفف بعض الشئ ويرى المتشددون أن من سواهم غير مؤمن ولذلك فإنهم يستبيحون قتلهم وقتل أطفالهم ، ويرون أن المخالفين مصيرهم النار، وأما المتخففون فإنهم يرون أن دماء مخالفيهم حرام وأن دارهم دار توحيد إلا معسكر السلطان[2]

موضوعات شعر الخوارج :

من أبرز موضوعات شعر الخوارج ما يأتي :

١- الحث علي الثورة والجهاد :

صور شعر الخوارج كثيرا من حروبهم وقتالهم ومجد أبطالهم ودعا إلى الثورة والجهاد ضد أعدائهم فلقد ظلوا يحاربون ويقاتلون ويثورون ويجابهون الأمويين وغير الأمويين ؛ ولذا يمكن القول إن شعر الخوارج ما هو إلا شعر ثورة وجهاد ودعوة إلي الحماس والاستبسال في سبيل المبدأ الذي آمنوا به وفي سبيل عقيدتهم التي تعمقوها ونحن حينما نقرأ شعرهم نحس بأن الإسلام لا يتجاوز حدود معسكراتهم .

لقد استنهض شعراء الخوارج الجيش وبثوا فيه الحمية والثورة وحب الموت واستعذابه .

---

[1] في الشعر الإسلامي والأموي / د. عبد القادر القط /صـــ ٣٧٥ / مكتبة الشباب . سنة ١٩٨٠.

[2] انظر: الكامل المبرد / جـــ ٢ ، صـــ ١٢١ وما بعدها / نشر مؤسسة المعارف – بيروت – بدون .

وهذا معاذ بن جوين يقول :

فشـــدوا علي القـــوم العـــداة فإنها　　　إقامتـــكم للذبـــح رأيا مضـــللا

ألا فاقصـــدوا يا قوم للغاية التـــي　　　إذا ذكرت كانت أبر وأعـــدلا[1]

وأعــدلا[1]

لقد ظل الخوارج " ثائرين وظلت عقيدتهم كأنها مبدأ ثوري يدعوهم دائما إلي الحرب والقتال "[2]ومن ثم كان الاستشهاد عندهم غاية ما يتمنونه والموت أعذب ما يرونه ، ولكي ينال الخارجي ذلك فهو حريص علي الجهاد متأهب له دائما ، بل متعجل إليه ، غير حريص علي الدنيا وما فيها ولذلك يقول قطري بن الفجاءة :

أقـــول لها وقد طارت شعاعا　　　من الأبطال ويحك لن تـــراعي

فإنـــك لو سألت بقـــاء يـــوم　　　علي الأجل الذي لك لم تطاعي

فصبرا في مجال الموت صبرا　　　فما نيـــــل الخلـــود بمستطاع

ولا ثوب البقاء بثـــوب عـــز　　　فيطوى عن أخي الخنع اليراع

سبيل المـــــوت غاية كل حي　　　فداعيـــه لأهـــل الأرض داعي

وما للمرء خيـــــر في حيـــاة　　　إذا ماعـــد مـــن ســـقط المتاع[3]

ويقول :

لا يركنن أحد إلـــي الإحجـــــام　　　يوم الوغى متخـــوفا لحمـــام

أدعو الكماة إلى النزال ولا أرى　　　نحر الكريم علي القنا بحرام[4]

---

[1] تاريخ الطبري / جـــ ٦ / صـــ ١٠٧ ، وانظر ديوان الخوارج ، صـــ ١٦٧ / جمع وتحقيق د . محمـــود معروف ، ط ٥ دارة المسيرة سنة ١٩٨٧

[2] العصر الاسلامي / د. شوقي ضيف ، صـــ٣٠٢ .

[3] شذرات الذهب/ العماد والحنبلي/ جـــ١ صـــ ٨٦. وانظر: ديوان الحماسة لأبي تمام/ جـــ١، صـــــ٤٠، تحقيق د. عبد المنعم أحمد صالح/ ط الذخائر سنة ١٩٩٦. وانظر : ديوان الخوارج، صـــ١٦٩ مع ملاحظة الاختلاف في رواية بعض الأبيات .

[4] ديوان الحماسة / جـــ ١، صـــ ٤٧، وانظر ديوان الخوارج ، صـــ ١٧١.

لقد امتلأ شعر الخوارج بالدعوة إلى الثورة والجهاد وطلب الموت واستعذابه وكره الحياة حتى انتهى بهم الأمر" إلى ما يشبه الزهد الخالص [1]زهد يتأمل فيه الخارجي " حال الدنيا ومصائر الإنسان فيخلص فيخلص إلي الإيمان بأن الحياة عرض زائل وأن الإنسان فيها ظل عابر [2] ومما يدلنا علي ذلك قول عمران بن حطان :

لقد زاد الحياة إلي بغضا — وحبا للخروج أبو بلال
أحاذر ان أموت علي فراش — وأرجو الموت تحت ذرا العوالي
ومن يك همه الدنيا فإني — لها والله رب البيت قال[3]

وقوله :

حتى متى تسقى النفوس بكأسها — ريب المنون وأنت لاه ترتع
افقد رضيت بأن تعلل بالمنى — والى المنية كل يوم تدفع
أحلام نور أو كظل زائل — إن اللبيب بمثلها لا يخدع
فتزودن ليوم فقرك دائبا — واجمع لنفسك لا لغيرك تجمع[4]

٢- الشجاعة والتقوى :

وهذا غرض آخر من أغراض شعرهم فلقد كثر حديث شعرائهم عن هذين الجانبين الشجاعة والتقوى – فأثنوا علي كل من يتصف بهاتين الخصلتين وذلك كما نقرأ في قول الطر ماح بن حكيم :

فوارس من شيبان ألّف بينهم — هدى الله، نزالون عند التزاحف[5]

وكما نقرأ في قوله :

لله در الشراة إنهم — إذا الكرى مال بالطّلا أرقوا
يرجعون الحنين آونة — وإن علا ساعة بهم شهقوا

---

[1] في الشعر الاسلامي والأموي / د. القط / صـ ٣٨١ .
[1] في الشعر الاسلامي والأموي / د. القط / صـ ٣٨١ .
[3] الكامل / جـ٢،صـ١٢٥ ، وانظر ديون الخوارج صـ ١٢٩ .
[4] ديوان الخوارج ، صـ١١٨ ولعمران أيضا أبيات في الحديث عن الموت – انظر زهر الآداب جـ ٤ ، صـ ٩٢٥ – ط دار الجيل .
[5] الأغاني / جـ ١٠ / صـ١٤٩ / وانظر ديوان الخوارج ، صـ ٨٥ . .

خوفا تبيت القلــوب واجفة تكاد عنــــها الصدور تنفلق[1]

والخـوارج – كمـا يصـفهم شـعراؤهم – يقومـون الليـل ويكثـرون مـن الحنين إلى الجنة ويكثرون من الأنين خوفا من النار حتى لتكاد قلوبهم تنفطـر، وهـم في النهـار أسـد مغـاوير في القتـال في غايـة مـن البسـالة والشجاعة ، يندفعون إلى أعدائهم غير هيابين ولا وجلين ، يقول سبرة بن الجعد معبرا عن ذلك:

إلى عصبة أما النهار فإنهم هم الأسد أسد الغيل عند التهايج

وأما إذا ما الليل جن فإنهم قيــام بأنواح النساء النواشج[2]

ويقول عمرو بن الحصين :

متأهون كــأن جمــر غضــــا للخــوف بين ضلوعهم يســـــري

وهم مساعــر في الوغى رجــع وخيار من يمشـــي علي العفر "[3]

ولعل في أبيات قطري التي أوردناها عند الحديث عن الحث علي الثورة ما يوضح مقدار شجاعة هؤلاء الخوارج وزهدهم في الدنيا وتقواهم .

٣- الهجاء :

استخدم شعراء الخوارج الهجاء سلاحا حادا ضد أعدائهم ، ولكن هجاءهم لم يكن الهجاء المعهود عند شعراء العربية ، هذا الهجاء الذي يرمي المهجو بالنقائص الخلقية فقط بل تحول إلى اتهام خطير وهو تكفير أعدائهم ورميهم بالإلحاد والفجور والضلال فلقد رأى الخوارج جواز استباحة دماء مخالفيهم كما رأوا أنفسهم صالحين متقين يستحقون الجنة بينما مخالفوهم يستحقون العذاب والسعير وبئس المصير يقول قطري بن الفجاءة في يوم دولاب بعد أن تحدث في بداية القصيدة عن زوجته أم حكيم :

فلو شهدتنا يــوم ذاك وخلينـــا تبيــح من الكفار كل حريم

---

[1] الأغاني / جـ ١٠ / صـ١٤٨ ، وانظر ديوان الخوارج ،صـ ٨٦ .

[2] انظر ديوان الخوارج ، صـ ٧١ .

[3] الأغاني / جـ ٢ ، صـ١١١- ١١٢. وانظر ديوان الخوارج ، صـ ١٤٣-١٤٥.

رأتْ فتيـــة باعوا الإله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم[1]

وهو يقصد بالكفار مخالفيهم في العقيدة والمبدأ وكلمة " حريم" يعني بها كل " محرم " ، ومن ذلك أيضا قول أم عمران بن الحارث وهي ترثي ابنها :

الله أيـد عمـرانا وطهـــره وكان عمران يدعو لله في السحر
يدعـوه سـرا وإعـلانا ليرزقه شهـادة بيـد ملحـادة غـدر[2]

لقد تحول الهجاء عند شعراء الخوارج لمخالفيهم في العقيدة إلى هجاء حاد وصل إلى حد الاتهام بالكفر والمروق علي الإسلام .

سمات شعرهم :

يتميز شعر الخوارج بأنه شعر سياسي مملوء بالجدال والاحتجاج والدفاع عن مذهبهم وعقيدتهم ، وهو تصوير صادق لشجاعتهم وبطولتهم وتقواهم وزهدهم وتعبير عن رأيهم في مخالفيهم. كما يتسم بجزالة الأسلوب وقوته بالإضافة إلى أنه شعر ملتهب حار فيه حرارة الإيمان وقوة العقيدة وصدق العاطفة. ويلاحظ علي شعرهم خلوه من العصبية القبلية والشعوبية والبعد عن الارتزاق ، كما يتسم بوحدة القصيدة والتشابه في الموضوعات والصور ، ويغلب عليه التأثر بالقرآن الكريم والبعد عن الصنعة اللفظية كما يغلب عليه كثرة المقطعات .

والحق أن شعر الخوارج يعد سجلا حقيقيا لمبادئهم وعقيدتهم ، والأساس الذي دار حوله هو الجهاد من أجل المبدأ والعقيدة وإن تعددت بعض موضوعاته. ولا يمكن أن تغفل ظاهرة الالتزام في هذا الشعر فلقد عاش كل شاعر من شعراء الخوارج ملتزما بالخط السياسي الذي حدده حزبه لم يخرج عنه ولم ينحرف . لقد كان شعر الخوارج " أصدق تعبير

---

(1) الأغاني / جـ ٦ ،صـ ٥ ، انظر ديوان الخوارج ، صـ ١٧٥ .
(2) الأغاني / جـ ٦ ، صـ ٤ / انظر ديوان الخوارج ، صـ ٢٨ .

أدبي عن الإيمان بمذهب سياسي قائم علي أسس دينية[١] ، إنه صورة رائعة رائعة للشعر الإسلامي القوي الجديد في عصر بني أمية .

النقائض في العصر الأموي

التعريف :

النقائض جمع نقيضة ، والنقيضة لغة مشتقة من نقض إذا هدم[٢]ويقول هدم[٢]ويقول صاحب تاريخ النقائض في الشعر العربي إن هذا المعني اللغوي اللغوي له طوران أحدهما حسي يتمثل في نقض البناء أو الحبل ....والثاني معنوي يبدو في نقض العهود والمواثيق وفي نقض القول والإتيان بما يغايره .[٣]

وأما في الاصطلاح فإن النقيضة هي قصيدة يرد بها شاعر علي شاعر ابتدره بالهجاء والفخر ينقض معانيه معني معني ويفخر عليه ويصمه بما يشينه ويشين قومه مستخدما الوزن والقافية اللذين استخدمها الشاعر الأول . ومعني ذلك أنه " لابد من توافر ثلاث وحدات في القصيدتين حتي يقال إنهما نقيضتان : وحدة الموضوع ، ووحدة الوزن ،ووحدة القافية[٤] و إن اختلفت حركة حرف الروي أحيانا ومن ذلك علي سبيل المثال قول الفرزدق.

إن الذي سمك السماء بني لنا بيتا دعائمه أعزو أطول[٥]

فيرد عليه جرير قائلا :

إن الذي سمك السماء بنى لنا عزا علاك فماله من منقل[٦]

---

[١] الفرق الإسلامية في الشعر الأموي / د. النعمان القاضي / صـ ٤٦٣ ، ط دار المعارف . سنة١٩٧٠ وانظر أدب السياسة في العصر الأموي د. أحمد محمد الحوفي / ط خامسة دار نهضة مصر سنة ١٩٧٩ .

[٢] انظر مادة " نقض " في لسان العرب إذ يقول ابن منظور " النقض إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء وفي الصحاح : النقض نقض البناء والحبل والعهد " لسان العرب : مادة نقض .

[٣] تاريخ النقائض في الشعر العربي / أحمد الشايب/ صـ ٣/ ط ثالثة نهضة مصر سنة ١٩٩٨.

[٤] في الشعر الأموى د. يوسف خليف ، صـ ١٣٦ ط مكتبة غريب سنة ١٩٩١ .

[٤] ديوان الفرزدق/ تحقيق كرم البستانى/ جـ٢، صـ ١٥٥، وانظر كتاب تقائض جرير والفرزدق / أبو عبيدة معمر بن المثنى / اعتناء بيفان ، جـ ١ ، صـ ١٨٢ .

[٦] شرح ديوان جرير/ شرح وتقديم مهدي محمد ناصر/ ص٣٣٧/ ط دار الكتب العلمية– بيروت سنة ١٩٩٢ ١٩٩٢

فالنقيضتان من بحر الكامل وقافيتها لامية ولكن حرف الراء في الأولى مضموم وفي الثانية مكسور . و مثال ذلك أيضا قول الراعى النميرى :

رأيت الجحش جحش بنى كليب تيمم حوض دجلة ثم هابا[1]

الذي يرد عليه جرير قائلا :

أقلى اللوم عاذل و العتابا و قولي إن أصبت لقد أصابا

والحق أن النقائض الأموية ما هي إلا مباريات شعبية ومهاترات شعرية في التفاخر والتهاجي وقعت بين ثلاثة من فحول الشعر في العصر الأموي هم جرير والفرزدق والأخطل ومن انضم إلى تلك الحلبة مثل الراعي النميري والبعيث وغيرهما .

وقد شمر كل عن ساعده وراش سهامه لصاحبه ليقذعه بمر الهجاء وليقلل من شأن خصمه وشأن قبيلة الخصم وفي الوقت نفسه يعلي من قدر نفسه وقدر قبيلته ، وقد استمرت تلك المهاترات ما يقرب من نصف قرن من الزمان .

ولعل أهم أركان النقائض التي ترتكز عليها هي :

١- **المعاصرة أو التزامن :** بمعني أن يكون الشاعران المتناقضان قد عاشا وتزامنا في عصر واحد ، وحقا فجرير والفرزدق والأخطل قد عاشوا في عصر واحد والتقوا في سوقي المربد والكناسة في العراق وتهاجوا وتفاخروا في آن واحد .

٢- **وحدة الموضوع:** الذي تصاغ منه النقائض سواء أكان فخرا أم هجاء أم سياسة أم غير ذلك وإن كان الفخر والهجاء هما المحور الذي دارت عليه النقائض .

---

(١) نقائض جرير والفرزدق / جـ ١، صـ ٢٣٢

٣- **اتحاد النقيضتين:** في البحر والقافية وإن اختلفت حركة حرف الروي كما أشرنا إلي ذلك من قبل .

وبهذه الأركان أو الأسس تختلف النقائض عن فن المعارضات الشعرية في بعض الوجوه وتتفق معها في بعض الوجوه .

وقد عرف البعض المعارضات بقوله : " المعارضة أن ينظم الشاعر قصيدة علي نمط قصيدة لشاعر آخر يتفق معه في بحرها ورويها وموضوعها سواء أكان الشاعران متعاصرين أم غير متعاصرين ويجري ذلك بدافع المنافسة أو المباراة أو الرغبة في إظهار البراعة والتفوق [1].

ولعل أهم أوجه الاتفاق بين المعارضات والنقائض هو الاتحاد في الوزن والقافية وقد رأينا شيئا من تلك النقائض وأما في المعارضات فإننا يمكن أن نسوق مثالا دالا على هذا الأمر وهو قول أبي الحسن الحصري القيرواني (توفي سنة ٤٨٨ هـ) وهو ابن خالة أبي اسحق الحصري صاحب (زهر الآداب) إذ يقول في قصيدته المشهورة " ياليل الصب " :

ياليل الصب متي غده	**أقيام الساعة موعده؟**
رقد السمار وأرقه	**أسف للبين يردده**
فبكاه النجم ورق له	**مما يرعاه ويرصده**
صنم للفتنة منتصب	**أهواه ولا أتعبده** [2]

وقد عارضها أكثر من ثلاثين شاعرا أشهرهم أحمد شوقي الذي يقول:

مضناك جفاه مرقده	**وبكاه ورحم عوده**
حيران القلب معذبه	**مقروح الجفن مسهده** [3]

---

[1] عصر سلاطين المماليك/ محمود رزق سليم/ جـ٨، صـ٤٧/ ط١، سنة ١٩٦٥، مكتبة الآداب .

[2] يا ليل الصب ومعارضاتها / لأبي الحسن الحصري القيرواني / جمع ونشر محيي الدين رضا / صـ ١٠ ط رابعة سنة ١٩٥١ – البابي الحلبي.

[3] السابق / صـ ٢٣ .

فالقصيدتان من بحر المتدراك والقافية واحدة، وإن شئنا فلننظر في كتاب " تاريخ المعارضات في الشعر العربي " [1]. لنري ذلك الكم الوفير من المعارضات الشعرية .

وأما أوجه الاختلاف بينهما – النقائض والمعارضات – فمتعددة منها :

١- **السبب** الذي أنشئت من أجله النقائض هو العداوة وإثارة العصبية والنيل من الشاعر الآخر بالفخر والهجاء والتفنيد والتكذيب وأما سبب المعارضات فهو الإعجاب إعجاب شاعر متأخر بقصيدة لشاعر متقدم . [2].

وربما تكون " الرغبة الجامحة في إظهار البراعة والتفوق " [3].أوقد يكون السبب هو " تأثر المعارض بغيره إلي حد الرغبة في تقليده ومحاكاته [4]. ومحاولة اللحاق بصاحب القصيدة السابقة .

٢- **المعاني**: تدور المعاني في النقائض حول الهجاء والفخر غالبا وبعض الأغراض الأخرى المتباينة ويختار الأول المعاني الحسنة ويترك الآخر يدافع عن نفسه وأما المعارضات فإن المعاني فيها تكاد تكون واحدة وليس فيها شيء من السباب والشتائم إذ مناطها " الجانب الفني وحسن الأداء " [5]. وربما تزيد المعاني عند اللاحق أو تنقص .

٣- **التعاصر أو التزامن** : هذا شرط ضروري في النقائض أما في المعارضات فلا يشترط أن يكون الشاعران متعاصرين إنما السابق هو الأصل .وفن النقائض في العصر الأموي ليس فنا جديدا كل الجدة في الشعر العربي إنما هو مستحدث للتعبير عن حاجات اجتماعية ونتيجة لظروف سياسية وتطورات عقلية طرأت علي الأمة العربية لم تكن معروفة

---

(١) تاريخ المعارضات في الشعر العربي/ د. محمد محمود قاسم نوفل/ ط١، ١٩٨٣/ دار الفرقان/ بيروت .

(٢) السابق / صـ١٤.

(٣) عصر سلاطين المماليك/ جـ٨/ صـ٤٤٨، ويظهر لنا أحمد الشايب هذا السبب عندما عرف المعارضة إذا يقول والمعارضة في الشعر أن يقول شاعر قصيدة في موضوع ما من أى بحر وقافية فيأتي شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة لجمالها الفني وصياغتها الممتازة فيقول قصيدة من بحر الأولى وقافيتها وفي موضوعها مع انحراف عنه يسير أو كثير" تاريخ النقائض صـ ٧ .

(٤) عصر سلاطين المماليك / جـ ٨ / صـ ٤٤٨ .

(٥) تاريخ النقائض / صـ ٧ .

من قبل. إنه في الواقع تطور لفن الهجاء القديم حيث كان العرب في الجاهلية يتهاجون هجاء كثيرا وخاصة عقب أيامهم وحروبهم ولذلك كان آنذاك فنا متقطعا وما كانوا يريدون به إلا إثارة القبيلة للأخذ بالثأر وربما كانت أولى المناقضات في الشعر العربي ما جرى بين التبع اليماني الذي يقول :" من بحر الكامل" :

ياذا الكلام كأنني مورود   من دار حمير فالفؤاد عميد

وبين كليب الذي يرد عليه قائلا :

يا ذا الكلام نسيت عقد جدودي   فِلم أنفت وأنت غير حميد [1].

وكان ذلك في موقعة يوم أُراط .

ولما نشبت الحرب في عهد الرسول ﷺ بين مكة والمدينة استل شعراء المدينتين بجانب سيوفهم قصائد هجاء كثيرة " وظل هؤلاء الشعراء يتقاذفون بأشعارهم وكل يحاول أن ينفذ إلى ما يؤذى خصومه " [2]. ولكنها ظلت بسيطة لا يراد بها أكثر من الاستثارة والحث على الحرب وكان عمرها قصيرا .

ولعل أولى المناقضات التي جرت في صدر الإسلام ما كان بين سيدنا أبي بكر رضي الله عنه وبين عبد الله بن الزبعرى ، إذ يقول أبو بكر في غزوة عبيدة بن الحارث وهي أول قتال حدث في الإسلام :

أرى من لؤي فرقة لا يصدها   عن الكفر تذكير ولا بعث باعث

فيجيبه ابن الزبعرى قائلا :

أمن رسم دار أقفرت بالعثاعث   بكيت بعين دمعها غير لايث [3].

حتى إذا ما كان العصر الأموي وعاش العرب معيشة جديدة بعيدا عن البوادي والرعي وصيد الحيوان وعاشوا في المدن الجديدة وكفوا مؤنة العيش بسبب الغنائم الكثيرة التي تملكوها وبسبب الرواتب التي أجريت

---

[1] النقائض في الشعر الجاهلي / د. عبد الرحمن محمد الوصيفي / صـ ١٦ ، ط الآداب / ط أولى سنة ٢٠٠٣ .

[2] في الشعر الأموي / د. يوسف خليف / صـ ١٢٦ .

[3] انظر شعر أبي بكر الصديق " دراسة نصبه " د. غريب محمد علي/ مجلة كلية الآداب بالمنيا سنة ٢٠٠٣.

.٢٠٠٣

عليهم وبسبب وقت الفراغ الذي أرادوا أن يشغلوه وكانوا قد شغلوا بعضا منه بجوانب المعرفة والثقافة ولكن جانبا منه ظل باقيا فاتجهوا إلى ضروب من اللهو والتسلية ، ولذا كان الغناء والغزل الصريح في الحجاز وأما في العراق فقد اتجهوا إلى فن قديم هو الهجاء الذي ساعد علي اشتغاله العصبيات القبلية وراحوا يطورونه ليسدوا وقت فراغهم ويمتعهم كنوع من التسلية .

ومن ثم يمكن القول إن الأسباب التي أدت إلى ظهور فن النقائض في العصر الأموي كثيرة منها :

١- الظروف السياسية " سبب سياسي " :

أدى موقف الدولة الأموية من شعراء النقائض وقبائلهم في العراق إلى اشتعال نار النقائض فلقد "عملت تلك الدولة علي إذكاء نيران العصيبات التي اشتعلت بينها نتيجة للحياة القبلية – ومضت تنفخ فيها لتزيد من تأُججها حتى تصرف هذه القبائل المستقرة في هذه المنطقة المضطرمة بحركات المعارضة السياسية عن التفكير في السياسة أو الاشتغال بها[1].إذ مرة تساند تغلب وتارة تناصر قبيلة تميم أو تخاصم قيسا وتارة أخرى يقرب أحد الحكام جريرا أو الفرزدق [2]. وهكذا تورطت القبائل وشعراء النقائض في لعبة سياسية خطيرة .

٢- أسباب عقلية وثقافية :

فتح العرب الأمم الأجنبية وأخذوا يتحولون في سرعة إلى أمة ذات ثقافة وبمجرد أن عرفوا الثقافات واستوعبوها وارتقى العقل العربي أخذوا يجلسون إلى حلقات الدرس وراحوا يضعون أصول الفقه وغيره من العلوم وراحوا يتناقشون مناقشات واسعة ويتجادلون وهذا ما يشير إليه د . شوقي

---

[1] تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي / د. يوسف خليف / صـــ ١٨٤ ، ط دار الثقافة ، سنة١٩٨٨ .

[2] انظر/ تاريخ النقائض/صـــ ٢١٨، وانظر التطور والتجديد / د. شوقي ضيف ، ص ١٨٧

ضيف قائلا وثمة " عامل عقلي هو هذه المحاورات والمناقشات التي كانت تدور بكل مكان في البصرة ، في المساجد، وفي المجالس وفي الطرقات والأسواق [1]، وقد استطاعت تلك المحاورات والمساجلات أن تؤثر علي فن النقائض الذي يعد صدى لهذه المساجلات وتقليدا لما كان يدور من محاورات ومناظرات .

٣- الأحزاب الدينية "سبب ديني" :

استخدمت الأحزاب الدينية في هذا العصر الجدال والمناظرة في الدفاع عما تعتنقه من مبادئ وآراء ، وكان طبيعيا أن يتأثر شعراء النقائض بذلك فالعصر كله كان عصر جدال ومناظرة .

وكان علي شاعر النقائض أن يستخدم الحجج الدامعة والبراهين الساطعة ليثبت صحة رأيه ويقنع الآخرين ويفند مزاعم الخصم كما كان يصنع شعراء وخطباء وعلماء الأحزاب الدينية. ومن ثم تحولت النقائض في جوانب منها إلى مجموعة من الأدلة والبراهين.

٤- العصبيات القبلية "سبب اجتماعي :-

حينما نزلت القبائل البصرة والكوفة تحيز كل منها في حيز خاص بها فمكن ذلك لأن تتقابل وأن تعمل علي اجترار الذكريات : ذكريات الأيام والحروب الجاهلية والإبقاء عليها ولذلك كانت تلك الأيام من " أهم المقومات وأكثرها شيوعا في النقائض[2]. لقد " أسهم بعث الروح القبلية إسهاما كبيرا في ازدهار فن الهجاء الشعري المعروف بالنقائض [3]. واستطاع هذا الفن بدوره أن يعكس " في المكان الأول التنافس القبلي في كل مظاهره الخاصة منها والعامة[4]. والحق أن النقائض قد استطاعت أن

---

[1] التطور والتجديد في الشعر الأموي / صـــ ١٨٤ .

[2] في الشعر الأموي / د. يوسف خليف / صـــ ١٢٩ .

[3] شعر والبصرة في العصر الأموي/ د. عون الشريف قاسم/ صـــ١١٧، دار الثقافة– بيروت، ط سنة ١٩٧٢

[4] السابق / صـــ ١٣٣ .

تحيى " ما كمن وتوارى من نزعات الجاهلية [1]. حتى لقد غدت معرضا " لأيام العرب وأخبارها ومفاخرها ومعايبها ".

لقد احتشدت تلك القبائل في سوقي المربد والكناسة حول شعراء النقائض مستمعة إلى ما يصوغونه من هجاء وحاثة عليه بكل سبيل ، مذكية ناره ، مؤججة أوراه ، وقد دفع هذا الأمر بالشعراء إلى التهاجي والخصومة والمنافسة وقد عول أحمد الشايب علي هذا العامل كثيرا إذ يقول " من الواضح أن العصبية القبلية كانت الدافع المباشر لما ثار من مناقضة بين الشعر في الأغلب الأعم . " [2].

٥- وجود طبقة عاطلة " سبب اجتماعي :

وجدت في ذلك العصر طبقة عاطلة أرادت أن تقطع وقت فراغها في فن من فنون التسلية واللهو . وقد وجدت بغيتها في شعراء النقائض فاضطر هؤلاء الشعراء إلى التجويد في شعرهم ليجعلوه فنا يقطع وقت فراغ هذه الطبقة ويسليها ويسري عنها ويشدها إليه .

لقد كان "يقصد بالنقائض قبل كل شئ إلى تسلية الجماعة العاطلة التي تكونت في المدينتين الكبيرتين البصرة والكوفة وقد بدأت بأسباب قبلية ولكنها تطورت إلى مناظرة يراد بها ملء أوقات العاطلين حتي لقد غدت فنا يراد به إمتاع هذه الطبقة وتسليتها [3]..

٦- الخلافات الشخصية :

كانت هناك خلافات شخصية وعداءات ذاتية بين شعراء النقائض أنفسهم ومن ذلك أن جريرا كان قد سلط علي مجاشع عشيرة الفرزدق سهام هجائه فتصدى له بعض شعرائها ، لكنهم سقطوا دون الارتفاع إلى سمته ، فلجأت العشيرة إلى شاعرها الأعظم الفرزدق تحثه علي دخول

---

[1] الفرزدق / د .شاكر الفحام ، صـــ ٢٩١ ، ط دار الفكر – بدون .
[2] تاريخ النقائض / صـــ ٢٢٠ .
[3] العصر الاسلامي / د. شوقي ضيف / صـــ ٢٥٠ ،

المعركة ضد جرير ومن ثم راح كل من الشاعرين يدافع عن قبيلته ويهجو منافسه وغير هذا المنافس هجاء مرا [1].

عناصر النقائض

لقد صارت النقائض في العصر الأموي عملا فنيا معقدا يشتمل علي عدة عناصر أهمها وأبرزها ما يأتي .

١- العنصر الجاهلي :

المقصود به حديث الشعراء : شعراء النقائض حول الأيام والحروب الجاهلية وذكرياتها ، ولذلك أكب شاعر النقائض علي دراسة التاريخ الجاهلي ومعرفة الأيام الجاهلية التي كانت تدور بين القبائل (قيس وتميم وغيرهما) ليختار منها ما يهجو به خصمه ويشينه ويفتخر عليه .

والحق أن الأيام كانت من أكثر العناصر شيوعا في النقائض ولقد استغلها المتناقضون إما فخرا بها إذا كانت في جانبهم وإما تعييرا لخصومهم ....وكانت الأيام الجاهلية أشد ظهورا فيما دار بين جرير والفرزدق "[2]. وذلك كما نقرأ في قول الفرزدق في الحديث عن يوم إراب الذي كان لبني تغلب علي بني يربوع وفيه انتصر الهذيل بن هيبرة التغلبي علي اليربوعيين :

وكأن رايات الهذيل إذا بدت فوق الخميس كواسر العقبان

تركوا لتغلب إذ رأوا أرماحهم بإراب كل لئيمة مدران

يمشين في إثر الهذيل وتارة يردفن خلف أواخر الركبان [3]

---

[1] انظر / شعراء البصرة ، صـ ١٣٨ .

[2] تاريخ النقائض ، صـ ٢٥٧ / ٢٥٨ .

[3] ديوان الفرزدق ، جـ ٢ ، صـ ٣٤٤ .

ويمكـن أن يضـاف إلى هـذا العنصـر الجـاهلي الافتخـار بالأحسـاب والأنساب وقد كون هذا الأمر مقوما مهمـا مـن مقومـات النقـائض ويتضـح ذلك في قول الفرزدق :

وأنا ابن حنظلة الأغـر وإننــي	**في آل ضبة للمعـم المخــولُ**
فرعان قد بلغ السمـــاء ذراهمــا	**وإليهما مــن كل خــوف يعقــل**
يابن المـــراغة أيــن خالك إننــي	**خالي حبيش ذو الفعال الأفضـل**
خالي الذي غصب الملوك نفوسهــم	**وإليه كــان حبــاء جفنة ينقل** [(١)]

٢- العنصر التاريخي :

تعد النقائض في جانب منها سجلا مهما ووثيقة تاريخية جيدة في دراسة التـاريخ وخاصـة تـاريخ العصـر الجـاهلي إذ نسـتطيع أن نتعـرف علي أحـداث تاريخية كثيرة حتى لو لم نعد إلي كتب التاريخ .

والحق أن حرص شعراء النقـائض علـي تسـجيل الأحـداث التاريخيـة قد مهد " السبيل للمؤرخين و أمدهم بمادة وإن لم تكـن دائمـا دقيقـة لدراسـة تـاريخ العـرب قبـل الإسـلام بيـد أن هـذه المـادة الـتي نظـرت إليهـا الأجيـال اللاحقة من ناحيـة قيمتهـا التاريخيـة كانـت قضـايا حيـة تعيشـها الأطـراف المتنازعة وتحس بأثرهـا المباشـر علي عقولها وقلوبهـا "[(٢)] حتـى لقـد قيـل عـن الفرزدق " لولا شعر الفرزدق لضاع نصف أخبار الناس.

٣- العنصر الإسلامي :

يتمثـل هـذا العنصـر في أمـور منهـا : المثـل العليـا الـتي اسـتوحاها جريـر والفرزدق حينما تحولا بنقائضها أحيانا إلى مديح الأمويين ووصف الخليفـة بالعدالة و التقوى والورع والزهد أو حينما ذكر كل منهما ما لقبيلتـه مـن دور في الدفاع عن الإسـلام والإسـراع إلى الدخول في الـدين أو حينمـا تحـدثا

---

(١) ديوان الفرزدق / جـ ٢ ، صـ ١٥٨، وانظر النقائض جرير والفرزدق جـ ١، صـ ١٨٧ .

(٢) شعراء البصرة ، صـ ١٣٨ / ١٣٩ .

عن الأيام الإسلامية أو حين استوحى كل منهما المعاني والقيم الإسلامية واستلهم التراث الإسلامي لغة ومعنى وأسلوبا ، وذلك كما يظهر في قول الفرزدق :

إن الذي سمك السماء بني لنا بيتا دعائمه أعز وأطول [1]

فهو متأثر فيه بقول رب العزة سبحانه وتعالي "أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها " [2] .

ويظهر أيضا في قول جرير:

لما رأوا جم العذاب يصيبهم صار القيون كساقة الأفيال [3]

فهنا تأثر واضح بسورة الفيل .

٤- العنصر السياسي :

ويظهر هذا حينما كان شعراء النقائض يتعرضون لمواقف قبائلهم من الخلافة سواء بالتأييد أم بالمعارضة ، ويتجلى ذلك في قول جرير :

فغيرك أدي للخليفة عهده وغيرك جلي عن وجوه الأهاتم [4]

٥- العنصر الفكاهي :

هو عنصر كان الشاعر يدمج فيه بين الهجاء ووصف الآخر وتصويره صورة كاريكاتورية ساخرة مضحكة تدفع جمهور الحاضرين إلى الضحك والمزاح ، هذا الجمهور الذي جاء في الأصل للتسلية والفرحة وقطع وقت الفراغ ولذلك كان يعمد شاعر النقائض إلى رسم هذه الصور الساخرة ليتسلى هذا الجمهور ويضحك ويتندر ومن ذلك علي سبيل المثال قول الفرزدق :

إنا لنضرب رأس كل قبيلة وأبوك خلف أتانه يتقمل [5]

---

[1] ديوان الفرزدق / جـ ٢، صـ ١٥٥ .

[2] سورة النازعات / أية ٢٧ – ٢٨ .

[3] ديوان جرير / صـ ٣٥٠ .

[4] ديوان جرير / صـ ٤٢٥ .

[5] ديوان الفرزدق/ جـ٢، صـ ١٥٨ .

ومثل قول الأخطل في هجاء جرير :

قوم إذا استنتج الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولي على النار
فتمسك البول بخلا أن تجود به وما تبول لهم إلا بمقدار [1]

طرق (صور) المناقضة :

يجب أن نلاحظ أن النقائض في العصر الأموي تحولت بين الشعراء إلى نوع من المناظرة والمساجلة كما يلاحظ أن هؤلاء الشعراء لم يكونوا متخاصمين لأنهم علموا أنهم يقودون " مناظرة لتسلية الجمهور الملتف حولهم و إمتاعه[2] والرغبة في إعجاب هذا الجمهور وقد أخذت تلك المناظرات الشعرية (النقائض) **صورا وطرقا متعددة منها علي سبيل المثال :**

أ- أن يرسل الشاعر نقيضته في الجمهور فيتناشدها وينقلها إلى الخصم الذي يتفرغ لقراءتها ودراستها ونقض معانيها وهذه هي الصورة الشائعة الذائعة من صور النقائض وهنا يجب أن تشير إلى أن النقيضة الثانية عادة ما تكون أضعف من الأولى لأن الجمهور كان يتعجل الرد من الشاعر الثاني .

ب- أن يعود الشاعر الأول إلى قصيدته الأولى فيضيف إليها أبياتا متصلة بأحداث جديدة إذ ليس من الحتم أن يكتب قصيدة ثالثة وقد يعود إلى قصيدة قديمة فيضيف إليها أبياتا أيضا ويجعلها نقيضة .

جـ- المواقفة : وهي أن يأتي الشاعران وقد استعدا وأخذا أهبتهما وهيئا ما يتفاخران به فيقفان في مكان واحد ومكانين متقاربين

---

[1] ديوان الأخطل/ شرح/ مجيد طراد، صـ٢٢٧، ٢٢٨/ ط دار الجيل- بيروت- ط١، سنة ١٩٩٥ .
- وقد جعل ابن رشيق البيت الأول : أهجي بيت قاله شاعر
- وانظر: الأخطل شاعر بني أميه د. سيد غازي ط٤، دار المعارف سنة ١٩٧٩ .

[2] في الشعر الأموي/ د. يوسف خليف، صـ ١٣٦ .

يحـيط بكــل منهمــا أنصــاره ومؤيــدوه يســعون بينهمــا بالأشــعار والأخبار وكل من الشاعرين ينال من خصمه ويرد عليه أقواله [1]

د- ما يحدث بين شعراء النقائض أمام الأمراء والقادة والخلفاء .

أهم السمات الفنية للنقائض :

تتسم النقائض غالبا بسمات فنية أهمها وأبرزها ما يأتي :

أ- **الطول:** فلقد جاءت أكثر النقائض طويلة وبلغ بعضها أكثر من مائة وخمسين بيتا.

ب- **جزالة الأسلوب:** وقوة اللفظ وإحكام العبارة حتى لقد قيل عن الفرزدق " كأنه ينحت من صخر .

ج- **العناية بالمقدمات والاهتمام بالمطالع والتجويد فيها**: وقد جاء كثير من المطالع غزلية (مقدمات غزلية) مع ملاحظة أن الفرزدق لم يلتزم الغزل التزام مطالع جرير به .

د- **بداوة الخيال:** ونقصد بذلك أن كثيرا من صور شعراء النقائض جاء مستمدا من مشاهد البادية التي اتخذوها منبعا لا ينضب .

هـ- **التكرار في الصور:** تكرر كثير من الصور عند هؤلاء الشعراء ومن يقرأ النقائض" يشعر أنه أمام أنماط وصور مكررة لا تختلف من شاعر إلى شاعر ولا تختلف فيها طبيعة تجربة عن تجربة " [2] ولكن ليس معنى ذلك أنهم لم يبدعوا صورا جميلة أو خلا شعرهم من صور جديدة علي الإطلاق.

و- **النزعة التقليدية:** والمقصود بها أن شعراء النقائض قد استمدوا من التراث صورا قديمة وألفاظا لم تعد تلائم روح العصر الذي عاشوا فيه وغلب عليهم التأثر بالتراث القديم .

---

(١) الفرزدق / شاكر القحام ، صـــ ٣٢.

(٢) في الشعر الاسلامي والأموي د. عبد القادر القط ، صـــ ٣٦١ .

ر- **وجود صور ساخرة مضحكة:** ولكن مهما كانت فإنها صور بسيطة قريبة مألوفة للإنسان العربي ومن ذلك قول جرير وهو يسخر من قصر الفرزدق :

وهل كان الفرزدق غير قرد ... أصابته الصواعق فاستدارا[1]

فيرد عليه الفرزدق قائلا :

رأيت ابن المراغة حين ذكى ... تحول غيـــر لحيتـــه حمارا[2]

قيمة النقائض :

للنقائض قيم عديدة وفوائد جمة يمكن أن نذكر بعضها فيما يلي :

١- تمثل لنا النقائض نهضة فنية عظيمة في العصر الأموي .

٢- النقائض ثروة لغوية هائلة اكتسبت منها معاجمنا مادة وفيرة في اللغة

٣- تركت النقائض للأدباء علي مر العصور ذخيرة كلامية ومعاني جديدة.

٤- ارتقت النقائض بالشعر رقيا عظيما : معنى ولفظا وصورة وأسلوبا.

٥- تركت النقائض ثروة نقدية عظيمة .

٦- تعد النقائض تأريخا للحياة الجاهلية وتصويرا لأيامها.

٧- صورت النقائض جوانب كثيرة من الحياة السياسية والاجتماعية في العصر الأموي .

٨- تعد النقائض مصدرا خصبا لدراسات متنوعة : أدبية واجتماعية ولغوية .

سلبيات النقائض :

١- أدت إلى إثارة العصبية القبلية .

---

[1] ديوان جرير / صـــ ٢٠٩ .

[2] ديوان الفرزدق / جـــ ١، صـــ ٣٥٧ .

٢- بها كثير من الفخر المبالغ فيه .

٣- الفحش والإقذاع والسباب والشتائم والهجاء اللاذع وذكر المقابح والسوءات وقذف المحصنات وذكر العورات .

٤- التعرض للأعراض مما أدى إلى إثارة الحفيظة أحيانا .

٥- أدت في بعض الأحيان إلي العنف وسفك الدماء .

شعر الغزل في العصر الأموي

شغلت المرأة عقل الرجل وخياله ، وبدلت حاله ، وبلبلت باله منذ أقدم العصور ، لقد استطاعت أن تفتن ألباب الرجال وتأسر قلوبهم ، وتوحي إلى نفوسهم الحب وتغمرهم بالأمل والاستبشار حينا ، وبالحيرة والقلق

حينا آخر ، فانطلق يصور أحاسيسه ومشاعره تجاهها ، وما شعر الغزل إلا صورة عكسها لنا ذلك التفكير، وأفرغها لنا خيال الشعراء .

والغزل في الشعر العربي قديم ، ولقد كان في العصر الجاهلي موزعا بين الذكريات والبكاء علي الديار والتشبب بالأطلال التي هجرها الأحباب، وبين الحديث عن المحبوبة التي ظعنت من هذه الديار ، كما كان موزعا بين وصف المرأة وصفا عفيفا ، وبين تصويرها تصويرا جسديا مجردا من كل عاطفة سامية .

وقد استمر هذان التياران في العصر الأموي : تيار الغزل العفيف وتيار الغزل الصريح .

ومعروف أن الغزل العفيف هو الذي يذكر فيه الشاعر حبه وتعلقه بمحبوبة واحدة ، يقف عندها ، ويرى فيها المثل الأعلي الذي يحقق له متعة روحية ورضا نفسيا و استقرارا عاطفيا ، فهي الأمل المرجو والهدف المنشود والغاية المقصودة، إنها الفتاة التي يقضي عمره ناسكا في محراب عشقها لا يشرك في حبها سواها ، يرتل تسابيح الولاء من أجلها ، يوقد لها الشموع : شموع أيامه ويحرق عند قدميها البخور : بخور عمره ، إنها الكأس التي يعيش عمره ظامئا إليها فهي القطرة التي تبل أوامه وتنقع غلته الصادية ، والري الذي لا يجده في كأس سواها لقد تحولت المرأة في هذا النوع من الغزل إلى كائن مثالي ملائكي متدثر بهالة من الروحانية والقدسية تلك الهالة التي تحول دون مسه أو لمسه .

وقد عرف هذا النوع من الغزل في عصر بني أمية باسم آخر هو الغزل العذري نسبة إلى قبيلة بني عذرة القضاعية التي كانت تنزل شمالي الحجاز في وادي القرى ، وقد اشتهرت بكثرة عشاقها المولهين المدلهين الصادقين المخلصين في حبهم حتى لو أدى ذلك الحب إلى الجنون أو أفضى إلى الموت ويتضح ذلك في إجابة أحدهم حينما سئل ممن أنت ؟ فقال : من قوم إذا عشقوا ماتوا .

وروي أن عروة بن حزام حينما سئل : أصحيح ما يروى عنكم من أنكم أرق الناس قلوبا ؟ أجاب بقوله : نعم والله لقد تركت ثلاثين شابا قد خامرهم الموت وما لهم داء إلا الحب .

ويدور هذا الغزل حول أفكار كثيرة أهمها الإخلاص لمحبوبة واحدة والوفاء لها فالشاعر العاشق ، المحب الوامق لا يحول أو يزول ولا يريم عن محبوبته مهما حاول أحد أن يثنيه عنها أو ينسيه حبها ، ولذلك نرى عروة بن حزام يقول :

فوالله لا أنساك ما هبت الصبا وما أعقبتها فى الرياح جنوب
وإنى لتعرونى لذكراك هــزة لها بين جلدى والعظام دبيب[1]

ويقول قيس بن ذريح :

فإن يحجبوها أو يحل دون وصلها وقالة واش أو وعيد أمــــــير
فلن يمنعوا عينى من دائم البكــا ولن يذهبوا ما قد أجن ضميرى[2]

ويقول :

يقــرُّ بعيني قربها ويزيــدنــي بها كلفا من كان عنــدي يعيبها
وكم قائــل قد قال:تب، فعصيته وتلك لعمــري توبــة لا أتوبها[3]

وهذا جميل بثينة يعبر عن ذلك الإخلاص بقوله وقد تعرضت له بعض العارضات ليثنينه عن حبها :

أبثين إنك قــد ملكت فأسجحــي وخذي بحظك من كريم واصــل

---

(١) الأغانى/ جـ٢٠/ صـ١٥٥ .

(٢) قيس ولبني: شعر دراسة/ د. حسين نصار/ صــ٩٦، ٩٧/ ط دار مصر للطباعة سنة ١٩٧٩م .

(٣) قيس ولبني / د. حسين نصار / صــ ٦٣ .

فلرب عارضـــة علينـــا وصلها بالجـــد تخلطـــه بقـــول الهازل

فأجبتـــها بالقـــول بعـــد تستـــر حبي بثينـــة عن وصالك شاغلي

لو كان فـــي قلبي كقـــدر قلامة فضلا وصلتك أو أتتك رسائلي[1]

ومن هذه الأفكار الحديث عما يعانيه الشاعر المحب من لواعج العشق والهوى وتباريح الصبابة والجوى وحرق الحب في باطن الحشا وذلك كما نرى في قول قيس بن ذريح :

إلي الله أشكو ما ألاقي من الهوى ومـــن كـــرب تعتادني ورفير
ومن حرق للحب في باطن الحشا وليل طويل الحزن غير قصير[2]

وكما نرى في قول جميل :
إذا قلت ما بي يا بثنـــية قاتـــلي من الحب قالت: ثابت ويزيـــد
وإن قلت ردي بعض عقلي أعش به مع الناس قالت: ذاك منك بعيد
فلا أنـــا مـــردود بما جئت طالبا ولا حبـــها فيما يبيـــد يبـــيد[3]

وقول مجنون ليلي :
فإن لهيب النار بين جوانحي إذا ذكرت ليلي أحر من الجمر[4]
الجمر[4]
وكما نرى أيضا في قول قيس بن الملوح :
أبيت صريع الحب باك من الهوى ودمعي علي خدي يفيض ويسجـــم

ألا إن دمـــــع الصب عمـــا يجنه وإن لـــم يـــفه يـــوما بـــه متـــكلم

---

(١) ديوان جميل بثنية/ تحقيق د. حسين نصار/ صــ١٧٩/ ط دار مصر للطباعة/ سنة١٩٧٩، وانظر شــرح ديوان جميل بثنية/ شرح مهدي محمد ناصر الدين/ صــ٧٠، دار الكتب العلمية– بيروت ١٩٨٧، وانظــر من شرح ديوان جميل بثنية/ شرح إبراهيم جزيني/ صــ٨٦/ ط المكتبة الثقافية – بيروت بدون تاريخ .
(٢) قيس ولبني / صــ ٩٧ .
(٣) ديوان جميل / صــ ٦٣ .
(٤) ديوان مجنون ليلي / صـــــ١١٨.

لساني عيى في الهوى وهو ناطق   ودمعي فصيح في الهوي وهوأعجم

وكيف يطيق الصب كتمان سـره   وهل يكتم الوجد امـرؤ وهو مغرم[١]
مغرم[١]

وكما يتجلى أيضا في قول كثير عزة :

إلي الله أشكو لا إلي الناس حبها   ولابد من شكوى حبيب يـودع

ألا تتقين الله في حب عاشـق   له كبـد حـرى عليك تصـدع

وما للهوى والحب بعـدك لذة   ومات الهوى والحب بعدك أجمع[٢]
أجمع[٢]

ومن الأفكار التي يدور حولها هذا الغزل الحديث عن البعد والحرمان و التشبث بالمنى والآمال، وأمنية القرب والوصال، وتعليل النفس بأن حسبها أشياء تجمع بين الأحبة رغم ذلك البعد كما يقول قيس بن ذريح :

إن تك لبني قد أتي دون قربـها   حجـاب منيـع ما إليه سبيل

فإن نسيـم الجـو يجمع بيننـا   ونبصر قرن الشمس حين تزول

وأرواحنا بالليل في الحي تلتقـي   ونـعلم أنـا بالنـهار نقيـل

وتجمعنا الأرض القرار وفوقنـا   سماء نرى فيها النجوم تجـول

إلي أن يعود الدهر سلما وتنقضي   ترات بغـاها عنـدنا وذحول[٣]
وذحول[٣]

وتتضح هذه الفكرة أيضا في قول جميل :

وإنـي لأرضى من بثينة بالـذي   لو أبصره الواشي لقرت بلابله

بلا ، وبـأن لا أستطيع وبالمني   وبالأمل المرجو قد خـاب آمله

---

(١) ديوان مجنون ليلي/ تحقيق وشرح: جلال الدين الحلبي/ صـ٤٤، ٤٥/ ط البابي الحلبي سنة ١٩٣٩م، وانظر ديوان مجنون ليلي/ جمع وتحقيق: عبد الستار أحمد فراج/ ص١٨٧/ ط دار مصر للطباعة ١٩٧٩م

(٢) ديوان كثير عزة / شرح : عدنان زكي درويش / صـ ١٥٩ / ط ١ دار صادر بيروت سنة ١٩٩٤ .

(٣) قيس ولبني : شعر ودراسة ، صـ ١٤٠ .

وبالنظرة العجلى بالحول تنقضي أواخـــــره لا نلتـــقي وأوائله[1]

وفي قوله أيضا :

ألا ليت أيـــام الصفـــاء جديد ودهـــــرا تولي يابثين يعود

فنغني كما كنا نكون وأنتـــــم صديق وإذا ما تبذلين زهيـــد[2]

ومـن تلـك الأمنيـات – نتيجـة البعـد والحرمـان – أن لـو ظـل الحبيبـان صغيرين لم يكبرا بعد ليلتقيا دائما ، وهذا ما يظهر في قول مجنون ليلي:

تعلقت ليلي وهي غر صغيـــــرة ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعي البهم ياليت أننـــا إلي اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم[3]

وفي تضـاعيف هـذا الغـزل يبـث الشـاعر ولهـه الـذي هـد كيانـه وزلـزل أركانـه ، هـذا الولـه الـذي يصـل بـه إلى حـد المـرض والضـنى والنحـول والذبول أو يصل إلي حد يجعلنا نشك في إيمانه ، ولعروة وابن الملوح أبيات في هذا المعني ، يقول عروة :

تحملت من عفراء ما ليس لي به ولا للجبـــال الراسيـــات يـــدان

كـــأن قطاة علقـــت بجنـــاحـــها علي كبـــدي من شـــدة الخفقـــان

جعلت لعراف اليمـــامة حكمـــــه وعراف نجـــد إن همـــا شفيـــاني

وما شفيـــا الداء الـــذي بـــي كله ولا ذخـــرا نصـــحا ولا ألوانـــي

فقـــالا : شفـــاك الله والله مالنـــا بما ضمنت منـــك الضلوع يـــدان

فويلي علي عفـــراء ويلا كأنـــــه علي الصدر والأحشاء حد سنان[4] سنان[4]

ويقول مجنون ليلى :

---

[1] ديوان جميل / د. حسين نصار / صـــ ١٦٩ .
[2] ديوان جميل / د. حسين نصار / صـــ ٦١ .
[3] ديوان مجنون ليلي / صـــ ١٨٦، وانظر ديوان مجنون ليلي / شرح مجيد طراد / صـــ ١٨٤ .
[4] الأغاني / جـــ ٢٠ / صـــ ١٥٥ .

تذكرت ليلي والسنين الخواليـــــا … وأيام لا نخشى علي اللهو ناهيا

أعــد الليــالي ليــلة بعــد ليلــة … وقد عشت دهــرا لا أعد اللياليا

وأنت التي إن شئت نغصت عيشتي … وإن شئت بــعد الله أنعمت باليا

أرانـــي إذا صليت يممت نحوهــا … بوجهي وإن كان المصلي ورائيا

وما بـــــي إشراك ولكن حبــهــا … كعود الشجي أعيا الطبيب المداويا

أصلي فما أدري إذا مــا ذكــرتها … أثنتين صليت الضحـــي أم ثمانيا

إذا الحب أضناني دعوا لي طبيبهم … فيما عجبا هــذا الطبيب المداويا

وقالــوا بــه داء قد أعيــا دواؤه … وقد علمت نفسى مكان شفائيـــا[1]
شفائيـــا[1]

وأما قيس لبنى فإنه يقول :

رمتني لبيني في الفؤاد بسهمها … وسهم لبيني للفـــؤاد صبود

وقائـــله قـــد مـــات أو هو ميت … وللنفس مني أن تفيض رصيد

أعالج من نفسي بقايـــا حشاشة … علي رمق والعائــدات تعود[2]

والحديث عن الظنون والأوهام والهواجس والوساوس والواشين لا تخلو من هذا النوع من الغزل وذلك أمر بدهي فالمحب دائما يحدوه الأمل والرجاء ويحيط به اليأس والحزن والخوف ، ويلازمه الواشون الحاقدون وفي ذلك يقول قيس لبنى :

وكنا جميعا قبل أن يظهر الهــوى … بأنعم حالي غبطة وســرور

فما برح الواشون حتى بدت لهــم … بطون الهوى مقلوبة لظهور

---

(١) ديوان مجنون ليلي / صـــ ٢٣٠ – ٢٣٢ / تحقيق عبد الستار أحمد فراج .وتروى بعض هــذه الأبيـــات براويات أخري كثيرة وانظر علي سبيل المثال :
- ديوان مجنون ليلي / جميع وترتيب : أبي بكر الوالبي / صـــ ٨٩ وما بعدها .
- ديوان مجنون ليلي/ تقديم وشرح مجيد طراد/ ص٢٣٧– ٢٤٢/ ط عالم الكتب/ بيروت ط١ ١٩٩٦م.

(٢) قيس ولبني / صـــ ٨٠ .

لقد كنت حسب النفس لودام وصلنا ولكنما الدنيا متـــاع غرور[1]
غرور[1]

ويقول كثير عزة :

وخبرها الواشون أني صرمتـــها وحملها غيظا علي المحمـــل[2]

ويقول جميل بثينة :

نصـــــد إذا ما الناس أكثـــــروا علينا وتجري بالصفاء والرسائل

فإن غفل الواشون عدنا لو صلنا وعاد التصافي بيننـــا والتراسل[3]

وفي هذا الغزل يظهر لنا محور آخر من محاوره وهو الحديث عن العفة والطهر إذا لا سلطان فيه لشهوات الحس ونوازع الجسد ونزوات الجنس .

إن عطر النقاء والعفاف يفوح من هذا الغزل وإن أثير الفضيلة والصفاء ليضوع من خلاله رغم ما يحدث بين العاشقين من خلوات وسمر ، وهذا قيس بن ذريح يصور ذلك قائلا :

تتوق إليك النفـــس ثـــم أردها حيـــاء ومثلي بالحياء حقيـــــق

أذود سوام النفـــس عنك ومـــاله علي أحـــد إلا عليك طريـــــق[4]

ويقول جميل بثنية :

لا والذي تسجـــد الجبـــاه لـــــه مالي بما دون ثوبـــــها خبـــر

ولا بفيـــــهـــا ولاهممت بـــــه ما كـــان إلا الحديث والنظـــر[5]

ويقول :

وكان التفـــرق عنـــد الصبـــــاح عــــــن مثـــل رائـــحة العنبـــر

---

(1) قيس ولبني ، صـــ ٩٧ .
(2) ديوان كثير عزة ، صـــ ٢٢٤ .
(3) ديوان جميل / صـــ ١٥٩ .
(4) قيس ولبني / صـــ ١٢٨ .
(5) شرح ديوان جميل ، صـــ٣٤/ وشرح ديوان جميل / إبراهيم جزيتي ، صـــ ٥٤ . وفي : ديوان جميـــل / تحقيق د. حسين نصار . ... مالي دون ثوبها خبر

خليلان لــم يقــربا ريبــة   ولم يستخفــا إلي منكـــــر[1]

ويجب أن نسجل هنا عدة ملاحظات ونحن بصدد الحديث عن هذا الغزل العفيف أهمها ما يأتي :

١- التشابه بين قصص هؤلاء العشاق العذريين فلقد عاشوا في بيئات متشابهة وعاشوا حياة متشابهة تحكمها ظروف متشابهة وتقاليد متشابهة

٢- لم يكن هذا النوع من الغزل من خلق العصر الأموي بل وجد منذ العصر الجاهلي كما ذكرنا ذلك من قبل – ولكن الحياة الأموية هي التي هيأت له وكانت سببا في ابتعاثه .

٣- دخل بعض الأساطير هذه القصص ولكن لم تكن أسطورية صرفة ولم تكن قصصا خيالية خالصة من صنيع القصاص ونسج الرواة وإن كنا نشك في صحة كل ما وصل إلينا من أبيات غزلية وفي نسبتها إلى قائليها ، لأن قصص هؤلاء العشاق كانت في فترة من الفترات تلبية لحاجات السمر والمتعة وطلبا للإغراب والإعجاب واستثارة لشوق السامعين حتى لقد" غدت أخبارها لونا شعبيا عاما ولعل شعبيتها هي التي أكثرت من القصص حولها " (٢)

٤- لم يكن هذا الغزل مقصورا علي بني عذرة فهو نبتة صحراوية أصيلة رعتها البادية وسقتها الصحراء وهيأت له الأسباب بما فيها من" سكون وصمت في لياليها المقمرة الشاحبة (٣) وأما بنو عذرة فقد عرفوا به لأن حياتهم لم تكن قاسية " ولا كان فيها هذا الجدب المهلك وإنما كان فيها خصب ونماء هيآ لشئ من الفراغ كما هيآ لشئ من الاستقرار ، فليس فيها منازعات علي المراعي (٤) وكأنما

---

(١) ديوان جميل / د حسين نصار ، صـــ ١٠٦.

(٢) العصر الإسلامي / د. شوقي ضيف / صـــ ٣٦١ / ط –دار المعارف سنة ١٩٧٨

(٣) الحب العذري عند العرب / د. شوقي شيف / ص٢٠ــ ط مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٥.

(٤) الحب العذري عند العرب ، صـــ١٩

قد فرغوا " للتعبير عن آلام النفس إزاء هذا الحب ، وكأنهم فرغوا لأنفسهم أو هيأت لهم حياتهم أن يفرغوا لأنفسهم فأخذوا يغنونها هذا الضرب من الشعر الوجداني(١) بالإضافة إلى ما عرفوا به من رقة المشاعر ودقة الأحاسيس .

٥- طبع هذا الغزل بطوابع إسلامية ، فلقد فرض الإسلام علي الناس في بيئة البادية أن يغضوا أبصارهم ولا يأتوا بفاحشة ولا ينتهكون المحرمات " (٢) ولذلك نجد في هذا النوع من الغزل الطهر والبراءة والتسامي كما نجد فيه الحزن الصادر عن نفس ملتاعة تخشى الله وتخافه ، ويرى البعض أن الإسلام كان من أهم الأسباب التي أدت إلى وجود هذه الظاهرة فلقد "طهر النفوس وبرأها من كل إثم(٣) وكان " له أثر بعيد في سيطرة هذا الجيل علي غرائزه واستمساكه قدر الطاقة بالعفة والتقوى (٤).

٦- من أهم أسباب ظهور هذا اللون من الغزل التقاليد الاجتماعية وخاصة وضع المرأة الاجتماعي ونظرة الرجل إليها فقد ظلت المرأة في هذا المجتمع خاضعة لنفس التقاليد الصارمة التي كانت مفروضة عليها منذ العصر الجاهلي ، تقاليد المنعة والحجاب والرقابة والحراسة. [٥]

٧- مما ساعد علي ظهور هذا الفن في بيئة البادية أن شبابها لم يكن أمامهم " إلا فتيات القبائل أو بنات العم المحجبات المنعات بكل ما يتمتعن به من حصانة وكل ما يحيط بهن من قداسة . [٦]

---

(١) الحب العذري عند العرب ، صـــ١٩

(٢) الحب العذري عند العرب ، صـــ٢٠ .

(٣) العصر الإسلامي / د. شوقي ضيف / صـــ ٣٥٩ .

(٤) في الشعر الاسلامي والأموي/ د. عبد القادر القط، صـــ ٧٩ ، وهذا السبب هو ما يسميه بالتفسير الديني .

(٥) في الشعر الأموى/ د. يوسف خليف / صـــ٦٢.

(٦) في الشعر الأموي ، صـــ ٦٢ .

٨- مما أدى إلى ظهور هذا الفن في هذه البيئة أنها عاشت حياة اقتصادية فقيرة وظلت تعاني من شظف العيش وضنك الحياة ، كما أن موقف السياسة الأموية، منها كان مغايرا لموقفها من بيئة الحجاز فلم تكن الدولة الأموية تخشى علي نفسها من هذه البيئة ومن ثم فلم تظهر الطبقات المترفة بل "ظل الحرمان هو السمة الغالبة علي المجتمع البدوي وظل الكبت هو العنصر الكامن في أعماقه" [١].

٩- كان هذا النوع من الغزل أشبه بمتنفس يخفف عن شباب البادية قساوة الأيام والحرمان وقد وجدوا فيه نوعا من التعويض عما حرموا من وسائل اللهو دون المساس بتعاليم الإسلام ، وهذا ما يمكن أن نسميه بالتفسير النفسي لهذه الظاهرة .

وعلي الجانب الآخر من هذا الغزل وقف الغزل الحسي الصريح الذي يفتن فيه الشاعر بوصف المرأة من حيث إنها أنثى تشبع الجوع الجنسي وتحقق له المتعة واللهو واللذة وترضي الحس ، ومن حيث إنها تشبع له غرائزه ونزواته ، ومن حيث إنها فتنة طاغية تبهر الرجل وتفتنه وتأسره بما تملك من جمال ودلال .

إن المرأة في هذا النوع من الغزل وسيلة لا غاية والشاعر هنا لا يقف عند واحدة بعينها بل هو كالفراشة الحائمة الهائمة التي تنتقل من فنن إلى فنن ومن زهرة إلى زهرة فريثما يمتص رحيق زهرة فتذبل إذا به يبحث عن زهرة أخرى. إن الشاعر هنا يدعي الحب وهو كاذب لعوب ولوب، والمرأة عنده غراء فرعاء مصقول عوارضها ذات خد أسيل وردف ثقيل وشعر طويل وعيون حوراء ، وأهداب متكسرة وطفاء .والحق أن الشعراء العرب قد وضعوا في وصف المرأة مقاييس جمالية يبغونها ويطلبون تحقيقها ولذا نرى علي سبيل المثال جريرا يتحدث عن العيون الحوراء فيقول :

إن العيون التي في طرفها حور   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

---

[١] في الشعر الأموي ، صـ ٦٣ . وقد سمي د. القط هذا الأمر بالتفسير السياسي انظر في الشعر الاسلامي والأموي / صـ ٦٥ .

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا[١]
إنسانا[١]

وخير من يضرب لنا المثل في عدم الوقوف عند واحدة بعينها عمر بن أبي ربيعة الذى يقول في ثلاث أخوات شغلن به :

قالت الكبـــرى : أتعرفن الفتـــى قالت الوسطى: نعم هذا عمر

قالت الصغــرى وقــــد تيمتـــها قد عرفناه وهل يخفي القمر[٢]
القمر[٢]

وأخبار ابن أبي ربيعة كثيرة عن صواحبه اللاتي بلغن أكثر من سبع وثلاثين صاحبة سمى كل وحداة باسمها عدا اللواتي لم يسمهن ومن تلك الصواحب (هند ، ونعم وزينب والثريا والرباب وغيرهن) وقد استطاع عمر بن أبي ربيعة أن يقلب آية الغزل في الشعر العربي فبعد أن كان الشاعر هو المحب اللاهث وراء محبوبته جعل ابن أبي ربيعة النساء هن اللواتي يلهثن وراءه ويطلبنه وهذا ما يتضح في قوله :

وكن إذا ابصرنني أو سمعنني سعين فرقعن الكوى بالمحاجر[٣]

والحق أن ليس في هذا النوع من الغزل عفة أو طهارة إنما هي المتع الحسية والغرائز الجنسية ، فالوجوه سافرة والنقاب مكشوف بلا أدنى حياء أو خجل وفي ذلك يقول العرجي :

أماطت كساء الخز عن حر وجهها وأدنت علي الخدين بردا مهلهلا

---

(١) شرح ديوان جرير / مهدي محمد ناصر الدين / صـــ ٤٥٢ ، ط دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٩٩٢
١٩٩٢ وفي رواية ...."وهن أضعف خلق الله أركانا"

(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة / صـــ ٩٠ / ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٨ .

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، صـــ ١٠٩ .

من اللاء لم يحججن يبغين حسبــة ولكن ليقتلن البرئ المغفـــــلا[1].

والمـرأة - لـدى الشـاعر – هنـا عبـارة عـن عيـون وخـدود وقـدود وجيـد ووجنــات وبنــان رخـص مخضـب وجلـد نــاعم بـض أملـس فالشــاعر مولـع بالجمال الجسدي متتبع للحسن الأنثوي كلما أبصره .

كما يقول ابن أبي ربيعة :

إني امرؤ مولع بالحســن أتبعـــه لاحظّ لي فيه إلا لذة النظر[2]

ويقول واصفا هندا مرة :

غــــادة يفتــــر عــن أشنبهـــا حين تجلوه أقاح أو بــــرد

ولها عينـــــان فــــي طرفيهما حور وفي الجيــــد غيــد[3]

ويصفها الأحوص جملة فيقول :

مهفهفة الأعلى وأسفل خلــقها جرى لحمه من دون أن يتخددا

كأن ذكي المسك منها وقد بدت وريح الخزامى عرفه ينفح الندا[4]

فهـي ﰲ نظـره ﰲ غايـة مـن الرشـاقة والأناقـة ، ممشـوقة القـد والقـوام، مـكتملة الحسـن، وكـأن قد تحققت فيها كل مقاييس الجمال الأنثوي.

ومهمـا يكـن مـن أمـر فـإن الشـاعر ﰲ هـذا النـوع مـن الغـزل يحـس أنـه اجترف أثاما واقترف ذنوبا وذلك كما يظهر ﰲ قول ابن أبي ربيعة :

يقصد الناس للطواف احتسابا وذنوبي مجموعة في الطواف[5]

---

(١) الأغاني / جـ ١ ، صـ ١٥٥ ، وانظر ديوان العرجي / جمع وتحقيق : د. سجيع جميل الجبيلي / صــــ صــــ ٢٨٥، ٢٨٦ / ط أولى / دار صادر / بيروت / ١٩٩٨ .

(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، صـــ ١٠٩ ،

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، صـــ ٥٤ .

(٤) ديوان الأحوص/ تحقيق وشرح د. سعدي ضناوي/ صـــ٥٤/ ط أولى/ دار صادر، بيروت/ ١٩٩٨ .

الطواف[1]

ويجب أن نسجل هنا أن هذا الضرب من الغزل قد نما نموا واسعا في المدينة ومكة وعملت فيه ظروف عديدة منها :

١- تحضر المرأة في هذه البيئة تحضرا عظيما فلقد بنيت لها القصور وملئت بالجواري من الأجنبيات اللواتي حملن معهن عادات وأخلاقيات مغايرة للعادات والأخلاقيات العربية .

٢- الحرية التي أخذت المرأة منها – في هذه البيئة - بقسط وافر فلقد اختلطت بالشباب مع المحافظة علي كرامتها وشعورها بمركزها الاجتماعي الجديد.

٣- كثرة الأموال التي صبت في حجور أهل مكة والمدينة أدت إلى وجود طبقة من " الشباب كانوا فارغين من عمل فليس هناك ما يشغلهم "[2] ومن ثم أخذوا يبحثون عن وسيلة من وسائل التسلية واللهو ليقطعوا بها وقت فراغهم فكان شعر الغزل إحدى هذه الوسائل.

٤- مجالس اللهو والطرب والغناء التي وجدت نتيجة الفراغ الذي عاشته طبقة كبيرة من الشباب ، وفي هذه المجالس راح الشعراء يتغزلون ويختلطون بالمغنيات ويصفون المفاتن الحسية ويقدمون مادة شعرية جاهزة للغناء فلقد تطلبت هذه المجالس مددا دائما من شعر الحب " وكان علي الشعراء أن يقدموا هذه المادة الفنية كلما طلب إليهم ذلك"[3].

٥- شعور المرأة العربية بشخصيتها وأنها فتاة الفاتحين العظام أدى بها إلى الأخذ بقسط كبير من الحرية فراحت تختلط بالشباب.

---

[1] عيون الأخبار / ابن قتيبة / جـ ٤ ، صـ ١٠٧ .

[2] الشعر والغناء في المدينة مكة لعصرين أمية/ د. شوقي ضيف، صـ١٧٥/ ط دار المعارف ١٩٧٩م .

[3] في الشعر الأموي " دراسة في البيئات " د. يوسف خليف/ صـ١٤٩/ ط غريب١٩٩١، وانظر تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي د. يوسف خليف ، صـ ٨٥ ، ط دار الثقافة سنة ١٩٨٨ .

٦- أذواق السامعين المتحضرين ، تلك الأذواق التي احتاجت إلى ما يرضيها من غناء لاه عابث تردده وتحس أنها تستمتع به .

٧- انتقال الدولة من عواصم الحجاز إلى عواصم الشام أدى إلى تفرغ المترفين لحياة من الفراغ لا رقابة عليها بل أدى إلى التشجيع علي حياة المجون والبطالة لأن أصحاب الدولة كانوا يخشون من أبناء هذه المنطقة لو انصرفوا إلى حياة الجد والطموح إذ لا أمان للدولة في جدهم وطموحهم .

إنها الحياة المترفة والأموال المتدفقة والجواري والرقيق وما حملوا معهم من عادات مغايرة وإنها الحرية والفراغ والتعطل وخوف الدولة من أبناء هذه المنطقة والتحضر الذي أصاب هذه البيئة وموجة الغناء والعبث .

هي أهم العوامل التي أدت إلى انتشار هذا اللون من الشعر في بيئة الحجاز .

ابن قيس الرقيـات*

اسمه ولقبه ونسبه ومولده :

هو عبيد اللّه بن قيس بن شريح بن مالك ، أحد بني عامر بن لؤي وقد لقب بالرقيات إما لعدة زوجات أو جدات أو حبيبات له كانت أسماؤهن كلهن رقية ، وقد رجح كثير من الرواة والمترجمين له أنه لقب بذلك لتشببه في أكثر من واحدة اسمها رقية وهذا ما ذهب إليه ابن قتيبة وأبو الفرج الأصفهاني .

وينتهي نسبه إلى قريش من جهة أبيه ، وهو أيضا قرشي من جهة أمه، ولكنه لم يكن من عشيرة ثرية ذات شأن فلقد كان من قريش الظواهر الذين كانوا يعيشون خارج مكة ولكنها كانت عشيرة معروفة بالبأس والشجاعة والقوة . وأما أمه فهي قتيلة بنت وهب بن عبد اللّه، وينتهي نسبها إلي عبد مناة بن كنانة ، وقد ولد بمكة المكرمة وهذا ما يتفق عليه الرواة لكنهم يختلفون كثيرا حول سنة مولده ، وإن كنا نرجح أنه ولد في أوائل خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه (في العقد الثالث من القرن الأول الهجري) علي حسب رواية الأصفهاني.

---

* انظر في هذا الموضوع :
١- الأغاني / جـ ٤ / صـ ١٥٤ .
٢- طبقات فحول الشعراء / جـ٢ ، صـ ٦٤٨ .
٣- الموشح المرزباني / صـ ٢٤١ تحقيق / علي محمد البجاوي / ط نهضة مصر / بدون
٤- الشعر والغناء في المدينة ومكة / د. شوقي ضيف / صـ ٢٧٥ .
٥- العصر الاسلامي / د. شوقي ضيف / صـ ٢٤٣.
٦- ابن قيس الرقيات . حياته وشعره / د. إبراهيم عبد الرحمن / ط دار نهضة مصر سنة ١٩٦٥ .
٧- الشعر والشعراء ابن قتيبة / جـ ١ ، صـ ٥٣٩ .
٨- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات / تحقيق د. محمد يوسف نجم / ط دار صادر بيروت – بدون .

مذهبه السياسي :

يعتقد البعض أن الشاعر كان زبيري الهوى ، ينتصر للزيبريين ويدافع عنهم ، ويستدلون علي ذلك بمدائحه التي توجه بها إلى مصعب بن الزبير. والحق أن الشاعر لم يكن كذلك فشعره يخلو من الدعوة إلى الزبيريين والدفاع عن رأيهم وقضيتهم إذ لم تشغله قضية الحزب الزبيري أكثر من انشغاله بقريش ووحدتها ، ولذلك نرى في مدائحه لمصعب حزنه علي قريش ، وما أصابها من ضعف وتمزق وضياع كما يشهد علي ذلك قوله :

حبذا العيش حين قومي جميع لم تفرق أمورها الأهواء

قبل أن تطمع القبائل في ملـ ـك قريش وتشمت الأعداء

أيها المشتهي فناء قريش بيد الله عمرُها والفناء

إن تودع من البلاد قريش لا يكن بعدهم لحي بقاء [1]

(١)

لقد كان الشاعر دائما منتصرا لقريش فالقضية عنده ليست قضية خاصة أو قضية حزب معين إنما هي قضية عامة وهي حبه لقريش وأمله في أن تظل باقية متحدة شامخة ، وهذا ما يفسر لنا كرهه لبني أمية حينما كان متصلا بالزبيريين لأنه كان يرى أن الأمويين قد مزقوا وحدة قريش بما أثاروا من حروب وما أحدثوا من منازعات .

لقد كان السبب في مديحه الزبيريين هو مبدأ الدعوة عندهم – إلى أن تكون الخلافة في قريش ومن ثم نراه باكيا علي ملك قريش إذ يقول :

عين فابكي علي قريش وهل يرى جع ما فات – إن بكيت – البكاء

معشر حتفهم سيوف بني العـلـ ـات يخشون أن يضيع اللواء[2]

---

(١) ديوان ابن قيس الرقيات / صـ ٨٨ / ٨٩ .

(٢) الديوان / صـ ٩٤ .

فالشاعر إذن قرشي الهوى والمذهب ، يرى أن قريشا أحق بالسيادة والرياسة بما تملك من ميراث ديني وتاريخي وقبلي فقريش هي عمود الخلافة ولو أنها زالت عنها لسقط ركنها سقوطا لا يرتفع بعده (١) ومن ثم جذبته دعوة الزبيريين إلى تلك القضية جذبا ، ولذلك كان مصعبي الهوى ، فلقد أحب مصعبا وأعجب بشجاعته ، ورأى فيه فتى قرشيا ينتصر لقومه – قريش – ويثأر لها من أعدائها ومن كل من يحاول أن يزيل ملكها أو يزلزل كيانها . ومما يدلنا علي قرشيته تحوله إلى مديح الأمويين بعد اندثار الحزب الزبيري لأنه رأى أن السلطة قد استقرت فيهم وأن سلطان قريش معهم ، فهم أحد بيوت قريش .

والحق أن ابن قيس الرقيات لم يكن شاعرا للزبيريين ولا شاعرا للأمويين علي الرغم من اتصاله بهؤلاء وهؤلاء وإنما كان شاعرا لقريش يعشقها ويدافع عنها ويدعو إلى سيادتها ويتمنى لها الظهور دائما كما يتمنى لها القوة والوحدة ، لقد كان – في الحق – أوسع أفقا وأبعد نظرا من تلك الأحزاب التي قامت في عصره وتصارعت في زمنه .

شعــره :

نظم ابن قيس الرقيات في موضوعات عديده وأغراض كثيرة من الشعر أهمها ما يأتي :

١- الغزل :

لابن قيس الرقيات قصائد ومقطوعات في الغزل كثيرة ، وقد قسم النقاد غزله إلي مرحلتين أو طورين هما[٢] :

أ- الطورالأول :

---

(١) العصر الإسلامي / د. شوقي ضيف / صــ ٢٩٦ .

(٢) انظر ابن قيس الرقيات / حياته وشعره ، صــ ١٤٧ .

هو ذلك النوع من الغزل الذي نظمه أثناء وجوده بمكة والمدينة قبل اتصاله بالسياسة .

ب- الطور الثاني :

هو ما نظمه من غزل في مقدمات قصائده بعد اتصاله بالسياسة.

ويلاحظ علي النوع الأول كثرة المقطوعات الخالصة في الغزل والتي لم تمتزج بمديح أو هجاء وكان هذا نتيجة اتصاله بحياة الترف والغناء والمغنيين والمغنيات في مكة والمدينة وما تطلبته موجة الغناء من مقطوعات قصيرة يسهل تلحينها . ويلاحظ أيضا أن كثيرا من هذه المقطوعات كان مطبوعا " بطوابع الغناء التي عاصرته "[1] كما أنها "تمتاز " بحلاوة النغم وخفة الأوزان بحيث تحمل كل ما يريد المغنون والمغنيات"[2] من أنغام وترنيمات كما تمتاز بالنقاء والصفاء وعذوبة الألفاظ ورشاقة الألحان [3]

كما يلاحظ أيضا أن كثيرا من هذه المقطوعات كان فيمن تسمي رقية وسلمة ، والحق أن ما نظمه في رقية من شعر قصة يصور قصة غرام وعشق وهيام شديد كما يصور ما كان يطرأ علي هذا الغرام من تغيرات وعقبات .

والحقيقة أنه قد أخلص أيما إخلاص في حبه رقية ابنه عمه عبد الواحد ومحض لها العشق وملأ باسمها أرجاء الحجاز في شعر رقيق عذب أخاذ مملوء بصدق العاطفة الجياشة دال على وفاء شديد لها وذلك كما نرى في قوله :

رقيـــــة تيمــت قلبـــــي	**فواكبــــدي مــــن الحــــب**
وقالـــــــوا داؤه طــــــب	**ألا بـــــل حبـــها طبـــــي**

(1) العصر الاسلامي / صـــ ٣٠١ .
(2) العصر الإسلامي / صـــ ٣٠١ .
(3) العصر الإسلامي / صـــ ٣٠١ .

نهانـــي إخوتــــي عنـــــــها وما للقلـــــب مــــــن ذنــــب[1]
ذنــــب[1]

ويلاحظ على شعره في هذا الجانب أيضا تطور في المعنى فلقد عبر فيه عن دلال المرأة المنعمة المترفة وعبر عن نفسيتها وما أصابت من التحضر والرقي وذلك كما يظهر في قوله :

حبـــذا الـــدلال والغنــج والتـــي فـــي طرفـــها دعــج

التــي إن حدثــت كذبـــت والتـــــي فـــي وصلـــها خلــج

تلك إن جــــادت بنـــــائلها فابـــــن قيـــس قلبــه ثلـــــج[2]
ثلـــج[2]

ومما يلاحظ أيضا على هذا النوع تطور في الأسلوب والوزن فاللغة عنده سهلة بسيطة والألفاظ قريبة مألوفة ، بعيدة عن الغرابة والتقعر والالتواء كما أنه استخدم الأوزان الخفيفة كثيرا كما ذكرنا من قبل – وهذه الأوزان تلائم حاجة المغنين والمغنيات ومجتمع اللهو ومجامع السمر والطرب والعبث ، وأخيرا يلاحظ أن كثيرا من القصائد والمقطعات قد استقل بموضوع الغزل .

<u>وأما النوع الثاني</u> : فهو الذي نظمه بعد اتصاله بالسياسة وفيه قل الغزل الخالص فلقد امتزج الغزل عنده بالسياسة .

وهنا نلاحظ عودة الشاعر إلى النظام التقليدي إذ صار الغزل جزءا من القصيدة أو قل مقدمة لها[3] بعد أن كانت القصيدة عنده خالصة للغزل .

والحق أن ابن قيس الرقيات قد استطاع أن يتخذ الغزل هنا في هذا النوع – أداة لشعره السياسي ووسيلة للوصول إلى إعلان آرائه في السياسة والحكم .

---

(١) الديوان / صـ ١٦٩ .
(٢) الديوان / صـ ١٦٣ .
(٣) انظر ابن قيس الرقيات ، صـ ١٥٥ .

ويلاحظ أن هذا النوع عنده قد تميز بحرارة العاطفة وصدق الإحساس ودقة المشاعر والانفعال والانبهار بالجمال كما يلاحظ أنه قد بثه شيئا من نفثات الألم والحزن وذلك كما نرى في قوله :

عادَ لَهُ من كثيـرةَ الطـــربُ فعينـــه بالدموع تنسكب
والله ما إنْ صبتْ إلــــيَّ ولا يعلم بيني وبينها ســبب
إلا الذي أورثت كثيرة في الــ قلب وللحب سَوْرة عجب (١)

وكما نرى في قوله :

ظعـنت لتحزننـا كثيــرةْ ولقد تكـون لنـا أميــرهْ
شبـتْ أمـــام لداتـــها بيضاءُ سابـغـةَ الغديـره(٢)
الغديـره(٢)

وفي هذا النوع نلاحظ أيضا استخدام الرمز والايحاء وقد كان ذلك نتيجة اتصاله بالسياسة ومما يدلنا علي ذلك قوله :

بشَــرَ الظبي والغرابُ بسُعْـدَى مرحبا بالذي يقول الغـرابُ
حبـذا الريم والوشاحان والقصــ ـر الـذي لا تناله الأسبابُ
رجـل أنت همـه حيـن يمسى خامرته من أجلك الأوصاب
لا أشَـم الريحـان إلا بعينـــي كرما إنما تشم الكـلاب (٣)
(٣)

فهو في البيت الأخير يعرِّض بعبد الملك بن مروان لأنه كان متغير الفم تخرج منه رائحة كريهة تؤذى من يدنو منه فكان في يده دائما ريحان أو تفاحة أو طيب يشمه .

٢- المديح :

انغمس شاعرنا في السياسة انغماسا واتصل برجالاتها كثيرا مثل عبد الله بن جعفر القرشي وطلحة بن عبيد الله الخزاعي ومصعب بن الزبير

---

(١) الديوان ، صـــ ١، ٢.
(٢) الديوان / صـــ ٤٣.
(٣) الديوان ، صـــ ٨٤ ، ٨٥.

ومثل الأمويين في الشام وعبد العزيز بن مروان بمصر وكان لا يهدف من وراء ذلك إلا العطاء والمال والهبة والنوال وخير شاهد علي ذلك همزيته التي قالها في مصعب وهي أطول ما في ديوانه.

وهو في مدائحه يصور ممدوحيه بالكرم والشجاعة والهمة والبسالة والعطاء والسخاء والتواضع والعدل والرحمة والتقوى والحكمة والفصاحة والنسب الكريم والأرومة الأصيلة . يقول في مصعب :

إنما مصعـب شهاب من الـ ـله تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رحمة ليس فيه جبروت ولا به كبرياء
يتقي الله في الأمور وقد أف ـلح من كان همه الاتقاء[1]

ويتضح ذلك أيضا في مديحه عبد العزيز بن مروان حيث يقول :

أثن علي الطيب ابن ليلي إذا أثنيتَ في دينه وفي حسبه
من يصدق الوعد والقتال ويخـ شى الله في حلمه وفي غضبه
ومَنْ تَفيض الندى يداه ومَنْ ينتهبُ الحمدَ عند منتهبه[2]
منتهبه[2]

٣- الرثاء:

فجع ابن قيس الرقيات في بعض أصدقائه وأقاربه وممدوحيه ، ونكب فيهم عدة نكبات فهب ناهضا يرثيهم ويتحسر عليهم ويحزن متفجعا متألما

وقد كان في رثائه في غاية الصدق والوفاء وكان يتكئ علي إثارة الأحاسيس والمشاعر الحزينة وإهاجة العواطف المكلومة باختيار معان وألفاظ مملوءة باللوعة والحزن والحسرة والأنين والشجن .

ومن تلك المراثي التي تفيض حزنا وألما قوله في أقاربه الذين وقعوا صرعي معركة الحرة :

---

(١) الديوان / صـ ٩١ / ٩٢ .
(٢) الديوان / صــــ١٤..

ومصــرع إخواني الصالحين … بالنــعف والأعينُ الساجمــهْ

يتامى يبــكون آبـــاءهم … ولم يبــق دهــر لهم سائمــةّ

وأرمــلة يعتــريــها النحيب … إذا نامتِ الأعيــن الناعمــه

تبكي رجــالَ بنـــي عمها … وإخوتــها وحــدها قائمــه[1]

قائمــه[1]

ومن مراثيه المفعمة بالحسرة واللوعة قوله الذي يرثي فيه مصعب بن الزبير:

فقــلتَ لمن يخَبّــَرني حزينــا … أتنعي مصعبــا؟ غالتك غول

فــإن يهــلك فجــدُّكــم شــقي … وعيشـــكم وأمنكم قليـــل

أغــرَّ تفــرَّج الغمــرات عنــه … كأن جبينــه سيف صقيـــل

إذا نزلت بــه حرب ضــروس … يُهــابُ الرزُّ منها والصليل[2]

والصليل[2]

وهنا تلاحظ امتزاج الرثاء عنده بالمدح ، هذا المدح الذي يتخذه وسيلة إلى بث الأحزان والأشجان والتنفيس عن الكربات والنكبات وصولا إلى توضيح عظم النكبة في المرثي.

---

[1] الديوان / صـــ١٠١/ ١٠٢.

[2] الديوان / صــ ١٣٤/١٣٣ .

جــريــر[*]

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ومولده :

هو جرير بن عطية بن الخطفي ، والخطفي لقب وأما اسمه فحذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع .

وكنية جرير أبو حزرة (حرزة ابنه الأكبر) ، كما كنى بابن المراغة وهي من الأسماء القبيحة للأتان . وقد اختلف في سنة مولده ولكن أشهر الآراء أنه ولد سنة ثلاثين للهجرة تقريبا ، ولكن لم يختلف في مكان الميلاد فلقد ولد في بادية اليمامة حيث كان بنو كليب ينزلون بقرية حجر إحدى قرى اليمامة في الجنوب الشرقي من نجد (الرياض الآن) .

وقد ولد لسبعة أشهر، وقد سمته أمه جريرا لأنها رأت كأنها ولدت حبلا أسود يقفز علي الناس فيخنق من يقفز عليه ولما ذهبت إلى إحدى مفسري الرؤى قال لها لتلدين شاعرا ذا منطق جزل وذا قوة وشكيمة.

أسـرته :

ينتهي نسب جرير إلى بني كليب اليربوعيين التميمين ، وقد كان والده عطية رجلا مضعوفا (به ضعفة وهي ضعف الفؤاد) متخلفا في المال

---

[*] **انظر في هذا الموضوع :**

١- طبقات فحول الشعراء / جـ٢، صـ٢٧٤.
٢- الموشح / صـ١٥٧ .
٣- البيان والتبين/ مواضع متفرقة .
٤- جمهرة أشعار العرب / صـ ٤١٥.
٥- الشعر والشعراء / جـ١، صـ٤٦٤.
٦- الكامل / مواضع متفرقة .
٧- الأغاني / جـ ٧ / صـ٣٥ .
٨- العمده / مواضع متفرقة .
٩- ديوان جرير/ شرح وتقديم/ مهدي محمد ناصر الدين/ ط دار الكتب العلمية/ بيروت/ ط٢ سنة ١٩٩٢.
١٠- العصر الاسلامي / د. شوقي ضيف / صـ ٢٧٦ .
١١- التطور والتجديد في الشعر الأموي / د. شوقي ضيف / صـ ١٣١ - ٢١٩ .
١٢- تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي / د. يوسف خليف / صـ ٢٣١.
١٣- جرير / حياته وشعره / د. نعمان محمد أمين / ط دار المعارف سنة ١٩٦٨ .
١٤- جرير / محمد إبراهيم جمعه / ط دار المعارف سنة ١٩٨٦ .

مبخلا، وكان شاعرا ، وكانت أم عطية (النوار بنت يزيد) من كليب أيضا وأما أم جرير فهي أم قيس وينتهي نسبها إلى بني يربوع أيضا. وأما جده الحظفي فكان كثير المال من الغنم والحمير وكان كريما وكان شاعرا ، وكان لجرير أخوان هما عمرو (عمر) وأبو الورد وكان عمرو أكبر من جرير وكان يقارضه الشعر.

وإذا لم يكن جرير قد نشأ في بيت مجد وعز فإنه نشأ في بيت شعر وقد ورث الشعر عن أبيه وجده وكان جده يلقنه الشعر ، وقد ورث جرير الشعر لأبنائه من بعده .

نشأته وحياته :

نشأ جرير في اليمامة بدويا فقيرا يرعى لأبيه غنيمات من الضأن والمعزى، وقد تفتحت شاعريته مبكرا ولما يبلغ الخامسة عشرة من عمره بعد ، وقد قارض آخاه عمرا الشعر، وهاجى غسان السليطي، ومازال بالبادية حتى وفد علي يزيد بن معاوية شابا ونال إحدى جوائزه علي أبيات يقول فيها:

وإني لعف الفقر مشتـــرك الغنى   سريع- إذا لم أرض داري- انتقاليا[1]

وقد وفد بعد ذلك علي البصرة ورأى ما يتمتع به الفرزدق فنفس عليه مكانته ، وأخذ قومه يرغبونه في سكنى العراق حتى يشيع ذكره .

وفي العراق اتصل بالحكم بن أيوب عامل الحجاج بن يوسف الذي كان طريقا إلى اتصاله بالحجاج فاتخذه الحجاج شاعرا له ، ولما شاع شعره اتصل بعبد الملك بن مروان الذي يقول فيه :

لولا الخليفة والقـــرآن يقـــرأه   ما قام للناس أحكام ولا جمع[2]

---

(1) ديوان جرير / صـــ ٤٦٠ .
(2) ديوان جرير / صـــ ٢٦٧.

واتصل ببشر بن مروان وبولاة ابن الزبير وبعمر بن عبد العزيز الذي أنشده قصيدة يقول فيها :

إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا   من الخليفة ما نرجو من المطر [1]

واستمر يمدح الخلفاء الأمويين وأبناءهم وإخوتهم حتى لقد صار داعية للأمويين منذ أن عرف عبد الملك بن مروان ، وظل يتردد علي العراق حيث نشبت معركة النقائض بينه وبين خصومه من الشعراء والتي لم تتوقف إلا بوفاة الفرزدق فسكت لسان جرير.

ولم يعش جرير طويلا بعد وفاة الفرزدق حيث مات بعده بعدة أشهر وكان ذلك سنة ١١٤ هـ (وإن اختلف في ذلك) .

صفاته :

لم يكن جرير طويل القامة قوي الجسم كما ادعى البعض بل كان ضعيف البنية ، وكان لديه خنخنة (غنة) في الكلام حيث كان الكلام يخرج من أنفه .

وأما أهم الصفات الخلقية فهى أنه كان متدينا عفيفا سريع البديهة ذكيا لماحا غيورا علي قومه معتزا بنفسه معتدا بذاته وبشعره ، رقيق الطبع مرهف الحس والمشاعر وفيا عفوا متسامحا .

علاقته بالشعراء ومكانته الشعرية :

تفتحت موهبة جرير مبكرا – كما ذكرنا - وكانت بدايتها حينما رد علي غسان السليطي الذي هجا والد جرير وقومه إثر منازعة حدثت بين بني سليط وبني الخطفي يقول جرير في ذلك :

لا تحسبنني عن سليط غافلا   إن تَعْش ليلا بسليط نازلا [2]

ودارت معركة هجائية بين السليطي وجرير ولم يكن جرير قد بلغ الخامسة عشرة من عمره واستطاع جرير أن يتغلب عليه ، ويلتحم بعد ذلك

---

(١) ديوان جرير / صـ ٢٠٤.

(٢) ديوان جرير / صـ ٣٤٩.

مع الأعور النبهاني وحكيم بن مُعيَّه ثم البعيث المجاشعي وهكذا حتى التحم مع الفرزدق وكان سبب ذلك أن الفرزدق وزوجته قد نزلا علي جرير في طريق العودة من الحج سنة ٦٤ هـ واعتذر جرير عما بدر منه من هجائه البعيث وأنشده قصيدة أعجبت النوار (زوجة الفرزدق) وقالت : قاتله اللّه ما أرق منسبته وأشد هجاءه فدخلت الغيرة قلب الفرزدق وقال أترين هذا أما إني لن أموت حتى ابتلى بهجائه ثم سلط جرير هجاءه علي نساء مجاشع فشكون للفرزدق فانطلق قائلاً :

ألا استهزأت مني هُنيدة أن رأت　　أسيرا بدُاني خُطوهُ خَلَقُ الحِجلِ[1]

واستمرت النقائض بينهما حوالى سبع سنوات وجرير مقيم بالمرُّوت في اليمامة والفرزدق في العراق حتى انتقل جرير إلى العراق ثم دخل الأخطل بعد ذلك في تلك المعركة .

ومن الشعراء الذين دخلوا تلك المعركة عمر بن لجأ التميمي والسرندي وعبيد بن حصين أبو جندل الراعي والعباس بن يزيد الكندي والأشهب بن رميلة النهشلي والمرار بن منقذ العدواني وجفنة الهزاني والدلهمس وسراقة بن مرداس البارقي والصلتان العبدي وعدي بن الرقاع والأقيشر الأسدي وغيرهم . وقد استطاع جرير أن يتغلب عليهم جميعا ماعدا الفرزدق والأخطل، وقد ذكر الأصمعي كما ورد في الأغاني أن جريرا كان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعرا فيبذهم وراء ظهره ويرمي بهم واحدا واحدا "[2] وقيل إنه تغلب علي ثمانين شاعرا وثبت له الفرزدق والأخطل وقد قيل إنهما لو تفرقا لانتصر عليهما .

وقد سأل رجل جريرا " من أشعر الناس ؟ فقال له قم حتى أعرفك الجواب فأخذ بيده وجاء إلى أبيه عطية وقد أخذ عنزا له فاعتقلها وجعل يمص ضرعها فصاح به اخرج يا أبت فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال

---

(١) ديوان الفرزدق ، جـ٢ ، صـ١٥٢.

(٢) الأغاني / جـ ٧/ صـ٣٧.

لبن العنز علي لحيته فقال له : ألا ترى هذا ؟ قال نعم " قال أو تعرفه؟ قال لا " قال هذا أبي ، أفترى لم كان يرضع العنز ؟ قال لا ، قال مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه اللبن ثم قال : أشعر الناس من فاخر بهذا الأب ثمانين شاعرا وقارعهم به فغلبهم جميعا ".[١]

لقد كان جريرا شاعرا فحلا مقدما وقد شهد هو لنفسه وشهد له غيره من الأعراب والخلفاء والنقاد والرواة.

- **قال هو عن نفسه :** " لقد بحرت الشعر بحرا"
- وقال :" إني لمدينة الشعر التي منها يخرج واليها يعود وفي رواية " أنا مدينة الشعر"[٢]
- وقال ابن سلام الجمحي " : لم يتصل الشعر في ولد أحد من فحول الجاهلية ما اتصل في ولد زهير، و في ولد أحد من الإسلاميين ما اتصل في ولد جرير وقدمه ابن سلام علي غيره من الشعراء حتى جعله رأس الطبقة الأولي من الإسلاميين.
- وقال عنه علاء العنبري " يجئ جرير سابقا ومصليا وسكيتا .[٣]
- وقال جرير لرجل من بني طهية : أينا أشعر أنا أم الفرزدق ؟ فقال له أنت عند العامة وهو عند العلماء فصاح به جرير :أنا أبو حزرة غلبته ورب الكعبة ما في كل مائة رجل عالم واحد .
- وقال رجل للفرزدق : يا أبا فراس هل تعلم اليوم أحدا رمى معك؟ فقال: لا والله ، ما أعرف نابحا إلا وقد استكان ولا ناهشا إلا وقد انجحر إلا الذي يقول وذكر أبياتا لجرير منها :

لساني وسيفي صارمان كلاهما وللسيف أشوى وقعة من لسانيا

- وقال ابن دأب: كما يروي ابن سلام :" وسئل عنهما فقال الفرزدق أشعر عامة وجرير أشعر خاصة"[٤]

---

[١] الأغاني / جـ ٧ / صـ٥٥.
[٢] الشعر والشعراء / جـ ١، صـ ٤٦٧ .
[٣] طبقات فحول الشعراء / جـ ٢، صـ٣٧٥ . وانظر الموشح ، صـ ١٧٣ .
[٤] طبقات فحول الشعراء / جـ ٢، صـ ٢٩٩ .

- وقال بشار العقيلي : كان جرير يحسن ضروبا من الشعر لا يحسنها الفرزدق "[1].

- ويروي ابن سلام أنه " لما بلغ الأخطل تهاجي جرير والفرزدق قال لابنه مالك انحدر إلى العراق حتى تسمع منهما وتأتيني بخبرهما فلقيهما ثم استمع فأتى أباه فقال : جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخرٍ فقال الأخطل : فجرير أشعرهما "[2].

- ولما سئل النصيب عن أشعر الناس قال : أخو بني تميم .

- وقال سُبَّة بن عقال وكان عند هشام بن عبد الملك وقد سئل عن الشعراء الثلاثة " أما أغزرهم بحرا وأرقهم شعرا وأهتكهم لعدوه سترا الأغر الأبلق الذي إن طلب لم يسبق وإن طلب لم يلحق فجرير"[3].

- وقال بعض الرواة : كان جرير ميدان الشعر من لم يجر فيه لم يرو شيئا[4] .

- وقال ابن قتيبة : " كان جرير من فحول شعراء الإسلام ويشبه من شعراء الجاهلية الأعشي .

- وقال الفرزدق :" ما أحوجه مع عفته إلى صلابة شعري وما أحوجني إلى رقة شعره "[5]

وقد سار شعر جرير كثيرا بل كان أكثر أهل زمانه سيرورة في الشعر حتى لقد قال الفرزدق " لقد رزق جرير سيرورة من الشعر لم أرزقه.

- وقال الفرزدق مرة " لقد أوتي جرير من سير الشعر ما لم نؤته " حتى لقد اتهمت الجن بإذاعتها .

ولقد أجاد جرير في فنون كثيرة منها :ـالمديح والهجاء والرثاء والغزل وشهد له بذلك بعض العرب وبعض الرواة ولقد روى ابن سلام قال : لقيت

---

(١) طبقات فحول الشعراء / جـ ٢، صـ ٣١٤ .

(٢) طبقات فحول الشعراء / جـ٢، صـ ٤٥١ .

(٣) الأغاني / جـ ٧ ، صـ ٦٩

(٤) الأغاني ، جـ٧، صـ ٣٨.

(٥) الشعر والشعراء / جـ ١، صـ٤٦٦.

أعرابيا أعجبني ظرفه وروايته فقلت له أيهما عندكم أشعر ؟ (يعني جريرا والفرزدق) فقال بيوت الشعر أربعة : فخر ومدح وهجاء ونسيب وفي كلها غلب جرير فقال في الفخر:

إذا غضبت عليك بنو تميم   حسبت الناس كلهم غضابا

وقال في المدح:

ألستم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح؟

وقال في الهجاء

فغض الطرف إنك من نمير   فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقال في النسيب:

إن العيون التي في طرفها حور   قتلتنا ثم لم يحيين قتلانا

وقيل إنه تفوق في الرثاء أيضا وذلك في قصيدته التي يرثي فيها زوجته أم حزرة والتي يقول فيها :

لولا الحياء لها جني استعبار   ولزرت قبرك والحبيب يزار

شعره :

يذهب شعر جرير في أغراض كثيرة أهمها ما يأتي :

أ- الهجاء :

الهجاء هو الفن الشعري الذي لم يستطع شاعر التحم معه أن يجاريه أو يباريه فلقد تفوق جرير في هذا الفن تفوقا عظيما " وكان يعرف كيف يريش سهامه ويسددها إلى نحور خصومه محملا لها كل ما يمكن من سموم"[1] ولذلك نرى مروان بن أبي حفصة يشهد لذلك فيقول :

ذهب الفرزدق بالفخار وإنما   حلو الكلام ومره لجرير

وكان إذا هجا أمض وآلم خصمه ، وأظهر ما فيه التهكم والاستهزاء بخصمه ورميه بما يضحك منه الناس ، ولذلك كان يقول لبنيه إذا مدحتم فلا تطيلوا المادحة وإذا هجوتم فخالفوا ويقول : إذا

---

[1] العصر الاسلامي / صـ ٢٨٨.

هجوت فأَضْحِكْ . وكان إذا هجا عيَّر بالمثالب وتعرض للأعراض وشنع بالآباء والأجداد ، ولكن يجب أن يلاحظ أنه لم يبدأ أحدا بالهجاء بل كان ينتقم ممن أذاه وظلمه وظلم قومه أو تعرض له بالإهانه وأعان عليه ولذلك قال له الحجاج: علام تشتم الناس وتظلمهم ؟ فقال : والله إني ما أظلمهم ولكنهم يظلمونني فأنتصر " وقيل له مرة علام تقذف المحصنات ؟ قال إنهم يبدءونني ثم لا أعفو . لقد كان جرير سليط اللسان هجاء ، وكان هجاؤه أشبه بريح عاصفة تقتلع من يتعرض له وكان بارعا في السخرية وتصوير الخصم في صورة مضحكة حيث يلبسه ثوب المذلة والصغار وكان كثيرا ما يستخدم الألفاظ التي تدل علي الاستخفاف والخزي ولعل قصيدة في الهجاء لم تبلغ ما بلغت قصيدته التي يرد فيها علي النمير الراعي والتي يقول فيها :

فغض الطرف إنك من نميــر فلا كعبا بلغت ولا كلابــا [1]

ومن أمثلة هجائه المر قوله في الفرزدق :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يا مربع[2]

مربع[2]

وغير ذلك كثير جدا ويتجلى هذا الغرض بكل وضوح في نقائضه التي خاضها ضد من التحم معه خاصة الفرزدق والأخطل .

والحق أنه كان عنيفا في هجائه شديدا في سخريته مؤلما في قسوته وخاصة حينما يتعرض للحرمات والأعراض .

المــدح :

لجرير مدائح كثيرة في شخصيات عديدة فلقد مدح الخلفاء الأمويين وأبناءهم و إخواتهم ومدح الولاة الذين اتصل بهم وعلى رأسهم الحجاج بن يوسف الثقفي .

---

(١) الديوان ، صـــ ٦١، وقد عرفت هذه القصيدة في تاريخ الشعر العربي بالدامغــة والدماغــة والفاضــحة والمنصورة ، ويروي الرواة في نظمها قصة طريقة .

(٢) الديوان ، صـــ٢٦١

وهو يعنى كثيرا بتصوير شخصية الممدوح وخاصة الولاة الذين كان له اتصال وثيق بهم وألفة معهم، يقول مادحا الحجاج وقد صورة مدافعا عن خلافه المسلمين ومحاولا إرساء الحكم وتوطيد السلطان :

ماض علي الغمرات يمضى همه والليل مختلف الطرائف داجي [1]

ويمضي فيصور هؤلاء الولاة في صورة الأبطال الصناديد المدافعين عن الخلافة والخلفاء فهو يذكر أعمال الممدوحين بالإضافة إلى تصوير شخصيتهم تصويرا رائعا .

وحينما يمدح الخلفاء الأمويين يهتم بوصفهم بصفات دينية كالعدل والآمانه والورع وإقامة الحدود والفرائض والتمسك بالكتاب والسنة ويركز على نسبهم إلى قريش وأصلهم الرفيع وكرمهم وسخائهم وتظهر مثل هذه المعاني في قوله في مدح عبد الملك بن مروان :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح [2]

ويقول في مدح عبد العزيز بن الوليد :

ألست ابن الأئمة من قريش وأرحبها بمكرمة ذراعا [3]

وهو دائما يجتهد في تصوير محاسنهم وإظهار مكارمهم وأصلهم وشرفهم وفضلهم وهو في كل ذلك يستمد كثيرا من المعاني الدينية والشمائل الخلقية ويتجلى مثل ذلك في قوله الذي يمدح فيه هشام بن عبد الملك :

وحبل الله يعصمكم قواه فلا تخش لعروته انفصاما [4]

وفي قوله:

تباشرت البلاد لكم بحكم أقام لنا الفرائض واستقاما [5]

---

(1) الديوان ،صـــ٧٠.
(2) الديوان / صـــ٧٤.
(3) الديوان ، صـــ٢٧٦.
(4) الديوان صـــ٣٨١.
(5) الديوان صـــ٣٨١ .

ويلاحظ على مدائح جرير أنها لم تطل كما طال هجاؤه وأنه اتخذ هذه المدائح تقربا وتزلفا إلى الحكام والولاة ؛ ولذا طبعت بطابع النفعية والاستجداء ، وقد اتخذها وسيلة للتكسب ومن ثم اتسمت بالشكوى والتوجع والأنين لاستمالة الممدوح واستعطافه وذلك كما يظهر في قوله الذى يمدح فيه الحجاج :

ألا نشكو إليك زمـــان محل　　وشربَ الماء في زمن الجليد

ومعتبة العيال وهم سغـــاب　　على در المجالحة الرقـــــود [١]

والحق أن جريرا بمدائحه الأمويين قد صار داعية لهم بلا مبالغة

٣- الغـــزل :

لقد أجاد جرير في الغزل الذي جاء عنده رقيقا أيما رقة ولعل ذلك راجع إلى رقة طبع جرير وصفاء نفسه.

وأكثر غزله كان في وصف زوجاته من حيث الوقوف علي قسامة الوجه وملاحة القد وقد عبر فيه عما يكنه نحوهن من حب وود .

وهو في غزله يقف على الأطلال ويرنو إلى بقايا الديار – ديار المحبوبة – كعادة الشعراء العرب ؛ لأنها تذكره بالحبيب الذي كان فيها ثم ظعن فيستعيد الذكريات ويجترها فيهتف قائلا :

ألا حي المنـــازل والخيـــاما　　وسكنا طـــال فيـــها ما أقـــامـــا

منازل قد خلت من ساكنيـــها　　عفـــت إلا الدعـــائم والثمـــامـــا

محتها الريح والأمطار حتى　　حسبت رسومها في الأرض شاما[٢]

شاما[٢]

ويدعو للطلل بالبقاء فيقول :

---

(١) الديوان / صـ ٩٤ .

(٢) الديوان / صــ٤٠٥.

بقيت طُلولك – يا أميم– على البلى   لا مثل ما بقيت عليه طلول[1]

وهذا يدل علي ما يكنه للمحبوب من عشق ، وهيام والحق أنه يقف كثيرا على الأطلال محييا ومسترجعا الذكريات وداعيا لها بالسقيا والبقاء وبالإضافة إلى ذلك يتحدث عن مشاعره تجاه المحبوبة من حزن وفرح وعشق وصبابة وهوى فإذا ما دنا الرحيل خيم الحزن عليه وإذا ما كان اللقاء ماجت بنفسه مشاعر الفرح وانظر إلى هذين البيتين يستبن لك ذلك ، يقول في منظر الوداع

أقول لصُحبتي لما ارتحلنا   ودمع العين منهمر سجامُ

أتمضون الرسوم ولا تحيا   كلامكم علي إذن حرام [2]

ويقول ساعة اللقيا:

فلما التقي الحيان ألقيت العصا   ومات الهوى لما أصيبت مقاتله[3]

ويقف عند المحبوبة واصفا إياها ،مصورا شغفه بها ومتحدثا عن الوجد الذي شفه فيقول:

أعالج برحا من هواك وشفني   فؤاد إذا ما تذكرين خفوق [4]

ويتحدث كما يتحدث العشاق المولهون المدلهون عن الصبابة والهوى والعشق والجوى ويشير إلى ذكرياته وإلى الوشاة والعاذلين ويدير أحيانا قصصا جميلا مملوءا بالخيال كما يذكر أحيانا الوعود الكاذبة ومنعة المحبوبة وحجبها وإقصاءها وغير ذلك من المعاني التي دارت لدى العشاق العذريين .

وله بالإضافة إلى ذلك غزل حسي يصور فيه محبوبته تصويرا ماديا فيصف الوجه وما به من خدود وعيون وشعر وجيد ولعل من أجمل ما يذكر في ذلك قوله :

---

(١) الديوان ،صـ٣٥٤ .

(٢) الديوان، صـ٣٨٦. وفي رواية للبيت الثاني ، تمرون الديار ولم تعوجوا: كلامكم عليَّ إذن حرام .

(٣) الديوان ، صـ٣٥٩.

(٤) الديوان / صـ٢٩٩.

إن العيون التي في طرفــها حــور   قتلننا ثــم لــم يحيين قتــلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به   وهن أضعف خلق الله إنسانا[١]

ويتحدث عن الفم الأحوى وما يحوي من أسنان براقة لامعة متلالئه كأنها المزن أو البرد فيقول :

تجري السواك على أغرَّ كأنه   برد تحدر من متون غمام [٢]

ويصف الخدود الأسيلة والجيد الطويل والأرداف الثقيلة ورشاقة القوام الذي يشبه غصن بان .

لقد استطاع جرير أن ينسب نسبيا رائعا ، ومع ذلك يقول " ما عشقت قط ولو عشقت لنسبت نسبيا تسمعه العجوز فتبكي على ما فات من شبابها .

الرثـاء :

تفوق جرير في فن الرثاء وذلك لما تمتع به من نفس صافية وطبع رقيق وحس دقيق وعواطف جياشة ووفاء جميل ولذلك اهتزت نفسيته اهتزازا عظيما حينما رثى زوجته وابنه و حتى حينما رثى خصمه الفرزدق وكأنما كان يرثي نفسه ورثى أخويه وبعض من اتصل بهم من الخلفاء والولاة.

لقد التاعت نفس جرير وروعت بالموت فراح يبكي ويحزن ويتألم ، يقول في رثاء زوجته (خالدة) أم حزرة :

لولا الحياء لــها جني استعبار   ولزرت قبرك والحبيب يــزار
ولقد نــظرت وما تمتــع نظرة   فــي اللحد حيث تمكن المحفار
ولهت قــلبي إذ علتــني كبــرة   وذوو التــمائم من بنيك صغار[٣]

صغار[٣]

---

[١] الديوان ، صـــ ٤٥٢.
[٢] الديوان ، صـــ ٤١٦.
[٣] الديوان ،صـــــ١٥٢.

ولروعة هذه القصيدة وقوة تعبيرها عن عاطفة حزينة جياشة وقفت نساء قبيلة الفرزدق ينحن بها على النوار زوج الفرزدق حينما ماتت .

لقد ترقرت مآقيه حزنا عندما مات ابنه سوادة وتجرع الألم غصصا عليه فقال :

قالوا نصيبك من أجـر فقلت لهـم   من للعرين إذا فارقت أشبـالى

فارقتني حين كف الدهر من بصري   وحين صرت كعظم الرمة البالى[1]

لقد تفجع على ابنه تفجعا شديدا حتى لقد تمثل بشار بهذه القصيدة في وفاة ابنه .

ورثى خصمه الفرزدق رثاء حزينا داميا حارا فقال :

فلا حملت بعد الفرزدق حامـل   ولا ذات حمل من نفاس تعلت

هو الوافد المجبور والحامل الذي   إذا النعل يومـا بالعشيرة زلت[2]

وله إلى جانب ذلك أبيات أخرى في رثاء الفرزدق وله أبيات في رثاء الأخطل .

سمات شعر جرير:

تكثر القصائد في شعر جرير ويبدأ أكثرها بمطالع تقليدية ويغلب علي هذه المطالع الحديث عن الأطلال والدمن وبقايا الديار والربع الذي هجره الأحباب وغالبا ما يبدأ حديثه بالأساليب الإنشائية استفهاما أو أمرا.

وتشيع عنده مجموعة من الأوزان أهمها الطويل والوافر ثم الكامل والبسيط وكان مغرما بقافية الراء والدال واللام والنون .

---

(1) الديوان ، صـــ٣٢٥، ٣٢٦.

(2) الديوان /صــ٦٨.

وقد جاءت الموسيقا عنده واضحة في الوزن والقافية عذبه رقيقة.

وأما الأسلوب فقد جاء متنوعا ما بين الخطاب إلى الغيبة وما بين الأسلوب الخبري والإنشائي ، ولا نعدم عنده المحسنات البديعية من مقابلة وطباق، كما يبدو عنده التكرار والمبالغة والتأثر بالإسلام قرآنا وحديثا وقصصا دينية.

لقد كان شعره " لا يبارى في عذوبة كلمة وحلاوة " نغمة [1]، وقد "جرت أشعاره صافية كأنها الجدول الرقراق ، أشعار تلذ الأذن بكمال جرسها وتلذ النفوس والأفئدة " بجمالها ورقتها وعذوبتها وحلاوتها.

---

(٢٠١) الديوان العصر الإسلامي / صـ ٢٨٩.

المصادر والمراجـــع

١ **القـــرآن الكريـــم**

٢- **ابـــن قيـــس الـــرقـــيات : حياته وشعره** / د. إبراهيم عبد الرحمن / ط / دار نهضة مصر سنة ١٩٦٥.

٣- **الأخطـــل شاعر بني أمية** : د. سيـــد غازي / ط دار المعارف سنـــة ١٩٧٩.

٤- **الأدب الإسلامي في عهد النبوة و خلافة الراشدين** : د . نايف معروف / ط دار النفائس / ط أولى ١٩٩٠

٥- **أدب السيـــاســـة**: د . أحمد محمد الحوفي / ط خامسة / نهضة مصر / بدون

٦- **الأدب في عصر النبوة والراشدين** :د. صلاح الدين الهادي / ط الخانجي / سنة ١٩٨٧.

٧- **الاستيـــعـــاب** : ابـــن عبد البـــر/ط حيـــدر أبـــــاد – الهند سنة١٣١٨هـــ

٨- **أسد الغابة في معرفة الصحابة** : ابـــن الأثيـــر /ط الشعب سنة ١٩٧٠.

٩- **الإسلام و الشعر** : د . إخلاص فخري عمارة / ط الآداب / ١٩٩٢.

١٠- **الإصـــــابـــة** : ابن حجر العسقلاني / ط السعادة – مصر سنة١٣٦٣هـــ ،ط المشرفية ، سنة١٩٠٧م.

١١- **أضواء علي أهم الفرق الإسلامية** :د. عبد المنعم محمـــود شعبـــان – ط قاصد خير – بدون.

١٢- **اعتقادات المسلمين والمشركين** : فخر الدين الرازي / ط سنة ١٩٣٧.

١٣- **الأغـــانـــي** : الأصفهاني / ط عز الدين للنشر.

١٤- **البداية والنهاية** :ابن كثيـــر / ط السعـــادة بدون .

١٥- **بهجة المجالس وأنس المجالس**:ابن عبد البر / تحقيق محمد مرسي الخولي / ط دار الكتب العلمية / بيروت .

١٦- **البيـــان والتبيـــن** : الجاحظ /تحقيق عبد السلام هارون / ط الذخائر – الهيئة العامة لقصور الثقافة سنة ٢٠٠٣.

١٧- **التاريـــخ الاســـلامي** : د: أحمد شلبي / ط نهضة مصر سنة ١٩٦٥ .

١٨- **تاريخ الشعر العربي في العصرالإسلامي**: د. يوسف خليف/ دار الثقافة ١٩٨٨.

١٩- **تاريـــخ الطبـــري** : الطبري / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف سنة ١٩٦٦ .

٢٠- **التاريخ الكبير** : ابن عساكر / ط روضة الشام / دمشق ١٣٢٩

٢١- **تاريخ المعارضات في الشعر العربي** : د. محمد محمود قاسم / ط دار الفرقان – بيروت سنة ١٩٨٣.

٢٢- **تاريخ النقائض في الشعر العربي:** أحمد الشايب/ ط٣- نهضة مصر ١٩٩٨ .
٢٣- **التطور والتجديد في الشعر الأموي:** د. شوقي ضيف/ دار المعارف/ ط٨ سنة ١٩٨٧
٢٤- **تفسيــر الطبـــري** :الطبري / القاهرة / ١٣٢٤.
٢٥- **تفسيــر القرطبـــي** : ط دار الريان للتراث – بدون .
٢٦- **تهذيب حلية الأولياء** : نعيم الأصفهانى / تهذيب أحمد طه وهبة / ط دار الأندلس الجديدة / مصر طبعة أولى ٢٠٠٤
٢٧- **جــريــر** : محمد إبراهيم جمعة / ط دار المعارف سنة ١٩٨٦ .
٢٨- **جرير : حياته وشعــره** : د. نعمان محمد أمين / ط دار المعارف سنة ١٩٦٨.
٢٩- **جمهرة أشعار العــرب:** أبو زيد القرشى/ تحقيق علي فاعور- بيروت ١٩٨٦
٣٠- **حســان بــن ثابت** : محمد إبراهيم جمعة / ط دار المعارف سنة ١٩٨٢ .
٣١- **حسان بن ثابت** : د. محمد طاهر درويش / ط دار المعارف سنة ١٩٧٦ .
٣٢- **حســان بــن ثابــت** شاعرالرسول: د. سيد حنفي حسنين/ وزارة الثقافة ١٩٦٤
٣٣- **الحب العـــذري** : د. شوقي ضيف / ط – مكتبة الأسرة
٣٤- **الخـــطط** : المقريزي / ط الآداب سنة ١٩٩٦ .
٣٥- **دراسات في الأدب الإســـلامي:** د. سامي مكي العاني/ المكتب الإسلامي ١٩٧٥
٣٦- **ديوان أبي الأسود الدؤلي** : أبو الأسود الدؤلي / تحقيق: عبد الكريم الدخيل / ط بغداد ،سنة ١٩٥٤.
٣٧- **ديوان أبي بكر الصديق:** أبو بكر الصديق / تحقيق راجي الأسمر/ ط صادر بيروت سنة ١٩٩٧
٣٨- **ديوان أبـــي طالـــب** : أبو طالب / مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٨ أدب.
٣٩- **ديوان الأخطــل:** الأخطل/ شرح مجيد طراد- دار الجيل بيروت سنة ١٩٩٥ .
٤٠ **ديوان الأحوص** : الأحوص / تحقيق وشرح د . سعدي ضناوي ط أولى / دار صادر بيروت سنة ١٩٩٨
٤١- **ديوان الأعشى:** الأعشي/ شرح وتعليق/ د. محمد حسين/ النموذجية سنة١٩٥٠ .
٤٢- **ديـــوان جريـــر**:جرير / شرح وتقديم / مهدي محمد ناصر الدين / ط دار الكتب العلمية / بيروت / ط ثانية سنة ١٩٩٢.
٤٣- **ديوان جميل بثينة**:جميل بثينة جمع وتحقيق د. حسين نصار مصر للطباعة ١٩٧٩
٤٤- **ديوان حسان بن ثابت** : حسان بن ثابت / تحقيق د. سيد حنفي حسنين / ط دار المعارف سنة ١٩٨٣ .

٤٥- **ديوان الحماسة:** أبو تمام/ تحقيق د. عبد المنعم أحمد صالح/ الذخائر سنة١٩٩٦ .

٤٦- **ديوان الخـــوارج:** جمع وتحقيق / محمود معروف / دار المسيرة سنة ١٩٨٧ .

٤٧- **ديوان صفية بنت المطلب:** جمع وتحقيق/ د. محمد أبو المجد علي/ الأداب ٢٠٠٢

٤٨- **ديوان ضرار بن الخطاب** : ضرار بن الخطاب / تحقيق فاروق إسليم / ط أول / دار صادر بيروت ،سنة ١٩٩٦ .

٤٩- **ديوان العباس بن مرداس** : العباس بن مرداس / تحقيق د. يحيي الجبوري / ط أولي/ دار صادر بيروت ، سنة ١٩٩١ .

٥٠- **ديوان عبد الله بن رواحـــة** : عبد الله بن رواحة/ تحقيق د. وليد قصاب / ط دار الضياء – عمان ط ثانية سنة ١٩٨٨ .

٥١- **ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات** : عبيد الله بن الرقيات تحقيق د. محمد يوسف نجم – ط دار صادر بيروت – بدون .

٥٢- **ديوان العرجي** : العرجي / جمع وتحقيق د. سجيع جميل الجبيلي طـــ أولى / دار صادر بيروت سنة ١٩٩٨

٥٣- **ديـــوان عـــلي بـــن أبـــي طالب** : عـــلي بـــن أبـــي طالب/ جمع وترتـــيب عبد العزيز الكرم / ط دار العلم للملايين.

٥٤- **ديوان عمر بن أبي ربيعة:** عمر بن أبي ربيعة/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧.

٥٥- **ديـــــوان الفـــــرزدق:** الفرزدق/ تحقيق / كرم البستاني – بدون .

٥٦- **ديـــــوان كثيـــر عـــزة** : كثير عزة / شرح عدنان زكي درويش / ط دار صادر بيروت سنة ١٩٩٤ .

٥٧- **ديوان كعب بن زهير:** كعب بن زهير / صنعة أبي سعيد السكري / ط ثالثة – دار الكتب المصرية سنة ٢٠٠٢ م.

٥٨- **ديـــوان كعب بن مـــالك:** تحقيق مجيد طراد ط دار صادر– بيروت سنة ١٩٩٧ .

٥٩- **ديوان قيس لبنـــــى** : ضمن كتاب " قيس ولبنى شعر ودراسة / د. حسين نصار – دار مصر للطباعة سنة ١٩٧٩.

٦٠- **ديوان مجنون ليلى:** قيس بن الملوح/ تحقيق وشرح/ جلال الدين الحلبي– البابي الحلبي سنة ١٩٣٩ ، تحقيق عبد الستار – أحمد فـــراج – دار مصر للطباعة سنة ١٩٧٩.

٦١- **ديوان النابغة الذبياني:** تحقيق وشرح كرم البستاني دار بيروت للطباعة ١٩٨٠.

٦٢- **الرواسب الشيعة في الشعر الأيوبي** : د. غريب محمد علي

٦٣- **زهـــــر الآداب** : الحصري / ط دار الجبل / بيروت – بدون

٦٤- **سنن التـــــرمـــذي:** الترمذي / ط دار الكتب – بدون، ط الصاوي سنة ١٩٣٤.

٦٥- **السيرة النبوية:** ابن اسحاق / ط أولي سنة ١٩٩٩م – مطبوعات أخبار اليوم .

٦٦- **السيرة النبوية:** ابن هشام/ تحقيق مصطفي السقا وآخرين/ البابي الحلبي١٩٥٥م

٦٧- **شاعرات عصر الإسلام الأول:** نبيل خالد أبو علي/ ط دار الحرم الشريف٢٠٠١

٦٨ **شذرات الذهـــــب** : العماد الحنبلي / ط القدسي – القاهرة – ١٣٥١م .

٦٩- **شرح ديــوان جميــل** : شرح وتقديم / مهدي محمد ناصر الدين / دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٩٨٧ .

٧٠- **الشعر الإسلامي في صدر الإسلام:** د. عبدالله الحامد/ ط١– الإشعاع– الرياض١٩٨٠ .

٧١- **شعر أبي بكر الصديــق** دراسة نصية : د. غريب محمد علي / مجلة آداب المنيا – العدد ٤٩ سنة ٢٠٠٣ .

٧٢- **شعر الدعوة عند حسان بن ثابت:** د. طارق سعد سلبي/ زهرة المدائن ٢٠٠٣ .

٧٣- **الشـــعر والشـــعراء** : ابن قتيبة / تحقيق وشرح / أحمد محمد شاكر / ط دار المعارف سنة ١٩٨٢ .

٧٤- **شعر المعارك الاسلامية زمن** الرسول صلي الله عليه وسلم: د. غريب محمد علي / مقال بمجلة الأزهر/ عدد مايو سنة ١٩٨٨ .

٧٥- **شعراء البصرة في العصر الأموي** : د. عون الشريف قاسم / دار الثقافة – بيروت سنة ١٩٧٢ .

٧٦- **الشعر والغناء في المدينة ومكة** : د. شوقي ضيف / ط دار المعارف – ط رابعة سنة ١٩٧٩ .

٧٧- **صحيح البخـــــاري** : البخـــاري / ط دار الشعب – سنة ١٣٧٨ هـــ

٧٨- **صحيـــح مســـلم** : مسلـــم / ط دار الحديث – القاهرة سنة ١٩٩٠ م

٧٩- **ضحى الاسلام:** أحمد أمي/ ط القاهرة، ١٩٣٦م

٨٠- **طبقات فحول الشعراء:** ابن سلام الجمحى/ تحقيق محمود محمد شاكر/ ط المدنى ١٩٨٠

٨١- **الطبقات الكبـــري** : ابــن سعـــد ، ط بيــــروت سنة ١٩٥٧ .

٨٢- **العصر الإسلامي** : د. شوقي ضيف / ط دار المعارف / ط ثامنة سنة ١٩٧٨.

٨٣- **عصر سلاطين المماليك** : د. محمود رزق سليم/ ط مكتبة الآداب سنة ١٩٦٥ .

٨٤- **العقــد الفريـــد** : ابن عبد ربه / تحقيق / مفيد محمد قميحة / ط دار الكتب العلمية / بيروت سنة ١٩٨٧ .

٨٥- **العمـــــدة** : ابن رشيق / تحقيق . محمد محي الدين عبد الحميد / ط دار الجيل / بيروت سنة ١٩٨١.

٨٦- **عيون الأخبــار** : ابن قتيبـــة / ط الذخائر سنة ٢٠٠٣ .

٨٧- **الفـــرزدق:** د . شـــاكر القحـــام / ط دار الفكر – بدون

٨٨- **الفرق الإسلامية في الشعر الأموي:** د. النعمان القاضي / ط دار المعارف / سنة ١٩٧٠.

٨٩- **الفــرق بين الفـــرق:** البغدادي / تحقيق محمد عثمان الخشت/ ط مكتبة ابن سينا سنة ١٩٨٨ .

٩٠- **فــرق الشيــعة** : النوبختى / تحقيق د. عبد المنعم الحفني / ط دار الرشاد سنة ١٩٩٢ .

٩١- **في الشعر الاسلامي والأموي** : د. عبد القادر القط / ط مكتبة الشباب سنة ١٩٨٠ .

٩٢- **في الشـــعر الأمــوي** : د. يوسف خليف / ط مكتبة غريب سنة ١٩٩١ .

٩٣- **الكامل في اللغة والأدب:** المبرد / ط مؤسسة المعارف – بيروت – بدون .

٩٤- **كعب بن مالك الأنصاري:** د. عبد المنعم يونس / ط أولي – الأمانة سنة ١٩٨٦ .

٩٥- **كعب بــن مالك** : د.محمد علي الهاشمي / ط أولي – السعودية سنة ١٩٨٥.

٩٦- **الكميت بن زيد** : عبد المتعال الصعيدي / نشر دار الفكر العربي – بدون .

٩٧- **لســـان العـــرب** : ابن منظور / ط دار المعارف سنة بدون

٩٨- **مجمع الأمثـــــال** : الميداني / ط دار الجبل سنة ١٩٨٧ .

٩٩- **المديح النبـــوي**: زمن رسول الله صلي الله عليه وسلم د. غريب محمد علي / مقال بمجلة الأزهر / جـ ٣ السنة الستون / عدد ربيع أول سنة ١٤٠٨ هـ .
١٠٠- **المساجد في الإسلام** : طـه الولـــي / طـ أولى / دار العلم للملايين – بيروت سنة ١٩٨٨
١٠١- **مسند الإمام أحمد**: الإمام أحمد بن حنبل / ط دار المعارف – مصر سنة ١٣٦٦ .
١٠٢- **معجم الشعراء** : المرزباني / ط الذخائر / عدد ٩٣ سنة ٢٠٠٣ .
١٠٣- **مقاتل الطالبين**: الأصفهاني / ط البابي الحلبي / سنة ١٩٤٩ . و ط / الذخائر – الهيئة العامة لقصور الثقافة سنة ٢٠٠٣ .
١٠٤- **مقالات الإسلاميين**: أبو الحسن الأشعري / تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد / ط سنة ١٩٦٩.
١٠٥- **المقالات والفــرق** : أبو خلف الأشعري / ط حيدر – طهران سنة ١٩٦٣ م
١٠٦- **مقدمـــة ابن خلدون** : ابن خلدون / ط دار ابن خلدون بدون:
١٠٧- **مروج الذهـــب** : المسعودي / ط البهية سنة ١٣٤٦ هـ
١٠٨- **المــلل والنحــل**: الشهرستاني / ط أولي – الأنجلو سنة١٩٧٧ .
١٠٩- **مناقب آل طالــب**: المازندراني – ط النجف سنة ١٣٧٦ .
١١٠- **المؤتلف والمختلف** : الآمدي / ط دار الأمين – بـــدون .
١١١- **موسوعة شعراء صدر الإسلام** والعصـــر الأمــوي : عبد عون الروضـــات.
١١٢- **الموشـــح**: المرزياني / تحقيق علي محمد البجاوي / ط نهضة مصر بدون .
١١٣- **نقائض جرير والفرزدق**: أبو عبيدة معمر بن المثني/ أعتناء بيفان– ط ليدن ١٩٠٥.
١١٤- **النقائض في الشعر الجاهلي** : د. عبد الرحمن محمد الوصيفي / ط الآداب سنة ٢٠٠٣.
١١٥- **نقد الشعر** : قدامة بن جعفر / تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي / ط الأزهرية ١٩٨٠
١١٦- **الهاشيمـــات** : الكميت بن زيد / عبد المتعال الصعيد – نشـــر دار الفكر – بـــدون .
١١٧- **ياليل الصب ومعارضاتها** : جمع ونشر محيي الديـــن رضا / ط البابي الحلبي سنة ١٩٥١.

الفهـــرس

المـــوضـــوع	الـــصفحـــة